اصدارات : مركز بناء الأمة للبحوث والدراسات

د. أحمد إلياس حسين

السودان

الوعي بالذّات وتأصيل الهُويّة

الجزء الأول

المؤلف:

- أحمد الياس حسين (1943م).
- أستاذ مشارك متخصص في التاريخ الإسلامي.
- دكتوراه بمرتبة الشرف، قسم التاريخ معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة (الأم) عام 1982م.
- زميل قسم التاريخ بكلية التربية جامعة الخرطوم من عام 2009م.
- أستاذ مشارك كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا 1994 - 2008م.
- محاضر وأستاذ مساعد بجامعة الخرطوم والجامعة الإسلامية العالمية وجامعة الفاتح بليبيا منذ 1987م - 1994م.
- شارك في عدة مؤتمرات علمية عالمية ومحلية.
- نشر عدداً من البحوث في دوريات ومجلات علمية محكمة.

صدر له:

1. تاريخ الأمة الإسلامية 2000م.
2. نحو مفهوم إسلامي لعلم التاريخ 2001م.
3. السودان: الوعي بالذات وتأصيل الهوية (أربعة أجزاء).

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

ردمك : 0-291-1-99942-978

الســودان

الوعـي بالذات وتأصيل الهويـة

الجزء الأول

سكان السودان حتى القرن السابع الميلادي

د. أحمد الياس حسين

اصدارات : مركز بناء الأمة للبحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان

٣٠٤.٦٠٩٦٢٤ أحمد الياس حسين أبو شام ١٩٤٣-

ا ي.س

السودان الوعي بالذات وتأصيل الهوية السكان حتى القرن الخامس عشر الميلاد/ أحمد الياس حسين أبو شام.- الخرطوم: أ. ي. ح. أبو شام ٢٠١٨م.

٢٦٩ ص؛ ٢٤ سم

ردمك: ٧-٢٩٢-١-٩٩٩٤٢-٩٧٨

١. السكان – السكان

٢. السودان – حركة داخلية

٣. السودان – تاريخ أ. العنوان.

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

DAWAYA
SUDANESE BOOKS

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المحتويات	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٩
مقدمة الطبعة الثالثة	١١
الفصل الأول: سكان إفريقيا في المصادر العربية والمؤلفات الحديثة	١٣
▪ الساميون والحاميون في غرب آسيا و شمال إفريقيا	١٥
▪ نماذج من كتابة التاريخ في المصادر العربية المبكرة	٢٦
▪ سكان إفريقيا و الصحراء الكبرى في المصادر العربية	٤٠
▪ سكان إفريقيا والصحراء الكبرى في غير المصدار العربية	٤٧
الفصل الثاني: الهجرات العربية إلى إفريقيا قبل الإسلام	٥٧
▪ بعض ما ورد في المصادر اليونانية والرومانية	٥٩
▪ بعض ما ورد في المصادر العربية المبكرة	٦٥
▪ بعض ما ورد في المؤلفات الحديثة	٦٩
▪ الصلات عبر البحر الأحمر	٧٠
▪ الصلات عبر صحراء سينا	٨٢
الفصل الثالث: المجتمع الجديد في جنوب مصر بعد الإسلام	١٠٣
▪ العرب في مصر حتى بداية القرن الثالث الهجري (٩ م)	١٠٥
▪ بداية تكوين المجتمع المصري الجديد	١٠٨
▪ اللغة العربية والهوية	١١٥
▪ القبائل العربية في جنوب مصر	١٢٣
▪ القبائل المغربية والأعراب	١٤٧
▪ إمارات العربان	١٥٦

الفصل الرابع: تحركات السكان في الوسط والشمال والغرب	١٦٥
■ تحركات السكان من الحنوب والغرب	١٦٨
■ المجموعة الأولى: النوبا	١٦٨
■ المجموعة الثانية: من هم النوبا	١٧١
■ تحركات السكان قبل القرن الثالث الميلادي: النوبا	١٨٣
■ تحركات السكان بعد القرن الثالث الميلادي: النوباديين	١٨٨
الفصل الخامس: سكان منطقة ما بين البحر الأحمر والنيل	١٩٥
■ المِجباري	١٩٨
■ التُرُجلُدايت	٢٠١
■ البليميون	٢٠٦
الفصل السادس: سكان الصحراء غربي النيل	٢٣٩
■ السكان قبل دخول العرب شمال إفريقيا	٢٥٢
■ سكان منطقة كَوار، لواتة، سدراتة آزقار	٢٥٤
الملاحق	
■ الملحق الأول: نص نقش كلابشة	٢٧٨
■ الخرائط	٢٨٣

مقدمة الطبعة الأولى

هذا كتابٌ عن سكان السودان، وهو ليس دراسة متخصصة عن السكان بل عبارة عن مقدمة عامة. الهدف منها محاولة التعرف على كيفية تكوين المجتمع السوداني في حدوده الحالية عبر العصور وأثر البيئة الجغرافية وتحركات السكان على ذلك. وتتطلع الدراسة إلى الاجابة عن بعض الأسئلة الهامة مثل:

ما هي أصول العناصر التي ساهمت في تكوين المجتمع السوداني في حدوده الحالية؟ وإلى أي مدى أثرت تحركات السكان في الداخل والهجرات من مناطق الجوار على التركيبة السكانية؟ وما هو دور الصحارى المتصلة بحدود السودان الغربية على تكوين سكان السودان؟ وإلى أي مدى بلغت حدود الممالك التي قامت في هذه الحدود؟ وكيف كانت العلاقة والتداخل بين سكان تلك الممالك؟ وكيف ومتى تبلور الحس القومي للسكان داخل حدود السودان الحالية؟ وهل هو حقا وليد القرن التاسع عشر؟

وأمل أن تلقي الاجابة عن مثل هذه الأسئلة الضوء على جذور هويتنا ومدى ارتباطها بتراب أرضنا ومدى أصالتها.

ولما كان السودان قطراً ممتداً من الصحراء إلى قلب إفريقيا عبر مناطق السافنا والمناطق المدارية جاء تكوين السكان حاوياً لأغلب العناصر التي تكون سكان القارة الإفريقية. أي أن القطر السوداني يجمع داخل حدوده جميع عناصر سكان إفريقيا. ولذلك تطلبت الدراسة إلقاء القليل من الضوء على سكان القارة الإفريقية وبخاصة سكان الصحارى الممتدة إلى الغرب من النيل. ثم التعرض إلى ذلك في الفصل الأول.

ولما كانت أغلب المادة المتوفرة عن سكان السودان قبل القرن السابع الميلادي قد جاءت فى المصادر اليونانية والرومانية والمصادر العربية المبكرة، تطلبت الدراسة التوقف قليلاً عند تلك المصادر للتعرف عليها ولفهم المادة التي وردت فيها. وأتى التركيز على المصادر العربية لأنها الأغزر مادة، ولارتباطها القوي بمعرفتنا الحالية للعناصر المكونة للمجتمع السوداني. وكان هذا موضوع الفصل الثاني من الكتاب والذي ناقش أيضاً بعض الآراء الحديثة عن أصول تكوين المجتمع السوداني وبخاصة تلك الآراء التي استندت على المصادر العربية المبكرة.

ويناقش الفصل الثالث باختصار شديد تكوين المجتمع الجديد في جنوب مصر بعد دخول العرب في القرن السابع الميلادي. وإلى أي مدى تأثر تكوينه وهويته بالهجرات العربية وبهجرات القبائل المغربية (الأمازيغية أو البربرية) وبالمماليك والجنود المرتزقة بأعراقهم المختلفة. وأرى أن دراسة سكان السودان بعد القرن السابع الميلادي - وهذا هو موضوع الجزء الثاني من هذا الكتاب - يتطلب ضرورة التّعرف على تكوين المجتمع في جنوب مصر.

أما الفصول الثلاثة الأخيرة فجاءت عن سكان السودان قبل القرن السابع الميلاي، الغرض منها محاولة رسم صورة عامة لسكان السودان في حدوده الحالية قبل دخل العرب والإسلام إفريقيا. تناول الفصل الرابع أصول وتكوين عناصر سكان غرب ووسط وشمال السودان، وإلى أي مدى أثرت التحركات الداخلية والتحركات من الصحراء الغربية على تركيبة السكان، وماذا كان يطلق على أولئك السكان؟ وهل جمعتهم هوية واحدة؟

وتناول الفصل الخامس سكان منطقة ما بين النيل والبحر الأحمر. ويحاول الفصل التعريف بأولئك السكان المِجَباري والتُرُجلُدايت والبليميين وتحركاتهم والتداخل السكاني الذي تم بينهم وبين سكان وسط وشمال السودان وإلى أي مدى ساهموا في التركيبة السكانية والأوضاع السياسية والحضارية في السودان.

ونسبة للدور الفاعل لسكان الصحارى غربي النيل على التركيبة السكانية وعلى الأوضاع السياسية والحضارية في السودان تطلبت الدراسة التعرف على سكان المنطقة الواقعة بين بحيرة تشاد و جنوب ليبيا والواحات الخارجة للتداخل السكاني عبر العصور في هذه المناطق وبين سكان السودان . وسنحاول التعرف على أولئك السكان قبل دخول العرب شمال إفريقيا، ثم نحاول معرفة ما إذا حدث تغير للتركيبة السكانية - من خلال المصادر العربية - في القرون المبكرة من دخول العرب والإسلام شمال إفريقيا. أما أوضاع السكان في السودان وتأثير مناطق الجوار بعد دخول العرب والإسلام شمال إفريقيا فسيتم معالجته في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وقد نشرت أجزاء من مادة هذا الكتاب علي موقع سودانايل في حلقات متتالية، كان الغرض منها مشاركة ومناقشة القراء في الأفكار الواردة في الكتاب، وقد وصلتني آراء ووجهات نظر بعض القراء الكرام فلهم مني الشكر الجزيل.

وأود أن أشير هنا إلى أنني حاولت أن أعد هذا الكتاب للقارئ المتخصص في هذا المجال وغير المتخصص، ولذلك تحاشيت المصطلحات، وقمت بالشرح والتعليق في بعض المواضع التي يرى التخصص أنها لا تحتاج إلى ذلك، ولكنني قمت بذلك من أجل القارئ غير المتخصص. وكان لا بد من توثيق الآراء والأفكار الواردة في الكتاب توثيقاً آمل أن يكون كافياً، وأرجوا أن لا يتضايق القارئ غير المتخصص من كثرة الهوامش.

كما أود أن أشكر جميع أفراد أسرتي - زوجتي وبناتي- اللاتي كان لهن الفضل والتشجيع في إعداد هذا الكتاب، كما أشكر الاخوة والزملاء الذين قاموا بقراءة بعض فصول هذا الكتاب وأبدوا مساهماتهم وتصويباتهم فللجميع شكري وتقديري.

مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في ماليزيا عام ٢٠٠٨، في عدد محدود وُزعت في نطاق ضيق عند حضوري من ماليزيا بعد أن أنهيت عقد عملي مع الجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لمبور، وكان بها الكثير من الأخطاء المطبعية لأن الطباعة باللغة العربية في ماليزيا ليست متيسرة. وهذا الكتاب هو الجزء الأول من مشروع كبير يهدف إلى مراجعة تاريخ السودان في كل مراحله بإعادة تفسيره وإعادة تركيبه، وسيتم إنجاز هذا المشروع - إن شاء الله - في خمسة إجزاء.

ورغم جهود الدولة والمؤسسات الأكاديمية في العمل في حقل الآثار إلا أن نتائج ذلك لا زالت متواضعة، ولكنها ساعدت في إضافة الكثير من المعلومات التي ألقت مزيداً من الضوء على أحداث تاريخنا وبخاصة القديم. وما تم إنجازه حتى الآن من مشروع هذه الكتب - الثلاثة أجزاء الأولى - لم يعتمد كثيرا على نتائج الأبحاث الآثارية أو العثور على مصادر أخرى جديدة بقدر ما اعتمد على إعادة قراءة وتفسير المصادر المستخدمة حالياً.

وأرى أن إعادة قراءة وتفسير المادة المتعلقة بتاريخ السودان في المصادر العربية مثلاً ستصحح الكثير من المفاهيم والمسلمات التي سيطرت على عقولنا وكيفت ثقافتنا العامة. ولذلك فنحن في حاجة ماسة إلى مراجعة المادة المتعلقة بتاريخ السودان وبخاصة في الفترتين المسيحية والإسلامية. وأرجو أن يكون ما أقدمه هنا مساهمة في هذا المجال، كما آمل أن تجد الآراء والأفكار المعروضة النقد البناء الذي يساعد على تصحيح فهمنا ووعينا بتاريخنا وتساهم بدورها في بناء أمتنا واستقرارها.

كما أود أن أتقدم بجزيل شكري لشبكة سناء للعمل الطوعي ورئيس أمنائها المهندس الحاج عطا المنان لتبنيها مشروع هذه الكتب، فقد قامت الشبكة بتغطية تكاليف طباعة هذه الطبعة الثانية من الجزء الأول، وتبنت طباعة ما تم إنجازه من الشروع فقد تم - بحمد الله - إعداد الجزء الثاني للطباعة، والجزء الثالث تحت المراجعة. وبالله العون والتوفيق.

د. أحمد الياس حسين

أركويت أغسطس ٢٠١٢ م

مقدمة الطبعة الثالثة

نفدت الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي كانت قد تكرمت بطباعته شبكة سناء للعمل الطوعي ورئيس أمنائها المهندس الحاج عطا المنان عام ٢٠١٢، كما قامت في نفس العام بطباعة الجزأين الثاني والثالث. ومرة أخرى يتقدم مشكوراً الأخ المهندس الحاج عطا المنان راعي مركز بناء الأمة للبحوث والدراسات بإعادة طاعة هذا الكتاب، فله مني الشكر والتقدير وأسال الله أن يحقق مقاصده في إعادة بناء هذه الأمة.

ومشروع هذا الكتاب يتكون من خمسة أجراء، طبعت منه الآن ثلاث أجزاء، والجزء الرابع عن تاريخ وسكان مناطق أعإلى النيل الأزرق وشرق السودان قبل قيام دولة الفونج. وهو الآن في طور المراجعة الأخيرة

الفصل الأول

الساميون والحاميون في غرب آسيا و شمال إفريقيا ولغاتهم

سكان إفريقيا في المصادر العربية والمؤلفات الحديثة

دخول العرب مصر حتى بداية القرن الثالث الهجري (٩ م)

- مرحلة تكوين المجتمع الجديد
- اللغة العربية والهوية
- القبائل العربية في جنوب مصر
- القبائل المغربية الصحراوية في جنوب مصر وإمارات العربان

الساميون والحاميون في غرب آسيا و شمال إفريقيا و لغاتهم

ارتبطت التركيبة الحالية للسكان – كما نتصورها – بثلاث سلالات هي: السلالة السامية والسلالة الحامية والسلالة الإفريقية. ولذا أرى أنه من الضروري التعرف باختصار على تلك السلالات. من هم الساميون والحاميون والأفارقة؟ وأين كانت مواطنهم الأولى؟ وكيف كانت الأحوال الطبيعية التي عاشوا فيها في عصورهم القديمة؟ وإلى أي مدى أثرت على تحركاتهم واستقرارهم داخل القارة الإفريقية؟

ولما كان العنصرين الأفريقي والحامي قد ارتبطا بالصحراء الإفريقية الكبرى وارتبط العنصر السامي بشبه الصحراء العربية فسنبدأ بالقاء القليل من الضوء على هاتين المنطقتين، وإلى أي مدى أثرت الأوضاع فيهما على تحركات واستقرار سكانهما؟

يرى العلماء أن مناخ الكرة الأرضية كان في العصور المبكرة دائم التقلبات، وإذا رجعنا إلى نحو خمسة عشر ألف سنة نجد آثار تحولات كبرى وتعاقب فترات جفاف ورطوبة في مناخ الكرة الأرضية الأخيرة أدت – كما يقول علماء المناخ والجيولوجيا – إلى تغيرات كبيرة في المعدل السنوي لسقوط الأمطار، وفي معدل مناسيب المياه في البحار والأنهار وفي الحياة الحيوانية والنباتية. ولعبت تلك التحولات دوراً بارزاً ومؤثراً في تحركات واستقرار المجتمعات البشرية. فعلى سبيل المثال كانت منطقة الصحراء الكبرى الإفريقية مأهولة بالسكان وتتمتع بكميات غزيرة من الأمطار، وكانت بها بحيرات وانهار دائمة الجريان وغابات وغطاء نباتي غزير.

ورد في دائرة المعارف البريطانية تحت مدخل Sahara أن الرسومات الصخرية والأدوات الحجرية والفخارية والعظمية المنتشرة على طول الصحراء الكبرى توضح أنها كانت مأهولة بالسكان. كما أثبت علماء الجيولوجيا والآثار وجود أنواع كثيرة من الحيوانات في كل المنطقة مثل الظباء والجواميس والزراف والأفيال ووحيد القرن وفرس البحر.[1]

---

[1] Encyclopedia Britannica 2000 Online. Cited on July 2005.

وكانت شبه الجزيرة العربية كما نقل جواد علي عن علماء الآثار "خصبة جداً كثيرة المياه تتساقط عليها الأمطار بغزارة في جميع فصول السنة، وكانت ذات غابات كبيرة وأشجار ضخمة كالأشجار التي نجدها في الزمان الحاضر في الهند وإفريقيا"[1] وبالتالى فقد كانت مأهولة بالسكان.

وقد تعرضت كلا المنطقتين – العربية و الإفريقية – إلى التقلبات المناخية التي حدثت منذ نحو اثنتي عشرة ألف سنة مضت، وهو التغير الذي أدى في نهايته إلى تكوين كل من الصحراء الكبرى الإفريقية و صحراء شبه الجزيرة العربية. غير أن أثر ذلك الجفاف لم يبرز ويؤثر تأثيراً محسوساً على تحركات سكان المنطقتين منذ البداية، بل بدأ ذلك منذ نحو سبعة ألف سنة، وهو الوقت الذي بدأت فيه تحركات السكان من داخل شبه الجزيرة العربية نحو الشمال إلى العراق و الشام أو ما يسمى بالهلال الخصيب.

كما بدأت تحركات سكان الصحراء الإفريقية الكبري إلى الشمال نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط، وإلى الشرق نحو وادي النيل. وقد أعقب تلك التحركات تطور ثقافات تلك المناطق والتي أدت إلى قيام حضارات الهلال الخصيب في غرب آسيا وقيام حضارات وادي النيل و شمال إفريقيا.

فالهجرات البدوية الوافدة إلى منطقة الهلال الخصيب من صحراء شبه الجزيرة العربية ذات أصل واحد، ولكن أخذت كل مجموعة مهاجرة أسمها الخاص مثل الكلدانيون و البابليون و الأراميون و الأكديون الذين أقاموا دولهم المبكرة في العراق، ومثل الكنعانيون و العبرانيون و الفينيقيون الذين أسسوا دولهم بالشام وأخيراً المهاجرون العرب الذين استقروا أيضاً في منطقة الهلال الخصيب وغيرها.

ساهمت الشعوب السامية في شبه الجزيرة العربية و الهلال الخصيب بنصيب وافر في التراث الحضاري القديم إلى جانب شعوب أخرى في الشمال الأفريقي أطلق عليها الشعوب الحامية. وقد اختلطت تلك الشعوب السامية والحامية ببعض شعوب جنوب وشرقي البحر الأبيض المتوسط مكونة ما عرف بحضارات الشرق الأدني القديم.

---

[1] جواد علي' المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. العراق: جامعة بغداد ١٩٩٣ ج ١ ص ٢٤٠.

وأطلق على تلك الشعوب السلالات السامية- الحامية، وعلى لغاتهم اللغات "السامية- الحامية" أو "الحامية- السامية" أو "الأفروآسيوية."[1] والشعوب "السامية- الحامية" تضم السلالات الآتية:

جدول رقم ١ - الشعوب "السامية-الحامية"

السلالات السامية	السلالات الحامية
- الشعوب القديمة في العراق والشام مثل: الكلدانيين والبابليين والأراميين والأكديين والفينيقيين والكنعانيين.	سكان شمال وشمال شرق إفريقيا والقرن الافريقي. سكان الصحراء الكبرى والسافنا الإفريقية

العرب والعبرانيون و الأمهرة:

ونسبة لتداخل وتعايش السلالتين السامية والحامية سواء في إفريقيا أو في غرب أسيا فقد تشابهت لغاتهما لدرجة جعلت العلماء يُرجِعون اللغتين السامية والحامية إلى أصل واحد أطلقوا عليه "اللغات الأفروآسيوية ؟ وتضم لغات متعددة كما هو موضح بالجدول رقم ٢.

جدول رقم ٢ - اللغات الأفروآسيوية

اللغة	متحدثيها
المصرية القديمة	انقرضت
السامية (أمثلتها الحية)	العربية، العبرية، الامهرية
الكوشية	يتحدثها البجة وبعض القبائل في ارتريا

[1] عبد اللعزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى: مصر والعراق. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠، القديم ج ١ ص ٦.

	والصومال و اثيوبيا
البربرية	يتحدثها سكان الصحراء الكبرى
التشادية	تتحدثها مجموعة قبائل في تشاد، نيجريا، الكمرون، إفريقيا الوسطى ، النيجر. واشهر فروعها الهوسا
أمُتِك Omotic	تتحدث بها مجموعة صغيرة في جنوب غرب اثيوبيا

جمعت مادة هذا الجدول من[١] B. Heine and D. Nurse eds.

ويوضح الجدول أن اللغات المصرية القديمة والعربية والعبرية والاثيوبية والكوشية والبربرية والتشادية ترجع إلى أصل واحد، ويعني ذلك وجود تشابه كبير بينها على حسب القواعد والنظريات المتعارف عليها عند المتخصصين في تلك المجالات. ومن بين المعايير التي تستخدم في تصنيف اللغات إلى مجموعات أو أسرة واحدة أن يكون متحدثوها منحدرين من أصول مشتركة.[٢]

ونفهم من ذلك أن الأسلاف الأوائل لمتحدثي اللغة التشادية والكوشية والمصرية القديمة والعربية ينتمون إلى أصل واحد. ويرجع ذلك تاريخيا إلى الصلات القديمة القوية بين سكان تلك المناطق. ولكي تتضح صورة اللغات فى المنطقة أرى أن نتعرف على بقية لغات القارة الإفريقية. يرى المتخصصون في هذا المجال أن هنالك ثلاث مجموعات لغوية كبرى في إفريقيا يوضحها الجدول رقم ٣.

[1] Bernard Heine and Derek Nurse eds. (2000), *African Languages*. Cambrige University Press 2000 P 78 – 81.
[2] Ibid. p 260.

جدول رقم ٣: اللغات الرئيسة في القارة الإفريقية

اسم اللغة	متحدثيها
الافروآسيوية	كما في جدول رقم ٢
النيلية الصحراوية	تتحدثها بعض القبائل في جنوب ليبيا و تشاد ومناطق جنوب السودان
النيجر-كنغو	يتحدثها سكان غرب ووسط وجنوب إفريقيا (تضم جنوب كردفان و دارفور)
Khoisan	جنوب غرب إفريقيا

جمعت مادة الجدول من: B. Heine & D Nurse p 12,13

ويوضح الجدول رقم ٣ أن اللغات الرئيسة في إفريقيا قديماً وحديثاً هي اللغات الأفروآسيوية وهي: اللغة المصرية القديمة، العربية، العبرية، الأمهرية واللغات النيلية الصحراوية والنيجر كنغو وال Khoisan. ويتضح من ذلك أن بعض اللغات الإفريقية الرئيسة القديمة لم يعد لها وجود الآن مثل اللغة الهيروغلوفية. بينما ظلت أغلب اللغات الإفريقية الأخرى حية ومستخدمة بما في ذلك اللغة العربية، فاللغة العربية إذاً تمثل إحدى اللغات الأساسية الرئيسة في إفريقيا. وبالطبع هذا حكم علماء اللغات الأوربيين وليس حكمنا.

وهكذا يتضح أن الشعوب القديمة التي عاشت في غرب أسيا وفي إفريقيا الشمالية حتى منطقة السافنا جنوبا قد التقت واختلطت لأسباب متعددة منها العوامل الطبيعية والسياسية والاقتصادية لدرجة أدت إلى تقارب وتشابه لغاتها حتى أصبحت تنتمي إلى مجموعة واحدة "الأفروآسيوية". وقد أدى ذلك الاختلاط إلى عدم قدرة الباحثين على تتبع أصول وجذور السلالات السامية والحامية، فتعددت الآراء في ذلك.

يرى أغلب الباحثين أن الجزيرة العربية هي موطن الجنس الذي اصطلح على تسميته "الجنس السامي"والذي يضم البابليين و الأشوريين والكنعانيين والعبرانيين والأراميين والحبش والعرب، وقد بدأ تحركات تلك الشعوب في فترات متتالية منذ بداية جفاف المنطقة واستمرت حتى الهجرات التي أعقبت ظهور الإسلام. وقد اتجهت الهجرات القديمة السابقة للإسلام نحو منطقة الهلال الخصيب، و مصادر دراستها متوفرة في الآثار القديمة في تلك المناطق.

غير أن هنالك بعض علماء الساميات – مثل بلكريف - الذين عارضوا الرأي القائل بأن شبه الجزيرة العربية هى موطن الجنس السامي بحجة أنه ليس هنالك أدلة قاطعة تسنده. ونلخص هنا بعض تلك الآراء المعارضة من كتاب العالم العراقي المشهور والمعروف في الأوساط العلمية بتميزه وتخصصه في دراسة تاريخ العرب القديم الدكتور جواد علي.[1]

رأى هولاء أن إفريقيا هي المكان المناسب كوطن أول للجنس السامي لوجود تشابه في الملامح وفي الخصائص الجنسية والصلات اللغوية بين الأحباش والبربر والعرب. ورأي جيرلند أن الدراسات الفيزيولوجية مثل تكوين الجماجم والبحوث اللغوية تجعل شمال إفريقيا الموطن الأول للساميين. وذهب إلى أن الجنس السامي والحامي سلالة واحدة انقسم إلى عدة فروع منها الفرع الذي استقر في منطقة غرب آسيا وكون سكان المنطقة بما فيهم سكان شبه الجزيرة العربية.

ويرى علماء آخرون - مثل بارتون – أن شرق إفريقيا بالتحديد هي الموطن الأول للساميين للعلاقات الاثنولوجية الظاهرة. وقد عبر الساميون إلى شبه الجزيرة العربية عبر طريقين هما باب المندب و سينا، وأكسبتهم إقامتهم في "بلاد العرب" خصائص جديدة ووسمتهم بسمات اقتضتها طبيعة الوطن الثاني. وجعل بعض العلماء - اعتمادا على ما ورد في المصادر اليهودية القديمة أن أرمينيا هي الوطن الأول للساميين، بينما

[1] المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٢٢٤ – ٢٢٩.

ذهب آخرون إلى جعله أواسط آسيا.وقد ذهبت بعض الدراسات الحديثة إلى أن السلالات السامية الحامية كانت في بدايتها جزءاً من سلالة شعوب البحر الأبيض المتوسط القديمة، وكان موطنها الأول شمال إفريقيا ثم تحركت مجموعة منها شرقا نحو غرب أسيا وانتشرت في تلك البقاع بما في ذلك شبه الجزيرة العربية التي لم تكن صحراء كما هي الآن. وأدى انفصال المجموعتين إلى أن طوّر كل منهما لغته الخاصة فنشأت اللغات السامية والحامية اللتان ترجعان إلى أصل واحد.[1]

ويبدو الآن أنه ليس من السهل القطع بتحديد الموطن الأصلي للجنس السامي، ورغم أن الرأي الأكثر شيوعاً هو الذي جعل الجزيرة العربية الموطن الأول للساميين، إلا أن أصحاب الآراء الأخرى - وهم مجموعة من العلماء المتخصصين – ساقوا من الأدلة ما يجعل مسألة الوطن الأصلي للساميين - على أقل تقدير – قيد البحث والنقاش لعل الدراسات تتوصل إلى القول الفصل فيه.

والذي نحن بصدده هنا من السلالات السامية هي السلالة العربية، وهي السلالة السامية الوحيدة التي ارتبطت بترك آثارها العرقية واللغوية على وادي النيل وبالخصوص السودان. وأعتقد أنه من المفيد أن نتعرف – باختصار - على الوقت الذي ظهر فيه العرب في التاريخ وما هو مدلول كلمة عرب في الفترة السابقة للاسلام؟

وللتعرف على ذلك نلخص الآتي مما أورده في هذا الصدد الدكتور جواد علي.[2] جاءت أول إشارة إلى العرب فى الكتابات الأشورية في نص يعود إلى منتصف القرن التاسع ق.م.، وقد قصد بلفظ عرب في النص الأعراب أي البدو. وقد وردت كلمة عرب في التوراة، وفي اللغة العبرية وفي لغات سامية أخرى بمعنى "البداوة والأعرابية والجفاف والفقر ... فلفظ عرب في تلك اللغات المتقاربة هو البداوة وحياة البادية" .

---

[1] Crowford Howellm, “Semeticuages” jewishEncyclopdi.com cited in Julyv2005.

[2] المفصل في تاريخ العرب، ج ١ صفحات:١٢، ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٣.

ووردت كلمة عرب في النصوص العربية القديمة أيضا بمعنى البداوة وسكان البادية، أما سكان الحضر فى شبه الجزيرة فقد كانوا يعرفون بأسماء المناطق التي يقيمون فيها أو التسميات القبلية التي اشتهروا بها مثل سبأ وهَمدان وحمير. وعندما أطلق البابليون أو الأشوريون أوالفرس "بلاد العرب" فإنهم قصدوا بها البادية التي في غرب نهر الفرات الممتدة إلى تخوم بلاد الشام... وقد أدخل بعض االعلماء طور سيناء فى جملة هذه الأرضين.

وعلى ذلك فكلمة عرب – كما عبر جواد علي في أكثر من موضع - لم تكن قد صارت علماً على جنس معين بالمعنى المفهوم من اللفظة كما يستعملها الآن. وكلمة عرب بالمعنى المعروف اليوم ترجع إلى ما قبل الإسلام بزمن وجيز، ولكنه لا يرتقي تاريخياً إلى ما قبل الميلاد بل لا يرتقي عن الإسلام إلى عهد جدّ بعيد. ويضيف الدكتور السيد عبد العزيز سالم:

"ولا نعرف على وجه الدقة متى استخدم لفظ "عرب" للدلالة على معنى قومي يتعلق بالجنس العربي، والقرآن الكريم هو أول مصدر - ولا يرتقي عن الإسلام إلى عهد جدّ بعيد – استخدم فيه لفظ العرب للتعبير بوضوح عن الجنس العربي." وقد أتى القرآن الكريم بلسان أهل البادية والحضر، ونعت فيه لسانهم باللسان العربي. غير أن علماء العربية حيارى – كما ذكر جواد علي - أمام معرفة بداية اللغة العربية. يرى بعضهم أن يعرب أول من نطق بالعربية وسميت اللغة به، ويقول البعض انها كانت لسان آدم، بينما جعل آخرون بدايتها في عصر أسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام "أُلهم باللسان العربي إلهاماً."[1]

وبناءً على ذلك فإن كلمة "العرب" قبل الإسلام لم تكن تعني جنساً معيناً بل كان تطلق على البدو الذين كانوا يتجولون في مناطق بادية الشام و العراق مثل مناطق

[1] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٤٤.

شمال المملكة العربية السعودية وبعض مناطق سوريا و فلسطين و الأردن كما يرى البعض.

هذا هو مدلول ومفهوم كلمة العرب – قبل الإسلام - عند شعوب منطقة شرقي البحر المتوسط، فكيف كان مدلولها عند اليونان الرومان؟ جاء أول ذكر للعرب في الكتابات اليونانية - كما ذكر جواد علي – أتى في منتصف القرن الخامس ق.م. كجنود في جيش الملك الفرسي Xerxus، وقد تحدث هيرودوت عن العرب وبلادهم الممتدة من جزيرة العرب إلى البوادي والمناطق الواقعة إلى الشرق من نهر النيل. وذكر سترابوبليني (القرن الأول الميلادي) أن العرب تكاثروا على أيامهما في مصر ما بين النيل و البحر الأحمر.[1]

وذكر جواد علي أن اليونايين والرومان أطلقوا لفظ بلاد العرب للدلالة على جزيرة العرب وسكانها على اختلاف لغاتهم لاعتقادهم أن البداوة هي السمة الغالبة على كل تلك المناطق، وتصوروا أن كل سكانها بدواً، لأن فكرتهم عن حَضَرْ العرب لم تكن ترتفع عن فكرتهم عن البدو. فأصبح مدلول كلمة العربي عندهم هو البدوي.

فالكتاب اليونانيون والرومان استخدموا كلمة عرب بنفس معناها السابق للاسلام، فعندما يشيرون إلى العرب يقصدون البدو بغض النظر عن سلالاتهم. فالإشارة إلى العرب في صحراء مصر الشرقية يراد بها البدو الذين كانوا منتشرين في تلك المناطق منذ آلاف السنين قبل إطلاق كلمة عرب على جنس معين. كما يلاحظ أيضاً أننا في السودان – في الوقت الحاضر – نستخدم كلمة عرب بمعنى أعراب أي سكان البادية، ونصف البدوي بالعربي.

[1] نفس المرجع ص ٢٢ – ٢٣.

أما المصادر العربية المبكرة فقد استخدمت كلمة العرب بمعناها الذي ورد في القرآن أي كل سكان شبه الجزيرة العربية البدو منهم والحضر. وقسمت كتب التراث العربي المبكر مثل كتب التاريخ والأدب والأنساب وغيرها العرب إلى قسمين:

١. العرب البائدة أي القديمة التي بادت قبل ظهور الإسلام مثل: عاد وثمود وطسم وجديث وهم من أبناء سام بن نوح.

٢. العرب الباقية وهم على قسمين أحدهما: عرب الجنوب وينسبون إلى قحطان الذي ينتسب إلى سام بن نوح ويعرفون بالقحطانيين، والقسم الآخر عرب الشمال وينتسبون إلى إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وينتسبون إلى معد بن عنان الذي ينتسب إلى سام بن نوح ، ويسمون بالعدنانيين.

والعرب الباقية (العدنانيين والقحطابيين) يمثلون الشعب العربي الذي كان يسكن شبه الجزيرة العربية وحملوا لواء الإسلام. ولم تنسب المصادر العربية المبكرة أي جماعة سامية أخرى إلى العرب، فالعرب في كل تلك المصادر هم العدنانيون والقحطانيون. غير أن المؤلفات الحديثة ألحقت بعض الشعوب السامية الأخرى بالعرب. وقد اختلفت هذه المؤلفات في الجماعات التي تنسبها إلى العرب، فبعض المؤلفات الحديثة اعتبرت التدمريين – شمال دمشق – والأنباط – جنوب فلسطين – عرباً وتناولت تاريخهم كجزء من تاريخ العرب قبل الإسلام.

وتوسع البعض الآخر في نظرته للشعوب العربية كما فعل جرجي زيدان الذي جعل البابليين و الهكسوس عرباً.[1] وقد اقترح البعض الآخر إهمال كلمتى الشعوب السامية والساميين وعدم استخدامهما واستبدالهما بكلمتي الشعوب العربية والعرب.[2] ووفقاً لذلك تكون كل الشعوب التي خرجت من شبه الجزيرة عرباً منذ فجر التاريخ مثل البابليين والفينيقيين والعبرانيين وغيرهم. ولست أدري كيف يكون موقف اللذين رفعوا

---

[1] جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام ص ١٢.

[2] محمد عزة دروزة، عروبة مصر ص ١٠.

هذا الشعار من الشعوب السامية غير العربية مثل اليهود في إلغاء السامية وادراجهم تحت لواء العروبة!

والذي نعتبره نحن ونسير عليه في معنى العروبه هو ما ورد في المصادر العربية من أن العرب الباقية هم سلالة قحطان و عدنان فقط. ولما كانت أخبار دخول العرب إفريقيا قد دونت في تلك المصادر، أرى أنه من الضروري التعرف - قبل الشروع في مناقشة ما ورد فيها - على مناهجها في تدوين التاريخ، وسيتم ذلك بتناول بعض النماذج من كتابات تلك المصادر لتساعدنا على فهمها.

نماذج من كتابة التاريخ في المصادر العربية المبكرة

نورد هنا بعض النماذج من كتابة التاريخ في المصادر العربية لمعرفة المناهج التي اتبعها أولئك المؤلفون في تدوين مادتهم والمصادر التي استندوا عليها في جمع تلك المادة لكي نتمكن من فهم ما ورد في تلك المصادر فهماً صحيحاً يساعدنا على تقييمه والوقوف على مصداقية المادة التي وردت فيها عن دخول العرب السودان.

فالمادة التي وردت في مصادر التراث العربي المبكر عن تحركات الشعوب وتواريخها وانشطتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية أتت في كتب متنوعة المواد والعناوين، بعضها تحت اسم التاريخ والأغلبية العظمى تحت عناوين أُخرى مثل المعارف والأخبار والبلدان والمسالك والممالك والعجائب والغرائب في البر والبحر وغيرها. وتلك المصادر لم تميز بين المادة التاريخية وغير التاريخية. فقد دونت – إلى جانب الأحداث التاريخية – ما يمكن أن نطلق عليه بلغة العصر تراث تلك الشعوب التي كتبت عنها. ولم تميز بين أحداث التاريخ وذلك التراث الشفاهي وقصص البطولات والأساطير المتداولة بين الناس.

فعلى سبيل المثال نبدأ برؤية نصوص المقريزي - الذي تمثل مؤلفاته التراث الشعبي بصورة واضحة في خبر خروج نبي الله موسى عليه السلام من مدين إلى مصر - وهذا حدث تاريخي موثق - للتعرف على كيفية تدوين المقريزي في كتابه الخطط هذا الحدث.

١. خروج موسى عليه السلام إلى مصر:

قال المقريزي: "وخرج موسى متوجها إلى مصر [وذكر في رواية أخرى سابقة لهذه أنه خرج من مصر متوجها إلى مدين] والملك يومئذ على مدين أبجد قال [يقصد مصدره في الخبر] وقوى أمر أبجد فطغى حتى ملك الحجاز. وكان له خمسة أولاد هم هوز وحطي و كلمن و سعفص و قرشت.

فأقام أبجد ملكاً باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كلمن باليمن، وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه حطي على أرض مصر وابنه سعفص على الجزيرة وبلادها حيث الموصل و حران إلى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارفها من خراسان." [ايران و افغانستان الحاليتين تقريبا] ويواصل المقريزي الرواية "وكان حطي صاحب بطش وجرأة وكان بنوا اسرائيل إذ ذاك بالشام فلم يملك أولاد أبجد الشام..."

ويواصل المقريزي مهتماً بذكر مصدر خبره فقال: "حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط [يقصد المدقق أو الضابط للأخبار] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الغرياني التونسي المالكي، قال حدثني به شتر بن غنيم العامري - شيخ لقيه بأرض فلسطين - أنه شاهد الكتاب المذكور.." والكتاب هنا المقصود به الكتاب الذي تضمن هذا الخبر والذي أشار إليه المقريزي حيث قال:

"ووجد في مدينة الأعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جُب بقلعتها بعيد المَهْوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع، وبقاعه عدة أسفار على رفوف حمل منها سفر طوله ذراعان وأزيد قد غلف بلوحين من خشب وكتابته بالقلم المسند، طول الألف واللام نحو شبر. فوجد ببلاد الكرك من قرأه فإذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأه بحمد الله ثم قال خرج موسى من أرض مصر..."[1]

وسواء صح وجود تلك الأسفار أو لم يصح فإن المعلومات التي قيل إنها أخذت منها لا تستند الى وقائع تاريخية.فلو عرضنا نص المقريزي السابق على الحقائق التاريخية المعروفة المعاصرة لانتقال موسى من مصر إلى مدين أو العكس و الأوضاع السياسية في المناطق التي ورد أنها تحت حكم أولاد أبجد وهى مدين و اليمن و العراق و الشام ومصر في ذلك الوقت تأكد عدم صحة النص.

---

[1] المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، نشير إليه فيما يلي بالخطط. ج ٣ ص ٢٣١ – ٢٣٣. موقع الوراق.

فعلى سبيل المثال يذكر المقريزي أنه وقت خروج موسى من مدين كان بنو اسرائيل في الشام ولذلك لم يملك بنو أبجد الشام. ومن المعروف أن موسى عندما خرج من مدين لم يكن قد أوحي إليه بعد، إذ حدث ذلك في طريقه إلى مصر. وخرج موسى ببني اسرائيل من مصر بعد زمن طويل من نبوته، ومات موسى قبل أن يدخل بنو اسرائيل الشام.

فالنص عبارة عن تراث شفاهي شعبي يمثل بالصورة التي ورد بها جزءاً من أساطير تلك المناطق. ومن المعروف أن ما ورد في النص من أسماء الملوك عبارة عن الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب والتي تستخدم كما هو معروف فيما يسمى حساب الجمل، ولم يتعارف اتخاذها أسماءً للبشر. ونترك أمر تقييم وتحليل مثل هذه الأساطير إلى المتخصصين في دراسة التراث الشفاهي.

فالمقريزي لم يهتم بالنص ومدى إمكانية صحته من عدمها بقدر اهتمامه بمصدر النص. وهذه نقطة هامة في مناهج المؤلفات العربية المبكرة، وهي عدم التركيز على النص - أو نقده - لرؤية مدى مصداقيته وهذا ما انتقده ابن خلدون. غير أن ابن خلدون توفي في مطلع القرن التاسع الهجري (١٥م) – وقد كتب المقريزي بعد هذا التاريخ - أي في خواتيم عصر التدوين المبكر وبعد أن ترسخ المنهج الذي يعتني بذكر المصدر فقط. أما المادة المنقولة عن المصدر فعهدتها على راويها. ويوضح رسوخ هذا المنهج منذ وقت المؤرخ المشهور الطبري الذي كتب تاريخة في نهاية القرن الثالث الهجري (٩م) حيث قال في مقدمة كتابه "تاريخ الرسل والملوك":

"وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أُدرِك بحجج العقول، وأُستَنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه. إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا

من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلِنا وإنما أتي من قِبَل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا."

وكرر ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) نفس المعني في مقدمة كتابه معجم البلدان حيث قال:

"واستقصيت لك الفوائد جلها أو كلها، وملّكتك عفواً صفواً عقدها وحلها، حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول، وتنفِر عنها طباع ممن له محصول، لبعدها عن العادات المألوفة، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة، وان كان لا يستعظم شيئ مع قدرة الخالق وحيل المخلوق، وأنا مرتاب بها نافر عنها متبرئ إلى قارئها عن صحتها... فإن كانت حقاً أخذنا منها بنصيب المُصيب وإن كانت باطلاً فلها في الحق شرك ونصيب، فأنا صادق في إيرادها كما أوردتها، لتعرف ما قيل في ذلك حقاً كان أم باطلا."

هذا هو الأسلوب الذي اتبعه المؤلفون الأوائل في جمع مادة كتبهم، والمصادر التي اعتمدوا عليها خاصة عن الأحداث السابقة لهم أو عن أحداث المناطق البعيدة منهم. فمصادرهم هي الروايات الشفاهية الشعبية المتداولة من جيل إلى جيل. وقد جرت عادتهم على البحث وتدوين الأخبار الغريبة والعجيبة وهي المادة التي تجد القبول عند القراء.

وقد عبر عن ذلك البلخي (أو المقدسي كما يَرِد أيضا) في مقدمة كتابه البدء والتاريخ حيث قال: "بعض المؤرخين يميلون إلى تسجيل غرائب العجائب التي لا يقبلها العقل، مما أدى إلى شحن صدور الناس بترهات الأباطيل، وضيقوا نفوسهم بالأسماء والأساطير، والحديث عن جمل طار أشهى عندهم من الحديث عن جمل سار"

ونورد مثالاً آخر عن أوضاع سكان الصحراء الكبرى الإفريقية، تناقلته أغلب المؤلفات العربية واستخدمه بعض المؤرخين المعاصرين لأثبات عروبة وادي النيل. والنص يتعلق بغزوات ملوك حمير لإفريقيا كما ورد عند ابن خلدون.[1]

٢. غزوات ملوك اليمن:

قال ابن خلدون: "ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن و جزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقية و البربر من بلاد المغرب. وأن أفريقش بن قيس بن صيفي من أعاظم ملوكهم الأُوَل وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل، غزا أفريقية وأثخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم ... ومن هذا ذهب الطبري و الجرجاني و المسعودي و ابن الكلبي إلى أن صنهاجة و كتامة من حمير، وتأباه نسابة البربر وهو الصحيح"

ويواصل ابن خلدون: "وذكر المسعودي أيضا أن ذا الأذعار من ملوكهم قبل أفريقش وكان على عهد سليمان (عليه السلام) غزا المغرب ودوخه، وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب ولم بجد فيه مسلكاً لكثرة الرمل فرجع ...وأنه ملك الموصل و أذربيجان ولقي الترك فهزمهم وأثخن ثم غزاهم ثانية وثالثة."

ويلاحظ هنا أن ذا الأذعار كما ورد هنا كان في عصر سليمان، وأنه حكم قبل افريقش. وفي بداية النص أعلاه ورد أن افريقش كان في عهد موسى، ومن المعروف أن موسي سبق سليمان بزمن طويل فكيف حكم ذوالأذعار قبل افريقش؟

ويواصل ابن خلدون: "وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس إلى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر، وإلى بلاد الروم فملك الأول البلاد إلى سمرقند وقطع

[1] كتاب العبر، ج ١ ص ١٢ – ١٣ وج ٢ ص ٥١. موقع الوراق.

المفازة إلى الصين فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبقه إليها فأثخنا في بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنائم وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير فهم بها إلى هذا العهد."

"وبلغ الثالث إلى قسطنطينية[1] فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع. وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة." ويواصل ابن خلدون عما ورد عن ملوك اليمن:

"وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمساً وعشرين سنة وكان يسمى تبعاً وكان مؤمناً فيما قال السهيلي، ثم ملك بعده ابنه ابرهة ذو المنار مائة وثمانين سنة ... ثم ملك من بعده أفريقش بن أبرهة مائة وستين سنة. وقال ابن حزم: هو الذى ذهب بقبائل العرب إلى افريقية وبه سميت... وترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة و كتامة فهم إلى الآن بها وليسوا من نسب البربر، قاله الطبري و الجرجاني و المسعودي و ابن الكلبى و السهيلى وجميع النسابين. ثم ملك من بعد افريقش أخوه العبد ابن خمسٍ وعشرين سنة وكان على عهد سليمان بن داود أوقبله بقليل وغزا ديار المغرب.

ويكفينا هنا حكم ابن خلدون الذي بدأ به النص حيث قال: "ومن الاخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب" فالمؤلفون الأوائل لم ينشغلوا بتحقيق الخبر، وكانت براءة ذممهم في ذكر أسماء رواتهم أو مصادر معلوماتهم، أما التحقق من صدق الرواية أو مصداقية المصدر فهي مسؤولية القارئ، وعليه التحقق من المصدر والحكم على الخبر أولاً قبل الاحتجاج به.

ويشير ابن خلدون إلى الأوضاع السياسية في تلك الفترة وكيف أنها تتعارض مع ما ذكر من حُكْم وتوسعات ملوك اليمن فقال:

---

[1] قسنطينة [القسطنطينية] كانت عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية أو الامبراطورية البيزنطية وقد تأسست بعد عدة قرون من عصر سليمان الذي كان الملك ذو الاذعار معاصرا له. والروم في المصادر العربية يقصد بها الامبراطورية الرومانية الشرقية كما وردت الاشارة اليها في القرآن الكريم في سورة الروم "رقم ٣٠" أما باقي شعوب غرب أوربا فقد وردت الاشارة اليهم بصورة عامة تحت اسم "الفرنجة" أو الافرنج.

"وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكنعان بالشام والقبط بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو إسرائيل الشام، ولم يُنْقل قط أن التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ولا ملكوا شيئاً من تلك الأعمال. وأيضا فالشقة من البحر إلى المغرب بعيدة والأزْودة والعلوفة للعساكر كثيرة. فإذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا إلى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمرون عليه، ولا يكفي ذلك للازودة وللعلوفة عادة وإن نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله. فلا بد وأن يمروا في طريقهم كلها بأعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها. وإن قلنا إن تلك العساكر تمر بهؤلاء الأمم من غير أن تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة فذلك أبعد وأشد امتناعاً فدل على أن هذه الأخبار واهية أو موضوعة."

"وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كان طريقه أوسع من مسالك السويس إلا أن الشقة هنا أبعد، وأمم فارس و الروم معترضون فيها دون الترك. ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم، وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين و الحيرة والجزيرة بين دجلة و الفرات وما بينهما من الأعمال. وقد وقع ذلك بين ذي الأذعار منهم و كيكاوس من ملوك الكيانية وبين تبع الأصغر أبي كرب ويستاسف منهم أيضاً ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمجاوزة أرض فارس. أما الغزو إلى بلاد الترك والتبت وهو ممتنع عادة من أجل الأمم المعترضة منهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر."

"فالأخبار بذلك واهية مدخولة، وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح. وقول ابن إسحاق في خبر يثرب و الأوس والخزرج أنّ تُبّعاً الآخر سار إلى المشرق محمولاً على العراق وبلاد فارس. وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه لما تقرر. فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين.

ونضـــيف عن ملوك اليمن بعض ما ورد عند المسعودي في كتابه مروج الذهب حيث قال:

"وإنما نحكي هذه الأخبار على حسب ما وجدناه في كتب الأخباريين وعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لها، وليس قصدنا من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم، لأنهم ينكرون هذا ويمنعونه، وإنما نحكي في هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلّمين للحق، وأخبار الشياطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل..."

"أول من يُعَد من ملوك اليمن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، واسمه عبد شمس، وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لأية علة سمي سبأ على ما قيل، والله أعلم، وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعاً وثمانين سنة."

"وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين، والغالب عليهم حِمْيَر، وفيهم بعض التبابعة على حسب ما ذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب...

وقيل: إن بعض التبابعة غزا مدينة رومية وأسكنها خلقاً من اليمن، وإن ذا القرنين الذي هو الأسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها."[1]

ولا أظن أننا بحاجة إلى التعليق على ما ورد في هذه النصوص عن ملوك اليمن الذين امتد حكم بعضهم لمئات السنين، ولم تصل غزواتهم إلى السودان وشمال إفريقيا فقط بل امتدت حتى الصين شرقاً واليونان والرومان شمالاً وتركوا سلالاتهم في تلك المناطق. ومن بلاد اليونان خرج الاسكندر المقدوني الذي ينتمي إلى سلالة الحميريين الذين استقروا هنالك.

٣. نسب بلقيس ملكة اليمن:

وعن نسب ملكة اليمن بلقيس يورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ما يلي:

[1] المسعودي، مروج الذهب ج ١ صفحات ٩٩، ١٦٧، ١٩٩. موقع الوراق.

"نذكر أولاً ما قيل في نسبها وملكها، ثمّ ما جرى له معها، فنقول: قد اختلف العلماء في اسم آبائها، فقيل: إنها هي بلقمة ابنة ليشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيل: هي بلقمة ابنة هاد واسمه ليشرح بن تبّع ذي الأذعار بن تبّع ذي المنار بن تبّع الرايش، وقيل في نسبها غير ذلك لا حاجة إلى ذكره."

"وقد اختلف النّاس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض وزيادة في عددهم ونقصان، اختلافاً لا يحصل الناظر فيه على طائل، وكذا أيضاً اختلفوا في نسبها اختلافاً كثيراً، وقال كثير من الرواة: إنّ أمّها جنّية ابنة ملك الجنّ واسمها رواحة بنت السكر، وقيل: اسم أمّها يلقمة بنت عمرو بن عمير الجنّي، وإنّما نكح أبوها إلى الجنّ لأنّه قال: ليس في الإنس لي كفء، فخطب إلى الجنّ فزوّجوه."

"واختلفوا في سبب وصوله إلى الجنّ حتى خطب إليهم فقيل: إنّه كان لهجاً بالصيد، فربّما اصطاد الجنّ على صور الظباء فيخلّي عنهنّ، فظهر له ملك الجنّ وشكره على ذلك واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فأنكحه على أن يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين إلى عدن.

وقيل: إنّ أباها خرج يوماً متصيّداً فرأي حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء علي البيضاء فزمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصبّ عليها ماء، فأفاقت، فأطلقها وعاد إلى داره وجلس منفرداً وإذا معه شابّ جميل، فذعر منه، فقال له: لا تخف أنا الحيّة التي أنجيتني، والأسود الذي قتلته غلامٌ لنا تمرّد علينا وقتل عدّة من أهل بيتي؛ وعرض عليه المال وعلم الطبّ، فقال: أمّا المال فلا حاجة لي به، وأمّا الطبّ فهو قبيح بالملك، ولكن إن كان لك بنت فزوّجنيها، فزوّجه على شرط أن لا يغيّر عليها شيئاً تعمله ومتى غيّر عليها فارقته، فأجابه إلى ذلك."

"فحملت منه فولدت له غلاماً فألقته في النّار، فجزع لذلك وسكت للشرط، ثمّ حملت منه فولدت جارية فألقتها إلى كلبة فأخذتها، فعظم ذلك عليه وصبر للشرط، ثمّ إنّه عصي عليه بعضُ أصحابه فجمع عسكره فسار إليه ليقاتله وهي معه، فانتهى

إلى مفازة، فلمّا توسّطها رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب، وإذا الماء يُصبّ من القرب والمزاود ، فأيقنوا بالهلاك وعلموا أنّه من فعال الجنّ عن أمر زوجته، فضاق ذرعاً عن حمل ذلك، فأتاها وجلس وأومأ إلى الأرض وقال: يا أرض صبرتُ لكِ على إحراق ابني وإطعام الكلبة إبنتي ثمّ أنتِ الآن قد فجعتنا بالزاد والماء وقد أشرفنا على الهلاك.

"فقالت المرأة: لو صبرت لكان خيراً لك، وسأخبرك: إنّ عدوّك خدع وزيرك فجعل السمّ في الأزواد والمياه ليقتلك وأصحابك، فمر وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد ، فأمره فامتنع، فقتله. ودلّتهم على الماء والميرة من قريب وقالت: أما ابنك فدفعته إلى حاضنة تربيّه وقد مات، وأمّا ابنتك فهي باقية، وإذا بجويرية قد خرجت من الأرض، وهي بلقيس، وفارقته امرأته وسار إلى عدوّه فظفر به... وقيل في سبب نكاحه إليهم غير ذلك، والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة."[1]

٤. سطيح كاهن العرب :

ذكر المسعودي عنه مايلي:

"وقد كان سَطيحُ الكاهن وهو ربيع بن ربيعه بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب، لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها.وكان شق بن مصعب بن شكران بن أترك بين قيس بن عنقر بن أنمار بن ربيعه بن نزار معه في عصر واحد ، وكان فيهما جمرة الكهانة، وكذلك سملقة وزوبعة كانا في عصر واحد ، والله أعلم."[2]

وأورد ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ ما يلي عن سطيح:

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢٦. موقع الوراق.

[2] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ٢٣٩.

"أما سطيح هذا فقال الحافظ بن عساكر في تاريخه هو الربيع ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن الازد... ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذي نواس وذلك نحو من ثلاثين قرنا وكان مسكنه البحرين... وروي عن ابن عباس أنه قال: لم يكن شئ من بني آدم يشبه سطيحاً إنما كان لحماً على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينيه وكفيه وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه... ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه... وقال غيره إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس."

"ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس و عبد مناف أبناء قصي فامتحنوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق، فسألوه عما يكون في آخر الزمان... فقال خذوا مني ومن إلهام الله إياي: أنتم الآن يا معشر العرب في زمان الهرم سواء بصائركم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ من عقبكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم، ويتبعون الردم، ويقتلون العجم، يطلبون الغنم."[1]

٥. عاد:

جاء في كتاب مروج الذهب للمسعودي عن عاد:

"وكان عاد رجلا جباراً عظيم الخلقة، وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ، وكان عاد يعبد القمر، وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد، وأنه تزوج ألف امرأة، وكانت بلاده متصلة باليمن، وهي بلاد الأحقاف ، وبلاد صحاري هي وبلاد عمان إلى حضر موت."

"وقد ذكَرَ جماعة من الإخباريين - ممن عني بأخبار العرب - أن عاداً لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد، ورأى البطن العاشر من ولده، وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الأمر، غمر إحسانه الناس، وَقِرَى الضيف، وأحواله منتظمة، والدنيا عليه مقبلة، فعاش ألف سنة ومائتي سنة ثم مات. وكان الملك بعده في الأكبر

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٢ ص ٢٣٩.

من ولده، وهو شديد بن عاد. وكان شديد بن عاد ملكه خمسمائة سنة وثمانينَ سنة، وقيل غير ذلك. ثم ملك بعده أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة، ويُقال: إنه احتوى على سائر ممالك العالم، وهو الذي بنى مدينة أرم ذات العماد."[1]

٦. الملك المصري أشمون

وفي كتاب أخبار الزمان أورد المسعودي ما يلي:

"وقيل إن أشمون كان أطول إخوته ملكاً، وقال أهل الأثر إن ملكه ثمانمائة سنة، وإن قوم عاد انتزعوا الملك منه بعد ستمائة سنه من ملكه، وأقاموا تسعين سنة ثم كرهوا البلد واستوبؤوه فرحلوا عنه إلى الراهبة من طريق الحجاز إلى وادي القرى، فعمروها واتخذوا المنازل والمصانع والقرى ... وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد"[2]

وعلى عادة روايات المصادر نجد الخلط بين الأحداث والشخصيات التاريخية وبين الأساطير التي تبدو واضحة في علاقة ملك اليمن بملك الشياطين وزواجه من ابنته وانجاب بلقيس ملكة اليمن المشهورة، وأسطورة سطيح الكاهن الذي لا عظام ولا عصب له والذي عمر ثلاثين قرناً.

والمشكل في مثل هذه الكتابات ان المؤلفين لا يوردونها باعتبارها أساطيراً أو قصصاً لا تحتمل الصدق، بل يضعونها إلى جانب الأحداث التاريخية دون التعليق عليها - إلا قليلاً - فيصبح لها قوة الحدث التاريخي الذي يمكن وقوعه كما عبر ياقوت في النص الذي ذكرناه سابقاً والذي قال فيه أنه "لا يستعظم شيئ مع قدرة الخالق وحيل المخلوق."

ويتضح من كل ذلك أنه ليس كل ما ورد في كتب التراث مفترض صحته، ولا يعني هذا أننا ندير ظهرنا لكل ما ورد أو نقل عن تلك المصادر، بل ينبغي علينا ونحن

---

[1] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ١٨٢.

[2] المسعودي، أخبار الزمان ج ١ ص ٢٠٦. موقع الوراق.

نتعامل مع تلك المادة أن نكون حذرين وناقدين. أو على الأقل لا نطلق الأحكام على علاتها مستندين إلى تلك المصادر قبل نقدها وتمحيصها.

وليس هذا مجال الحديث عن هذا الموضوع الذي له علمه المؤسس وهو "النقد التاريخي" ولكن الغرض هنا هو لفت انتباه القارئ غير المتخصص إلى ضرورة التعرف على طبيعة تلك المادة الواردة في كتب التراث، وأنه ليس كل ما أتى في تلك المصادر يحتج به ويؤخذ باعتباره حقيقة مسلم بها.

وبالرغم من عدم مصداقية معظم تلك المصادر يوجد من بينها ما هو أكثر مصداقية من غيره، ويتمثل ذلك فيما كتبه الرحالة. فالرحالة يختلفون عن غيرهم من المؤلفين لأن أغلب ما كتبوه أتى عبر ملاحظاتهم المباشرة بدون واسطة رواة. ويبدو معقولا أن تكون بعض مادتهم مأخوذة عن طريق الرواية ولكن هذه لا تمثل أغلب كتاباتهم، وأن رواتهم عاصروا أو عاشوا في مكان الأحداث التي يروونها، فيكون ما أخذه الرحالة عن طريق الرواية أقرب إلى الصحة من روايات غيرهم.

فابن حوقل و الاصطخري (القرن الثالث الهجري ١٠م) مثلاً كلاهما فارسيان، وكلاهما كتب عن جغرافية العالم الإسلامي، وكلاهما كتب عن مناطق النوبة والبجة . والفرق بينهما أن الاصطخري استقى معلوماته وهو مقيم بالمشرق بخلاف ابن حوقل الذي أبحر في البحر الأحمر وزار بعض مناطقه، وجمع مادته عن المنطقة بطريق مباشر، واعتمد على الروايات في المناطق التي لم يزرها. فجاءت مادة ابن حوقل عن المنطقة – وبخاصة مناطق البجة – أقرب إلى الواقع مما جمعه الاصطخري عن تلك المناطق.

و ابن حوقل بهذه المناسبة من الرحالة المدققين فيما يجمعه من الرواة ويحدثنا عن ذلك قائلاً:

"أني كنت ... كثير الاستعلام والاستخبار لسافرة النواحي ووكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيها، وكنت إذا لقيت الرجل الذي أظنه صادقاً وأخاله بما أسأله عنه

خبيراً عالما فأجد عنده إعادة الخبر الذي اعتقد فيه صدقه، وقد حفظت نسقه وتأملت طرقه ووصفه أكثر ذلك باطلاً، وأرى الحاكى بأكثر ما حكاه جاهلاً، ثم أعاوده الخبر الذي ألتمسه منه ... وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك ... وأجمع بينهما وبين حكاية ثالثة بالعدل والسوية فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات."[1]

ولذلك أرى أن ما كتبه ابن حوقل الذي تجول في المنطقة في منتصف القرن الرابع الهجري - وبخاصة عن مناطق البجا - ينبغي أن يؤخذ مأخذ الجد. وبنفس القدر أيضا المعلومات التي نقلها المؤلفون عن ابن سليم الأسواني (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) والذي دخل بلاد النوبة حتى دنقلا . ولا أظن أن المسعودي – الذي زار مصر - والذي كتب في نفس الفترة قد تجول جنوباً كما فعل ابن سليم . أما ناصرو خسرو الذي زار عيذاب قادماً إليها من أسوان ومكث بها ثلاثة أشهر فقد أعطانا فقط وصفاً للطريق الذي سلكه إلى جانب معلومات قليلة عن عيذاب والبجة.

[1] ابن حوقل، كتاب صورة الأرض بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٧٩ ص ٢٨٣.

سكان إفريقيا و الصحراء الكبرى في المصادر العربية

أصل سكان إفريقيا:

نعود الآن إلى المؤلفات العربية المبكرة لنرى ماذا دونت عن سكان إفريقيا وسكان الصحراء الكبرى "البربر". تناولت تلك المصادر سكان إفريقيا من خلال تناولها العام لسكان العالم. ومن المعروف أن المؤلفات العربية المبكرة - فيما يتعلق بسكان العالم - اعتمدت على العهد القديم من الكتاب المقدس. فقد جاء عن تشعب سكان الأرض من أبناء نوح في سفر التكوين ٩: ١٩- ١٨.

"وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً و حاماً و يافث . و حام هو أبو كنعان. وهؤلاء الثلاث هم بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض" وعن تناسل القبائل والأمم جاء في الإصحاح العاشر: "وهؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأممهم. ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان" سفر التكوين 32:10.

وقد اتفقت المصادر العربية أن سكان العالم كلهم من سلالة نوح. يقول القلقشندي:

" أن الطوفان عمّ جميع الأرض، ولا عبرة بما يذهب إليه الفرس من إنكار الطوفان، ولا بما يذهب إليه بعضهم من تخصيصه بإقليم بابل الذي كان به نوح عليه السلام ... وقع الاتفاق بين النسابين والمؤرخين أن جميع الأمم الموجودة بعد نوح عليه السلام من بنيه دون من كانوا معه في السفينة ... روي أنهم كانوا ثمانين رجلاً، وأنهم كانو من غير عقب."[1]

ويمكن تلخيص مفهوم المؤلفين العرب المبكرين لتكوين شعوب العالم كما ورد عند الطبري و القلقشندي في الآتي:

---

[1] القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص ٢٧. موقع الوراق.

١. أبناء سام: هم العرب والأنباط واليهود والبربر (بعضهم يجعل البربر من أبناء حام)
٢. أبناء يافث وهم شعوب أوربا كلها وباقي الشعوب الآسيوية كلها ما عدا الكنعانيون و الهنود،.
٣. أبناء حام ثلاث هم مصرايم و كنعان و كوش :

أ. مصرايم أبو المصريين، وفي رواية أخرى أن المصريين من العمالقة ابناء عمليق بن لاوز بن سام
ب. كنعان أبو الكنعانيين في منطقة الشام
ت. كوش أبو الهنود والبربر (على بعض الآراء) وكل الشعوب السوداء في إفريقيا مثل فزان والزنج والزغاوة والنوبة والحبش.[١]

وعن أبناء حام ورد الآتي في سفر التكوين ٩: ٢٠- ٢٧.

"وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبوكنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخوته. وقال: مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبد لهم. ليفتح الله ليافث فيكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبد لهم."

وقد ورد ما يلى عند الطبري عن أبناء حام وتكرر في المصادر العربية الأخرى:

"ويزعم أهل التوراة أن ذلك لم يكن إلا دعوة دعاها نوح على ابنه حام وذلك أن نوحا نام فانكشف عن عورته، فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوبا فواريا عورته. فلما هب من نومته علم ما صنع حام وسام ويافث فقال: ملعون

[١] المصدر السابق ص ٢٧ – ٢٣ والطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ١٥٠.

كنعان بن حام عبيدا يكونون لإخوته. وقال: يبارك الله ربي في سام ويكون حام عبد أخويه. ويقرض الله يافث ويحل في مساكن حام ويكون كنعان عبدا لهم"[1]

ويواصل الطبري في نفس المكان:

"إن نوحاً دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده، ودعا ليافث بأن يكون الملوك من ولده، وبدأ بالدعاء ليافث وقدمه في ذلك على سام. ودعا على حام بأن يتغير لونه ويكون ولده عبيداً لولد سام ويافث، قال: وذكر في الكتب أنه رق على حام بعد ذلك فدعا له بأن يرزق الرأفة من إخوته."

وهنالك رواية عربية في هذا الصدد أوردها الصحاري عن ابن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما رَقَدَ نوحٌ في السفينة انكشفت عورَتُه فنظرَ إليها أهلُ السفينة فاستحبوا أن يَسْتُرُوه ولم يَجترئ عليه أحدٌ بذلك لمكانه من الله عزّ وجلّ، فنظر إليه أبنُه حام فضَحِك ولم يَسْتُره، فلما نظر إليه سام قام وسَتَرَه عليه ثيابه، فأوحى الله إلى نوح بذلك، فقال نوح لحام: يا حام نظرت إلى عُرياناً فلم تَسْتُرني وقد بدت عورتي إلى الناس؟! كَشَفَ الله عَوْرَتَك وعَوْرَة وَلَدك من بَعْدِك. وجعلهم عُرَاةً يكونون ما بقى منهم أحد. وأذلهم لِوَلَدِ سام، وجعل الله المُلْكَ والنبوة في ولد سام إلى يوم القيامة. فاستجابَ اللهُ له فلم يَجْعَل مِن ولد حام ولا يافث نَبيًّاً، و لا يجعله إلى يوم القيامة."[2]

وتبدو عدم صحة الحديث واضحة لأنه يتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم من آيات توضح أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله لكل الأمم باختلاف أعراقهم على مدار تاريخ البشرية، فلم يكن الرسل حكراً على الجنس السامي. فكل سكان البوادي والحضر والغابات والمناطق المجمدة أرسل إليهم رسل من أنفسهم وبلسانهم، يقول الله

---

[1] الطبري، تاريخ ج ١ ص ١٢٥.

[2] الصحاري، *كتاب الأنساب* ج ١ ص ٢٣ موقع الوراق.

سبحانه وتعالى: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} ٣٥:٢٤ و {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه } ٤:١٤.

فأصل سكان إفريقيا جميعاً البيض منهم كما في شمال إفريقيا والسود كما في باقي أنحاء القارة وفقاً لما ورد في الكتاب المقدس ونقلته المصادر العربية ينتسبون إلى حام بن نوح، وقد جعلت رواية أخرى المصريين وسكان شمال إفريقيا (البربر) من أبناء سام. والقبائل المغربية – الأمازيغ والتي عرفت في المصادر العربية باسم البربر – تكتسب أهمية واضحة في هذه الدراسة لما كان لها من دور واضح على الأوضاع السياسية والاقتصادية والسكانية في كل من مصر و السودان . وقد وجدت هذه القبائل قدرا معقولاً من الاهتمام في المصادر العربية.

أصل البربر (الأمازيغ):

اختلف نسابة العرب ومؤرخوهم حول نسب البربر وتعددت آراؤهم، ونرجع فيما يلي إلى ابن حزم وما لخصه و ابن خلدون بهذا الصدد كنماذج لما ورد في المصادر العربية. جاء عند ابن حزم عن نسب البربر ما يلي:

"قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح - عليه السلام - وادعت طوائف منهم إلى حمير، وبعضهم نسبهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصلاً. ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن."[1]

وأورد ابن خلدون[2] بعض الآراء المتضاربة في المصادر العربية عن أصل البربر وعلق عليها، نورد من تعليقه ما يلي:

"... فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافاً كثيراً ...يقال إن أهل إفريقية قبل البربر من ابناء يافث ... وقال الكلبى إن كتامة و صنهاجة ليستا من قبائل البُربر وإنما هما

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ج ١ ص ٩٩. موقع الوراق.

[2] العبرج ٢ ص ١٠ و ج ٦ ص ٩٠، ٩٣، ٩٦.

من شعوب اليمانية تركهما افريقش بن صيفي بإفريقية مع من نزل بها من الحامية ...وقال بعضهم إنهم من ولد ابراهيم عليه السلام ..."

"وقيل تَخَلّفهم ليقصد البربر]ابرهة ذو الهار بالمغرب وهم من لخم و جذام ، كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد ...وقيل ... إن النعمان بن حمير بن سبأ كان ملك زمانه في الفترة وأنه استدعى ابناءه وقال لهم أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره فراجعوه في ذلك، وعزم عليهم وأنه بعث منهم لمت أبا لمتونة ومسفوا أبا مسوفة ومرطا أبا هسكورة وأصناك أبا صنهاجة ولمط أبا لمطة وايلان ابا هيلانه ..."

"وذكر اخرون منهم الطبري وغيره أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق، فلما قتل جالوت تفرقوا في البلاد. وأغزى افريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشأم وأسكنهم افريقية وسماهم بربر ... وقال مالك بن المرحل البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشأم ولغطوا فسماهم افريقش البربر لكثرة كلامهم. وسبب خروجهم عند المسعودي والطبري و السهيلى ان افريقش استجاشهم لفتح افريقية وسماهم البربر وينشدون من شعره:

بربرت كنعان لما سقتها ❖ من أراضي الضنك للعيش الخصيب

ومن الواضح أن لغة هذا البيت هي عربية الشمال التي أتى بها القرآن، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن لغة اليمن قبل الإسلام. وكما ذكر جواد على أخرج علماء العربية بعد الإسلام الحميرية واللهجات الجنوبية الأخرى من العربية وقصروا العربية على العربية التي نزل بها القرآن الكريم." وأضاف ناقلاً عن ابن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات الشعراء: "سئل أحد علماء العربية عن لسان حمير فقال: ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"[1]

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ١٤ و ٣٤.

وقال ابن الكلبى اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشأم فقيل داود بالوحى. قيل ياداود: أخرِج البربر من الشام فانهم جذام الأرض" ويعلق ابن خلدون على ذلك قائلاً:

"البربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام. فما الذى يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات... وافريقش الذى يزعمون أنه نقلهم ...قد أبطله إمام النسابين والعلماء أبو محمد ابن حزم

ويواصل ابن خلدون: "أما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من حمير ومن كندة ومن العمالقة .... وهذه كلها مزاعم والحق الذى شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب"[1]

ويتضح أن المصادر العربية المبكرة دونت روايات التراث الشعبي التي كانت سائدة في مناطق البربر في ذلك الوقت، ولم تقطع تلك المصادر بصدق أو إنكار أيّ منها بل سجلتها كما هي، وفي بعض الأحيان يرد "والثابت هو أن كذا ..." والأثبات هنا لا يستند إلى دليل قاطع بل يستند إلى رواج وشيوع تلك الرواية. وأغلب ما ورد في المصادر العربية عن أصل البربر لم يرد موثقاً، أي ورد بدون مصادر، لم يشر المؤلفون إلى مصادرهم التي أستندوا إليها، ولم يأتوا بأدلة لما أوردوه عن أصل البربر.

والرواية المشهورة عن أصل البربر هي التي نسبتهم إلى قبيلة حمير العربية. ومن البديهي أن النسب العربي في القرون الهجرية المبكرة كان نسباً عزيزاً يعطي حامله وضعاً مميزاً ومكانة اجتماعية مرموقة بخلاف غير العرب الذين كانوا أعاجم أو موالي. فكل من يريد الابتعاد عن "عجمي أو مولى" بَحَث عن النسب العربي. ولم يكن الانتساب لأي قبيلة عربية بالأمر الصعب بل كان أمراً ميسوراً كما يتضح مما ذكره القلقشندي عن الانتساب للقبيلة:

" قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف أو الموالاة فينسب إليهم... وإذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل قبيلة أخرى جاز أن ينسب إلى قبيلته الأولى، وأن ينسب إلى

---

[1] العبرج ٦ ص ٩٧.

القبيلة التي دخل فيها"[1] وهكذا فإن رابطة الدم ليست شرطاً في الانتساب إلى القبيلة، بل طرق الانتساب إلى القبيلة متعددة وكلها مقبولة وتكفل للمنتسب كل حقوق أفراد القبيلة الأصليين. من أجل ذلك كثر الانتساب للعرب الذين شجعوا ذلك لما فيه كثرة وغزارة في أعدادهم وقت كانت الكثرة أمراً ضروريًا.

وإذا كانت المصادر العبرية والعربية المبكرة قد نقلت ما توفر لها من معلومات في تلك الأوقات، فإن الوضع يختلف الآن. ويكفي أن نشير إلى أن أهل الكتاب المقدس أنفسهم يرجعون اليوم في دراساتهم لشعوب العالم إلى نتائج الأبحاث العلمية الحديثة كعلم الأنثروبولوجيا وعلم وصف الشعوب Ethnography وعلم الوراثة Genetics ولا نتصور أن يرجع الباحثون عن أصل الشعب الأيرلندي – مثلا – إلى تناسل أبناء يافث.

فالمعلومات المتعلقة بسكان العالم في الكتاب المقدس والمصادر العربية المبكرة أصبحت جزءاً من تاريخ الفكر في تلك المراحل المبكرة من تاريخ البشرية. وهذه الحقيقة ليست غائبة عن أذهان الذين يستشهدون الآن بتلك الآراء، فهم يعلمون جيداً أن تلك المعلومات لا أهمية لها كمصدر تاريخي ولكنهم يستخدمونها لخدمة القضايا التي يتبنونها ويبحثون عما يساعد على توثيقها.

[1] القلقشندي، قلائد الجمان ص ٢١.

سكان إفريقيا والصحراء الكبرى في غير المصادر العربية

السكان في جنوب إفريقيا وأصل السلالات الإفريقية:

بعد أن استعرضنا ما ورد في المصادر العربية عن أصل سكان إفريقيا و الصحراء الكبرى ننتقل للتعرف بايجاز على ما ورد عن سكان إفريقيا في غير المصادر العربية. فسكان القارة الإفريقية ينتمون إلى السلالة البشرية الأولى التي عمرت الكون. والحديث عن تلك السلالة متشعب ويتطلب الرجوع إلى نظريات ومفاهيم متباينة. ودون التعرض إلى آراء من يقولون بخلق الإنسان أو تطوره نقفز إلى النتائج وهي ظهور الإنسان في صورته التي عليها الآن وتعميره الأرض. أين نشأ ذلك الإنسان وبدأ حياته؟

يرى العلماء والباحثون في شتى المجالات مثل التاريخ والآثار والأنثروبولوجيا والحفريات Paleontologists - دون الدخول في تفاصيل آرائهم[1] أن أسلاف البشر الحاليين نشأوا منذ زمن موغل في القدم في منطقة السافنا الإفريقية. ومن أشهر الفرضيات التي وجدت القبول في هذا الصدد فرضيتان هما: فرضية الأصل الافريقي الواحد (Out of Africa Hypothesis) وفرضية التنوع (Multi Regional Hypothesis)

يرى مؤيدوا الفرضية الأولى (الأصل الواحد للإنسان) أن الأبحاث العلمية mtDNA تشير إلى أن الجنس الافريقي هو أصل سكان العالم كله كما يقول عالِمَي الآثار المشهورين ليكي وليفن:

"Of all existing populations, Africans have the deepest genetic routs suggesting that an African population was the source of all other populations"[2]

---

[1] نوقشت هذه الآراء في كتاب معد للنشر- لكاتب هذا المقال - بعنوان *Africa the Mother Continent: An Introduction to its Ancient History.* الكتاب معد للنشر.

[2] Richard Leaky and Levin, *Origins Reconstructed in search of what makes us Humans*.p 220.

وتؤيد الأدلة الآثارية هذه الفرضية فإن أقدم جمجمة ذات ملامح حديثة للإنسان عثر عليها في إفريقيا، تليها في القدم ما عثر عليه في الشرق الأوسط، ثم يلي ذلك ما عثر عليه في أوروبا . وقد استدل العلماء بذلك أن الإنسان ظهر أولاً في إفريقيا ثم انتقل بعد ذلك إلى الشرق الأوسط ثم إلى أوربا فباقي أنحاء العالم.[١]

والفرضية الثانية عن أصل الإنسان والتي تقول بالتعدد يرى مؤيدوها أن الإنسان الحديث لم يظهر أو يتطور في مكان واحد ثم انتشر في العالم بل يرون أنه تطور في أماكن مختلفة، إلا أنهم يرون أن الإنسان الافريقي القديم Homo Erectus والذي هاجر إلى الأقطار الأخرى هو الأصل الذي تطورت منه سلالات الإنسان الحديث في مختلف أقاليم العالم.[٢]

ويلاحظ أن كلا الفرضيتين أرجعتا أصل الإنسان إلى إفريقيا إما بطريق غير مباشر كما يرى أصحاب الفرضية الثانية أو بطريق مباشر كما يرى أصحاب الفرضية الأولى وهي الفرضية التي تسندها الأدلة العلمية الأقوى والتي وجدت القبول من أكثر الباحثين. وبناءً على هذه الفرضية يُعتقد أن البشر جميعهم في كل القارات الأخرى من سلالات الإنسان الأول الذي بدأ حياته في السافنا الإفريقية.

وكان ذلك الإنسان أسمر البشرة Brown وأُطلق عليه اسم " Old Bushman أو San-like man". وقد وجدت الهياكل العظمية لذلك الإنسان على طول منطقة شرق وغرب وشمال افريقية. وأكدت أبحاث ال DNA أن ال San-like man أقدم سلالة بشرية عثر عليها على وجه الأرض[٣]

هاتان الفرضيتان ترجع ظهور الإنسان إلى عصور موغلة في القدم، وأنه أخذ وقتاً طويلاً للانتشار في العالم ومع التغيرات المتكررة في المناخ واختلاف البيئات اكتسب

[1] Richard Potts, "Human Evolution" *Encyclopedia Encarta 2000* on line.
[2] Ibid.
[3] John Illiffe (1996), *Africans: the History of a Continent,* Cambridge University Press p 9: Stamlake Samkange (1971), *African Saga: a Brief Introduction to the African History* Nashville: Abingdon p 37.

الإنسان سمات جسمانية ولونية تتناسب مع بيآته فتفرعت الأعراق والألوان. وقد شهد العالم القديم الكثير من التحركات البشرية للتغيرات المتكررة في المناخ وامتزجت الشعوب ببعضها.

ولو قفزنا إلى العصور القريبة نسبياً إلى نحو عشرة ألف سنة، توضح الدراسات الجينية كما يقول إلفي أن السان الحاليين فى جنوب إفريقيا انعزلوا في منطقتهم الحالية منذ نحو عشرة ألف سنة ويضيف أن الأبحاث الجينية أوضحت الآتي:

- أقرب السلالات الآن إلى السان هم سكان شمال شرقي إفريقيا وجزء من شماليها، (ليبيا ومصر والسودان)
- الأقرب إلى السان بعد هولاء هم سكان غرب إفريقيا. ويعبر إلفي عنهم ب (Negroid people) وتعود آثارهم التي وجدت في غرب نيجريا إلى الألف العاشر قبل الميلاد وسكان الصحراء الكبرى الذين تعود آثارهم التي تم العثور عليها إلى ما بين ٦٠٠٠- ٣٠٠٠ ق.م..[1]

وهكذا يتضح أن الإنسان الذي يشبه السان الحاليين – ذا اللون الأسمر – في جنوب إفريقيا، يمثل السلالة الأصلية لسكان إفريقيا الأوائل، ثم تفرعت منهم باقي السلالات. ومع مرور الزمن اكتسبت كل سلالة سماتها اللونية وفقا لبيئتها، فحافظ البعض على لونه الأسمر بينما اكتسب البعض الآخر اللون الأسود وأصبح آخرون أقرب إلى اللون الأبيض مثل سكان شمال إفريقيا الذين اختلطوا بالشعوب الأوربية والآسيوية فاكتسبوا سماتهم الحالية. وبناء عليه فليس هنالك جنس إفريقي واحد، هنالك أجناس إفريقية ذات ألوان مختلفة بين اللونين الأسود والأبيض.

ويرى الباحثون[2] أنه في نحو الألف العاشر قبل الميلاد تطورت الأجناس التالية في إفريقيا:

- المنحدرين من ال Big Bushmen انتشروا على الشريط الممتد بين شرق إفريقيا و الصحراء الكبرى.

---

[1] John Illiffe, *Africans* p 9.

[2] See S. Samkang, *Africa Saga* p 37.

- الجنس ال Negroid احتل منطقة الغابات ومن سلالته الماندي في غرب إفريقيا ، البانتو في شرق إفريقيا والنيليون في السودان.
- الأقزام Pigmies في الغابات الاستوائية وهم قريبو الشبه بال Negroid

وفي نفس الوقت تعرضت شمال إفريقيا لهجرات من غرب آسيا وجنوب أوربا ، واختلط هؤلاء المهاجرون بسلالات السان القديمة في المنطقة فتشكل بذلك سكان شمال إفريقيا في عصورها التاريخية[1] ولعل نظرة قدماء المصريين تعطينا التصور الأقرب إلى واقع السكان الحاليين. قسم قدماء المصريين الشعوب حولهم إلى:

أ. ذوي اللون الأحمر الداكن وهم المصريون
ب. الجنس الأسود (Nahasi) باقي سكان إفريقيا
ت. الجنس الأصفر (Namou) وهم الآسيويون
ث. الجنس الأبيض (Tamhou) وهم الأوربيون[2]

البربر:

سكان الصحراء خليط من السكان القدماء إذاً فهم عبارة عن السكان الأصليين في إفريقيا والذين عاشوا في المنطقة المعروفة اليوم بالصحراء الكبرى والتي كانت قبل نحو سبعة آلاف سنة منطقة خضراء وغنية بمتطلبات الحياة. وانتشر أسلاف البربر على شواطيء الأنهار والبحيرات ومناطق هطول الأمطار الغزيرة من نهر النيل شرقاً إلى موريتانيا غرباً و البحر المتوسط شمالاً. وقد أوضحت رسوم الصحراء أن سكانها كانوا خليطاً ما بين اللونين الأسود والأبيض.

ومنذ نحو عشرة آلاف سنة وصلت مجموعة بشرية جديدة (القوقازيون) من أوربا و آسيا إلى شمال إفريقيا وانتشرت مجموعة منهم في الصحراء الكبرى فكونوا إلى جانب

[1] M. Desanges, (1981) "The proto-Berbers" in Ki-Zerbo, ed. *General History of Africa Vol. 1, Methodology snd African Pre-history.* Paris: UNESCO *Methodology snd African Pre-history.* Paris: UNESCO, Vol. 1, 1981, p 425
[2] Champollion, quoted by Cheikh Anta Diop, *The African Origin of Civilization: Myth or Reality* Chicago: Review press 1974, p 46-47.

العناصر السابقة لسكان الصحراء ما عرفوا بالبربر.[1] فأصبحوا خليطاً من العناصر البيضاء والسوداء.

فالبربر هم سكان الصحراء الكبرى منذ عصورها القديمة عندما كانت منطقة خصبة ذات أنهار وبحيرات ونسب عالية من المطر وكثافة السكان. وكانت تحركات السكان دائمة ومتواصلة على طول المنطقة الواقعة بين النيل شرقاً دولة موريتانيا غرباً و البحر المتوسط شمالاً وذلك حسب التقلبات المناخية المتكررة بين الجفاف والرطوبة.

ويميل بعض الباحثين إلى أن العنصر الأسود هو الذي كان سائداً في الصحراء الكبرى في تلك الأوقات. وقد وردت الإشارات إلى تواجدهم في شمال إفريقيا حتى العصور التاريخية اللاحقة مثل وجودهم في الجيش الفينيقي. ومثل إشارت ديودورس الصقلي إليهم جنوبي تونس . وقد قسم هوجُت[2] سكان الصحراء حسب أوقات استقرارهم الى ثلاث موجات:

- أقدم موجة استقرت على شاطيء النيل بالقرب من الخرطوم وانتشرت غرباً على سواحل البحيرات وشواطيء الأنهار حتي جنوبي الجزائر ، ولم يتحركوا جنوبا.
- الموجة الثانية هي المجموعة الجنوبية التي انتشرت في الغابات، وقد ساهمت هذه المجموعة في التكوين السكاني للمناطق الجنوبية.
- المجموعة الثالثة تحركت من شمال إفريقيا غرباً حتى أواسط موريتانيا.

وظلت مناطق البربر الواقعة بين نهر النيل شرقاً و المحيط الأطلسي غربا ومن البحر المتوسط شمالاً حتى مشارف أحواض بحيرة تشاد و نهري النيجر و السنغال جنوباً تتمتع بمناخ رطب وثروات وافرة من المياه والحيوان، وطور السكان وسائل حياتهم. وتوضح

[1] M. Desanges (1981) "the Proto-Berbers" in Ki-Zebro ed. *General History of Africa Vol. I* p 425.
[2] H. G. HugotM "The Pre-history of the Sahara" in J. Ke-Zerbo ed. (1981), *General History of Africa Vol. I Methodology snd African Pre-history.* p 596.

الأدلة الأثرية أن سكان هذه المناطق طوراً ثقافات مبكرة سبقت الكثير من الثقافات في مناطق وادي النيل وغرب آسيا.

فقد حسنوا أدوات صيد السمك، وطوروا صناعات الفخار الذي يعتبرون من رواده الأوايل في العالم القديم. كما ساهموا مبكراً في استئناس الحيوان وكانوا من الرواد الأوائل في ممارسة الزراعة حتى أصبحت نشاطهم الرئيس. أدى كل ذلك إلى نمو وتطور المجتمعات المدنية، وازدياد أعداد السكان وتمكنوا بذلك من تطوير حضاراتهم التي وضحت آثارها في تطور الفكر الديني وأساليب التحنيط سابقين بذلك سكان وادي النيل في كل هذه المجالات.[1]

كل هذا حدث قبل عصر الجفاف الذي بدأ تظهر آثاره منذ نحو سبعة ألف سنة وهو الوقت الذي بدأت فيه الهجرات التدريجية لسكان الصحراء، والتي ذهبت معظمها شرقا نحو وادي النيل واتجه بعضها شمالاً نحو المناطق المطيرة في شمإلى افريقية بينما توجه البعض الآخر نحو الجنوب حيث تتوفر المياه في حوضي نهري السنغال و النيجر وحوض بحيرة تشاد. وينبغي توضيح أن الجفاف كان تدريجياً وكانت الأنهار والبحيرات لا تزال موجودة في كثير من المناطق مثل الواحات المصرية والليبية والسودانية، كما لم يؤد الجفاف بالطبع إلى هجرة كل سكان الصحراء فلا زالت الصحراء رغم ازدياد الجفاف توفر المأوى لكثير من القبائل الصحراوية.

ويرجع أصل تسمية سكان الصحراء بالبربر إلى ما قبل الإسلام، فقد اعتبر اليونابيون والرومان كل الشعوب خارج نطاق ثقافتهم بأنهم شعوباً همجية غير متحضرة. فعلى سبيل المثال أطلق الرومان على القبائل الجرمانية – التى أتت من شمال أوربا وهاجمت الامبراطورية الرمانية – Barberians أي القبائل الهمجية، ونفس الاسم أطلقوه على سكان شمال إفريقيا وبخاصة القبائل البدوية.

[1] Fabrizio Mori, *The Great civilization of the Ancient Sahara* p 45, 52-53, 56, 60, 123, 152-155: J. H. Hugot, *The Pre-history of the Sahara* p 599

ولما أتى العرب المسلمون في بداية انتشار الإسلام وجدوا لفظ Barberians يطلق على أولئك السكان فعربوه إلى كلمة برير. وصارت كلمة برير منذ ذلك الحين علماً على قبائل شمال إفريقيا ما بين نهر النيل و المحيط الأطلسي. وهو نفس التعريب حدث لكلمة Ethiopians (ذوي الوجوه المحروقة) التي كانت تطلق على الشعوب السوداء فعربوها إلى "السودان". وأصبحت كلمة سودان علماً على كل الشعوب السوداء في إفريقيا.

الحاميون:

اتبع بعض الباحثين في العصر الحديث التقسيم العبري القديم للسكان والذي قسم شعوب إفريقيا إلى مجموعتين: السلالة السامية وهم سكان شمال إفريقيا والسلالة الحامية وهم باقي سكان إفريقيا السود، وأطلقوا عليهم السودان. وفي القرن التاسع عشر عندما ازداد احتكاك الاوربيين بالقارة الإفريقية وتعرفوا على الحضارة المصرية بدى لهم أن جذور الحضارة الإنسانية في إفريقيا أقدم جذوراً من أوربا، ولم يتصوروا أن يكون رواد الحضارة الإنسانية الأوائل كانوا من السود.

ولما كانت السلالة الحامية مرتبطة بالجنس الأسود فقد تم فصلها منه وأضيف الحاميون إلى الجنس القوقازي. فأصبح سكان شمال إفريقيا و الصحراء الكبرى حاميين- قوقازيين، وباقي سكان إفريقيا السود زنوجاً. فأصبح سكان إفريقيا ثلاث مجموعات: الساميون والحاميون والزنوج. وصار كل إنجاز حضاري في إفريقيا مرتبطاً بالعنصرين السامي والحامي ولا صلة للسود بأي تراث حضاري.

وقد اهتم الباحثون الغربيون – مثل أوريك بيتس- بدراسة السلالة الحامية وتوصيفها. فهو يرى أن الحاميين الأصليين الأنقياء يوجدون وسط البربر. وقد وصف بيتس الشخص الحامي الأصلي بسمات هي نفسها تقريباً سمات الساميين مثل: طول القامة، الرشاقة، طول الأطراف، اللّون الأسمر، الشعره الأسود أو dark brown, strait or wavy الأنف المستقيم أو المعقوف، العيون السوداء الحادة النظرات، الفم،

الوجه، الحركة البطيئة الوقورة. وقد اختلط الحاميون مع الزنوج في إفريقيا وتكون منهم عنصر اكتسب سمات الجنسين."[1]

ومن الواضح جداً أن هذه السمات تشبه إلى درجة كبيرة السمات العربية، ومن هنا يأتي الالتباس. فأي شخص يتسم بهذه الصفات ويتحدث العربية في إفريقيا هو في حكمنا العام عربي، وهذا خطأ. فالحاميون أفارقة أصليون يتحدثون حالياً عددا من اللغات الحامية ويتحدث بعضهم العربية وبعضهم يتحدث الفرنسية والبعض الآخر يتحدث الانجليزية. فاللغة هنا لا علاقة لها بالجنس.

ويقول أوريك بيتس[2] أن سكان شمال وشرق وغرب إفريقيا الحاليين ينتمون إلى الجنس الحامي الحديث ويقسمهم كالآتي:

١. حاميو الكناري في جزر المحيط الأطلسي، انقرضوا أو انصهروا مع الأجناس الأوربية الحديثة.
٢. حاميو الأطلسي يوجدون في المملكة المغربية وموريتانيا اندمجوا إلى حد ما بالعناصر الزنجية، وفي الشمال تأثروا أيضا ببعض العناصر الأوربية.
٣. حاميو البحر الأبيض المتوسط في شمال إفريقيا، اختلطوا بعناصر متعددة أوربية وآسيوية.
٤. حاميو الصحراء يتواجدون في جنوبي الجزائر و ليبيا و شمإلى مالي و النيجر ونيجريا .
٥. حاميون أطلق عليهم بيتس *Peulhs* وهم جنس خليط من البربر والزنوج والعرب، تمتد مناطقهم من السنغال غربا حتى جنوب دارفور شرقاً.
٦. التبو حاميون داكنو اللون تكونوا نتيجة الاختلاط بين حاميو الصحراء وزنوج السودان، وتمتد منطقهم ما بين جنوب ليبيا حتى منطقة بحيرة تشاد.

[1] Oric Bates, *The Eastern Lybians,* London: 1970, p 40.
[2] Ibid. p 44- 45.

٧. حاميو مصر تعرضوا للاختلاط منذ زمن بعيد، ويحملون سمات حاميي الصحراء والنيليين السودانيين والعرب.

٨. النوبيون *Nubas* مثل حاميو التبو ربما بتأثير زنجي أكبر، ويمتدون من منطقة النوبة في شمالي السودان حتى دارفور وجنوب كردفان جنوباً.

٩. البجة *Begas* خليط من التبو والنوبة والعرب ويمتدون من شرق السودان إلى شمال كردفان.

١٠. Abyssinians مثل البجة مع تأثير زنجي في منطقة ارتريا.

١١. الدناقل شمالي الصومال يشبهون الابسينيان Abyssinians مع تأثير عربي أعلى.

١٢. الصوماليون مثل الدناقل مع تأثير زنجى أكبر.

١٣. الجالا مثل الصوماليين مع تأثير عربي أقل، يتواجدون في اثيوبيا وجنوب الصومال.

١٤. الماساي سمات زنجية أعلى ربما بتأثير حامي وعربي بسيطين. لا يزال الشك يدور حول اثنولوجيا الماساي.

فالعنصر الحامي الأسمر كما هو واضح هو العنصر السائد والغالب على السكان في إفريقيا. فهم السكان الأصليون لكل منطقة السافنا بين السنغال في الغرب واثيوبيا في الشرق - بما في ذلك سكان غرب ووسط وشمال وشرق السودان - وسكان الصحراء وشرق إفريقيا، فسكان كل هذه المناطق أفارقة أصليون.

وأغلب لغات هؤلاء الأفارقة السمر في السودان لا تزال مستخدمة بينما انقرض بعضها، وأصبحت اللغة العربية – لغة القرآن - هي اللغة السائدة بين أولئك الأفارقة. فليس كل متحدثي اللغة العربية في السودان عرباً، ومن الخطأ جعل اللغة العربية معياراً لتصنيف سكان السودان إلى عرب وأفارقة. فاللغات بعد انتشار اللغة العربية

كلغة القرآن واللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية والبرتقالية منذ عصر التوسع الاستعماري لم تعد مقياساً لتصنيف الشعوب، إذ أصبحت هذه اللغات لغاتاً عالمية لم تعد مقيدة بحدود سياسية أو عرقية.

الفصل الثاني

الهجرات العربية إلى إفريقيا قبل الإسلام

- بعض ما ورد في المصادر اليونانية والرومانية
- بعض ما ورد في المصادر العربية المبكرة
- بعض ما ورد في المؤلفات الحديثة
- الصلات عبر البحر الأحمر
- الصلات عبر صحراء سينا

بعض ماورد في المصادر اليونانية والرومانية

وردت إشـارات في المصـادر اليونانيـة والرومانيـة إلى العـرب، وأشـارت بعـض تلـك المصادر إلى صلات قديمة بين بـلاد العـرب ومصـر، ونـود الرجـوع هنـا إلى مـا رواه بليني وديـودورس عـن الأصـول الاثيوبيـة للأسـرة الأولى في مصـر وربـط تلـك الأصـول بشـبه الجزيرة العربية. فقد نقل أحمد الحفناوي ما رواه ديودورس الصقلي:

"أن المصريين القدماء أتوا من بلاد العرب الجنوبية ونزلوا شواطئ اثيوبيا ثم تقدموا نحو الشمال حتى دخلوا مصر وأن الأثيوبيين [يقصد السود] يقولـون أن مصـر مسـتعمرة من مستعمراتنا على اعتبار أن سكانها القدماء جاءوا إليها منهم."[1]

والمصريون القـدماء في الـنص المقصـود بهـم أولئـك الـذين تمـت علـى أيـديهم وحـدة مملكتي الوجه البحري والجه القبلى (الصعيد) وبـدأ بـذلك عصـر الأسـرات الفرعونيـة الذي بدأت به الحضارة المصرية. وقد وردت نفس الرواية عند بليني.[2]

وربط المؤرخون هذه الرواية بالرأي الذي يقول بـأن عصـر الأسـرات المصـري أسسـه غزاة وفدوا لمصر من شبه جزيرة العرب وليسوا من سـكان مصـر الأصليين. وأن أولئـك الغزاة خاضوا معركة ضد المصريين وهزموهم، ووحدوا شطري مصر – الوجه البحري والوجه القبلي - في مملكة واحدة وأسسوا الأسرة الأولى.

---

[1] أحمد الحفناوي سودان وردي النيل في ظل الإسلام القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢ ص ٤٧ و

[2] H. A. Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* 2nd ed. London 1967 p 4

وقد بنى مؤيدوا هذه الفرضية حججهم على ما عثروا عليه من نقش على مقبض سكين عاجي يرجع تاريخها إلى ما قبل وحدة مملكتي الوجه البحري والقبلي وبداية عصر الأسرات. ويوضح النقش على إحدى جانبي المقبض فئتين تتحاربان وتحتهما بعض السفن وبعض القتلى الغرقى. وعلى الجانب الآخر من مقبض السكين رجل يرتدي زي شبيه بزي سكان بلاد ما بين النهرين (العراق) يصارع أسدين وتحت ذلك بعض الحيوانات.

ومؤيدو فرضية الغزو الخارجي – وهم من الباحثين القدماء في الحضارة المصرية - يرون أن الرسم على مقبض السكين يشبه رسوم بلاد ما بين النهرين، وأن زي الرجل الملتحي والذي يرتدي ثوباً ثقيلاً يتلاءم مع مناخ المناطق الباردة وغير مستعمل في مصر. كما وأن الأسدين بشعرهما الكثيف لا يشبهان الأسود الإفريقية بل يشبهان أسود المناطق الباردة. وكذلك فإن بعض السفن ليست مصرية بل تشبه سفن بلاد ما بين النهرين. ولذلك افترض أولئك الباحثون أن مصدر هذه الرسوم منطقة "عيلام" التي تقع شرقي بلاد ما بين النهرين.[1]

ومن المعروف أن شعوب منطقة الخليج العربي جنوبي العراق(مثل السومريين والبابليين والفرس) ساهموا في تطور الملاحة، وكان نشاطهم التجاري واسعا في المحيط الهندي منذ العصور القديمة، وليس من المستبعد أن تكون جماعات منهم قد مارست نشاطها التجاري على سواحل البحر الأحمر وربما استقرت مجموعات منهم في بعض المراكز التجارية على سواحل البحر الأحمر. إلا أن ذلك النشاط التجاري -

[1] Flinders Petrie, *The Making of Egypt* London: 1939 p 65 – 77.

ويرى الباحثون - لم يتم في تلك الفترة المبكرة بل حدث بعد قرون من بداية عصر الأسرات.[1]

وعلى كل الأحوال فإن افتراض توحيد المملكتين المصريتين عن طريق غزاة أجانب من البحر الأحمر واجه نقداً مركزاً من الباحثين الحديثين. فقد وُجدت في الفن المصري المعاصر القديم قبل عصر الأسرات نقوش أبطال يصارعون الأسود، وأن شكل هذه الأسود ذوات الشعر الطويل على مقبض السكين موجودة في إفريقيا. وأن كل أشكال السفن والمحاربين مصريين ليس بينهم سفينة أو جنس غير مصري. والرداء الكثيف واللحية تشبه زي بعض القبائل الليبية ذات الصلاة القديمة بمصر.

ولذلك فقد استُبعدت فرضية الغزاة الأجانب من الفرضيات التي طرحت لتفسير قيام الحضارة المصرية.[2] هذا مع ملاحظة أن أولئك الغزاة قد افتُرِض حضورهم من عيلام من منطقة إيران الحالية وليس من شبه الجزيرة العربية أي ليسوا من السلالة السامية. فلا صلة للجنس العربي بهذه الفرضية. وبناءً عليه لا صلة للعرب بقدماء المصريين وقيام عصر الأسرات.

أما ما ورد في النص عن رأي الأثيوبيين في أصل سكان مصر والذي يقول:

"وأن الأثيوبيين [أي السود، ويريد هنا السودان الحالي] يقولون أن مصر مستعمرة من مستعمراتنا على اعتبار أن سكانها القدماء جاءوا إليها منهم" فهو رأي مشهور بين الباحثين الذين يرون أن سكان مصر في الأساس نزحوا من جنوب الوادي.

[1] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق. ج ١ ص ٧٣

[2] المرجع السابق ج ١ ص ٧٣- ٧٥ Michael A. Hoffman, *Egypt before the Pharaohs* ,University of Texas Press 1991 p 342

وأورد الباحثون الكثير من الأدلة على ذلك ليس من ناحية عرقية فقط بل كذلك من ناحية حضارية. فتوحيد شطري مصر وبداية عصر الأسرات والحضار الفرعونية بدأت في الأساس – كما يرى بعض الباحثين - في منطقة وادي حلفا الحالية ثم اتجهت شمالاً، وقد اثبتت الأدلة الآثارية أن ثقافات وحضارات ما قبل عصر الأسرات في السودان أقدم منها في مصر.[1]

ولذلك فرواية ديودورس والتي سجلها بعد نحو ثلاثة ألف سنة من قيام عصر الأسرات ربما عكست ما كان يتردد عن الجذور الأثيوبية لمؤسسي عصر الأسرات الأوائل. وربما أدت قوة العلاقات بين اليمن و الحبشة في القرون السابقة للميلاد، وهجرة جماعات عربية كبيرة في تلك الأوقات إلى الحبشة أدت إلى محاولة ربط أصول مؤسسي عصر الأسرات المصريين بالهجرات العربية التي دخلت الحبشة.

وهنالك نص آخر تواتر ذكره في المؤلفات العربية الحديثة ويُروى عن سترابو وبليني (القرن الميلادي الأول) ذكرا فيه: " أن العرب تكاثروا في أيامهما على العدوة الغربية من البحر الأحمر حتى شغلوا ما بينه وبين النيل في أعلى الصعيد، وأصبح نصف سكان قفط منهم وكان لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل"[2]

---

[1] لعل من المراجع الهامة في هذا الموضع كتابات شيخ انتا ديوب باللغة الأنجليزية مثل:
The African Origin of Civilization: Myth or Reality. Chicago:1974; "Origin of Ancient Egyptians" iMokhtar ed. *Genral History of Africa Vol II Ancient Civilization of Africa* UNESCO 1981.
نوقش هذا الموضوع أيضا في كتاب معد للنشر لكاتب هذا الموضوع بعنوان
Africa, the Mother continent: An Introduxtion to its Ancient History.

[2] انظرعبد المجيد عابدين، في تحقيقه لكتاب: المقريزي، *البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب*: مع دراسة في تاريخ العروبة في وادي النيل الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩ ص ٨٩

وقد ناقشنا في الفصل الأول مدلول كلمة عرب قبل الإسلام وخلصنا إلى أن هذا اللفظ لم يكن يطلق على جنس بعينه بل كان يطلق على كل البدو (الساميين) سكان الصحراء الشمالية لشبه الجزيرة العربية. واستخدم الكتاب اليونانيون والرومان لفظ عرب بنفس هذا المفهوم. فعندما أطلق هيرودوت مثلاً على سلسلة جبال البحر الأحمر المصرية "سلسلة الجبال العربية"[١] لم يكن يقصد بالعربية هنا الجنس الذي عرف فيما بعد بهذا الاسم أو يقصد به الجزيرة العربية بل قُصد به سلسلة الجبال في أرض البدو.

فتكاثر العرب هنا قصد به تكاثر الجماعات البدوية سواء العناصر البدوية المصرية التي كانت تتجول في الصحراء الشرقية أو ربما حدث التكاثر عن طريق وصول هجرات بدوية عبر سينا. وربما كان الوافدون أنباطاً والذين قال عبد المجيد عابدين عنهم "بالرغم من حديث مؤرخي العرب الأوائل من أن لفظ نبطي يدل على الذم وأنهم من غير العرب وأن لغتهم فاسدة تشبه الرطانة ... إلا أن العلماء أثبتوا عروبتهم"[٢]

والملاحظ أن كتب النسب العربية المبكرة لم تتناول النبط من بين القبائل العربية، بل لم تتعرض لهم في رصدها لكل أنساب قبائل العرب. وقد عثرت بعد كثير من البحث في كتب الأنساب والتاريخ على نصين فقط ذكر المغيري أحدهما جاء فيه:" وأما نبيط فمن ولد نبط بن ساش بن آدم بن سام بن نوح."[٣]والنص الثاني ذكره الصحاري وهو عبارة عن محادثة تمت بين خالد بن الوليد - عند بداية فتح العراق - وأحد مواطني جنوبي العراق جاء فيها الآتي:

---

1 *The History of Herodotus,* Robert p. Gwinn Publishers 2nd ed. 1990 p 50

٢عبد المجيد عابدين، المرجع السابق ص ٨٤

٣ المغيري، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب. موقع الوراق http://www.alwarraq.com

" فقال له خالد: من أين أقبلت؟ قال: من ورائي. قال له: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال له: فمن أين أقص أثرك؟ قال: من صلب أبي. قال له: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي. قال له: فعلى ما أنت. قال: على الأرض. قال له: وفيم أنت؟ قال: في ثيابي. قال له: أتعقل إذا عقلت؟ قال: والله اني أقيد. قال له: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل وامرأة. قال له: ما سنك؟ قال: عظم. قال له: ما تزدني في مسألتك الا عمى. قال: ما أجبتك الا عن مسألتك. قال له: أعرب أنت، أو نبط؟ قال: عرب استبطنا ونبط استعربنا."[1]

ورغم أن النص يوحي بأنه موضوع ومنسوب إلى خالد، ولكنه يحمل حقيقة أن العرب لم يكونوا يعتبرون الأنباط عرباً، وإلا لما سأله خالد: أعرب أنت أم نبط؟ فميز خالد بين العرب والنبط. فالأنباط أمة سامية مثلهم مثل العبرانيين والحبش والعرب وغيرهم ولكنهم ليسوا عرباً كما يدل النص أعلاه.

وكانت لهم دولة قوية جنوبي سوريا، وعاصمتم البتراء مشهورة في التاريخ. وكان الأنباط سادة النشاط التجاري في مناطق البحر الأحمر و مصر و الشام في القرون الأخيرة التي سبقت ميلاد المسيح وحتى القرن الميلادي الأول. والأنباط أبالة تجولوا في صحراء مصر الشرقية في خدمة التجارة، وكانوا يستخدمون الطرق الرومانية المحصنة والمحروسة، وكانت لهم معابد ومراكز ينزلون بها.وقد امتد نشاط قوافلهم التجارية غرباً حتى منطقة ليبيا الحالية.[2]

ويبدو منطقيّاً أن تكون إشارة بليني وسترابو راجعةً إلى هؤلاء البدو، لأن لفظ عرب كانت تعني البدو. وسكان شبه الجزيرة العربية من غير البدو في ذلك الوقت كانوا يعرفون بأسما ممالكهم أو مناطقهم مثل الحميرين أو السبايين أو الغساسنة.

---

[1] الصحاري، *كتاب الأنساب* (موقع الوراق)

[2] نفسه ص ٨٢- ٨٣.

وقد استند محمد صالح ضرار في رأيه الذي يجعل البجة عربا على ما نقل عن سترابو من "أن العرب كانوا يسكنون الطرف الغربي من البحر الأحمر مابين مصر والحبشة"[1] وأن البجة تكونوا نتيجة لمثل تلك الهجرات العربية. ومن الواضح أن ضرار بنى حكماً على فرضية أن العرب في النص مقصود بهم الجنس العربي، وهذا خطأ. فالعرب هنا مراد بها جماعات بدوية سواءً كانوا ساميين مثل الأنباط والعبرانيين أو غير ساميين مثل البدو المصريين.

بعض ما ورد في المصادر العربية المبكرة

المادة التي وردت في المصادر العربية المبكرة عن العلاقات بين العرب و إفريقيا قبل الإسلام ارتبطت بهجرات أو غزو ملوك اليمن إفريقيا وتكوينها للقبائل البربرية في شمال إفريقيا والصحراء الكبري. وتلك المادة عبارة عن نصوص تناقلتها أغلب المصادر بروايات متفقة أحيانا ومختلفة أحياناً أخرى.

وقد تعرضنا لها في الفصل الأول، وخلصنا إلى أنها عبارة عن قصص بطولات وأساطير وليست تاريخاً. ونتعرض هنا لبعض النصوص التي ورت في المصادر العربية عن حروب ملوك اليمن الذين ارتبط تعريب إفريقيا و السودان قبل الإسلام بحروبهم. أورد ابن خلدون في هذا الصدد:

"كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقية والبربر من بلاد المغرب وأن أفريقش بن قيس بن صيفي من أعاظم ملوكهم الأُوَل، وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل غزا أفريقية وأثخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم . وذكر المسعودي أيضا أن ذا الاذعار من ملوكهم قبل أفريقش وكان على عهد سليمان (عليه السلام)

[1] محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان: ممالك البجة قبائلها وتاريخها. القاهرة دار الاتحاد العربي للطباعة ١٩٦٢، ج١ ص ٣٤.

غزا المغرب ودوخه. وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع. وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو أسعد أبو كرب"[1]

وأضاف ابن خلدون في مكان آخر:

"وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمساً وعشرين سنة ... ثم ملك بعده ابنه أبرهة ذو المنار مائة وثمانين سنة... ثم ملك من بعده أفريقش بن أبرهة مائة وستين سنة ... وقال ابن حزم هو افريقش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائش وهو الذى ذهب بقبائل العرب إلى افريقية وبه سميت، وساق البربر إليها من أرض كنعان، مر بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم فاحتمل الفل منهم وساقهم إلى افريقية فأنزلهم بها وقتل ملكها جرجير. ويقال انه الذى سمى البرابرة بهذا الاسم لانه لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم قال ما أكثر بربرتهم فسموا البرابرة. والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الاسد. ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة و كتامة فهم إلى الآن بها."[2]

وقد ناقشنا في الفصل الأول ضعف مثل هذه الروايات وعدم مصداقيتها وأوردنا حكم ابن خلدون عليها والذي جاء فيه:

"ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب، وأنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقية والبربر من بلاد المغرب ... ... ومن هذا ذهب الطبري و الجرجاني و المسعودي و ابن الكلبي إلى أن صنهاجة و كتامة من حمير وتأباه نسابة البربر وهو الصحيح...

[1] ابن خلدون، العبر ج ١ ص ١٢.

[2] نفس المصدر ج ١ ص ٥١.

وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة."[1]

وبالإضافة إلى ذلك نلاحظ الآتي على هذه النصوص:

i. يسيطر على هذه النصوص الطابع الأسطوري الذي يضفي البطولات المبالغ فيها على تلك الشخصيات وأعمالها، فقد ورد على سبيل المثال أن تبع الأول حكم أربعمائة سنة. وأن اليمنيين تركوا بعض قبائلهم في المناطق التي غزوها مثل الصين حيث أثرت تلك القبائل على سكانها، كما جعلت بقايا تلك القبائل سكان التبت عربا. ويبدو أن طابع البطولات هذه أتى نتيجة المنافسة بين عرب الشمال وعرب الجنوب الذي اشتدت حدته بعد الإسلام، ولذلك كان أغلب رواة تاريخ العرب قبل الإسلام ينتمون إلى القبائل اليمنية. وقد أثرت تلك المنافسات تأثيراً مباشراً غلى الأوضاع السياسية للخلافة خاصة فى العصر الأموي وبدايت العصر العباسي. وتراوحت حدة تلك المنافسات ما بين الحروب إلى المناظرات.

وقد أورد المسعودي مثالاً لمناظرة حدثت في بلاط أول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح بين قحطاني ونزاري أي عدناني جاء فيها:

"وقد فخر بعض أولاد قحطان في مجلس السفاح بمناقب قَحْطَان من حمير وكهلان على ولد نزار. و خالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد منصتون هيبة للسفاح؛ لأن أخواله من قحطان. فقال السفاح لخالد بن صفوان: ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها؟ فقال خالد: ماذا أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغ جلد، أو ناسج برد، أو سائس قرد، أو راكب عَرْد، أغرقتهم فأرة، وملكتهم امرأة، ودل عليهم هدهد، ثم من مر في ذمهم إلى أن

---

[1] *نفس المصدر* ج ١ ص ١٢.

انتهى إلى ما كان من قصتهم وتملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس إياهم."[1]

ii. تاريخ اليمن الجنوبي أغلبه مدون في الآثار التي خلفتها ممالك اليمن ولا يوجد ما يشير في تلك الآثار إلى أن ملوك اليمن ملكوا ما بين المغرب وشرق أوربا شرقاً حتى الصين غرباً. وفي ذات الوقت لم يرد في آثار تلك النماطق التي ورد أن ملوك اليمن غزوها مثل الإمبراطوريات الفارسية والصينة والرومانية الشرقية (الروم) أي إشارة لتلك الغزوات مما يؤكد عدم حدوثها على الإطلاق. ويرى المؤرخون أن تبع المذكور في نص ابن خلدون والذي أوردت المصادر العربية أخبار فتوحاته ما بين الصين وجنوب أوربا الذي أوردت المصادر العربية أخبار فتوحاته ما بين الصين وجنوب أوربا هو الملك الحميري " شمر يعنهم ١١٥- ٣٤٥م". وأن الآثار التي ترجع إلى عصره توضح حروبه جنوبي اليمن وليس هنالك أي إشارة إلى حروبه خارج تلك المناطق

iii. ورد في النص أن الملك افريقش كان على عهد النبي موسى عليه السلام أو قبله بقليل، ويلي ذلك مباشرة أن الملك ذا الأزعار حكم قبل افريقش وكان على عهد النبي سليمان عليه السلام. ومن المعروف أن سليمان أتى بعد عدة قرون من عهد موسى، فقد خرج بنو اسرائيل من مصر بقيادة موسى، ثم استقروا في فلسطين وأسسوا دولهم التي كانت من بينها مملكة سليمان. وقد جعل النص حكم ذا الازعار قبل افريقش بينما جُعل افريقش في زمن موسى أو قبله بقليل.

iv. جاء في النص الثاني ما يوضح أن الحرث الرائش جد افريفش، بينما ورد في النص الثالث أن افريقش أخو الحرث الرايش.

مثل هذا التضارب في النصوص، وطابعها الأسطوري، وعدم مطابقة معظمها للوقائع التاريخية المدونة يؤكد حكم ابن خلدون كما عبّر بأنها " أشبه بأحاديث القصص الموضوعة" ويجعلنا حذرين من الاستدلال بها. ورغم ما رأينا من عدم مصداقية هذه

[1] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ٢٧١.

النصوص، فإنني لم أعثر فيها على ما يشير إلى دخول أية قبيلة عربية إلى السودان قبل الإسلام، والذي ورد فقط هو ما ذكر عن انتساب البجة و النوبة و الزغاوة و الزنج والحبش وغيرهم من أجناس السودان إلى حام بن نوخ.

بعض ما ورد في المؤلفات الحديثة:

يلاحظ على الكتاب فى العصر الحديث أنهم عمموا استخدام كلمة عرب وأطلقوها – قبل الإسلام - خطأً على الجماعات السامية من سكان شمال شبه الجزيرة العربية و الشام الذين كانت لهم صلات قديمة بإفريقيا. فكلمة "عرب" كانت تطلق علي كل القبائل البدوية في تلك المناطق.

ولذلك فاطلاق لفظ العرب من قبل الكتاب في العصر الحديث علي تحركات الشعوب البدوية أو غير العربية في المنطقة قبل الإسلام إطلاق غير دقيق، ولا يحمل أى معنىً واضحاً بل يؤدي إلى الخلط وطمس الحقائق. مثل نص عبد المجيد عابدين الذي أشرنا إليه سابقاً والذي جاء فيه:

"بالرغم من حديث مؤرخي العرب الأوائل من أن لفظ نبطي يدل على الذم وأنهم من غير العرب وأن لغتهم فاسدة تشبه الرطانة ... إلا أن العلماء أثبتوا عروبتهم."[1] بالطبع لم يوضح الكاتب كيف أثبت العلماء عروبة قومٍ في وقتٍ لم يكن لمدلول كلمة العرب أي مفهوم قومي بل كانت تعني البدو، فهل قصد المؤلف أن العلماء اثبتوا بداوة الأنباط؟

وأعتقد أن كثيراً من الكتاب الذين استخدموا لفظ "العرب" للدلالة على تحركات كل السلالات السامية قبل الإسلام يدركون أن استخدامهم خطأ،

[1] عبد المجيد عابدين، في كتاب البيان والاعراب ص ٨٤

ولكنهم يتعمدون ذلك الخطأ للاستدلال به على أحكامهم المسبقة. ويمكن إلقاء نظرة سريعة على المادة التي وردت في بعض المؤلفات الحديثة عن العرب بصورة عامة بتناول بعض النماذج التي وردت عن صلاتهم بإفريقيا للتجارة أو الغزو أو الهجرة أولاً عبر البحر الأحمر ثم ثانياً عبرصحراء سينا.

أولاً: الصلات عبر البحر الأحمر

تمثلت المادة التي وردت تحت هذا القسم في الصلات الطبيعية عبر البحر الأحمر بصورة عامة، والصلات بين الساحل اليمني و الساحل الإفريقي بصورة خاصة. ولعل في عبارات شوقي الجمل تحت عنوان: العرب وبلاد السودان قبل الإسلام خير مثال لما ورد عن الصلات الطبيعية عبر البحر الأحمر حيث قال:

"البحر الأحمر بحر هادئ ضيق . ولما كانت الأحوال الاقتصادية في الجزيرة العربية فقيرة وطاردة فقد امتد نشاط العرب الى سواحل البحر الأحمر السودانية واستقر كثير من سكانها بالنوبة الشمالية واشتغلوا كوسطاء في التجارة أو في مناجم الذهب واختلط العرب المهاجرون بالسكان الأصليين وأثروا فيهم وتأثروا بهم."[1]

وأود أن أبدا بالملاحظة التالية عن سواحل البحر الأحمر:

سواحل البحر الأحمر السودانية أيضا فقيرة وغير جاذبة مثل سواحله العربية المواجهة للسودان. وربما لهذا السبب لم يجعل شوقي استقرار العرب الذين قال انهم عبروا البحر الأحمر على الساحل مخالفاً بذلك أغلب الروايات التي تجعل الاستقرار في بلاد البجة أو صحراء مصر الشرقية. وجعل شوقي استقرار الهجرات في بلاد النوبة التي تفصلها مناطق صحراوية قاحلة طاردة.

[1] شوقي الجمل، *تاريخ سودان وادي النيل* القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ج ٢ ص ٢٢٩- ٢٣٠.

ولم يوضح د.شوقي كيف تم الانتقال من سواحل البحر الأحمر السودانية إلى بلاد النوبة. وبين أن المهاجرين اشتغلوا في معادن الذهب، وهذا ما لم أعثر عليه في المصادر التي تناولت تاريخ مصر قبل الإسلام. واشتغال العرب بالتعدين في مناطق وادي العلاقي تم – كما في المصادر العربية المبكرة – بعد الإسلام. ولعل استاذنا دكتور شوقي قدم هذا الافترض لانهم – كما يرى – أتوا عن الطرق التي تمر بمناطق تلك المعادن.

وإلى جانب فقر سواحل البحر الأحمر السودانية فمناطق الداخل القريبة من الساحل فقيرة أيضا ولا تساعد في تزويد الساحل باحتياجاته، ولذلك لم تشتهر الكثير من المواني والمراكز التجارية على طول سواحل البحر الأحمر الغربية، فلم يزد عدد المواني والمراكز التجارية الهامة - في عصر واحد - على طول سواحل البحر الأحمر الغربية أصابع اليد الواحدة.

وإذا نظرنا إلى سواحل شرق افرقيا الواقعة على المحيط الهندي نجد أن العرب قد انشأوا المراكز التجارية. وأسسوا الممالك قبل الإسلام في مناطق كينيا و تنزانيا الحاليتين وتركوا بصماتهم الواضحة عليها. وبالطبع فإن تأثيرهم السابق للاسلام على الحبشة غني عن البيان. ولذلك لا وجه للمقارنة بين نشاط العرب على ساحل شرق افرقيا والحبشة وأنشطتهم على سواحل البحرالأحمر السودانية. إذ لا توجد آثار للعرب على سواحل البحر الأحمر السودانية قبل الإسلام مثل آثارهم في الحبشة وشرقي إفريقيا.

ولا يرجع السبب في اتصال واستيطان العرب سواحل شرق إفريقيا إلى امكانية توافر السلع التجارية في دواخل تلك المناطق أكثر منها في الدواخل السودانية بقدر ما يرجع إلى طبيعة المناطق الساحلية والداخلية وما تتميز به من موارد تجعل الاستقرار والاتصال بالداخل سهلاً.

فسواحل البحر الأحمر السودانية ساهمت بسلعها في تجارة المنطقة، وكانت أغلب تلك السلع تأتي من أعإلى النيل الأزرق ومناطق نهر عطبرة و القاش و خور بركة وامتداداته شرقا، أي أن أغلب سلع تلك المواني كانت تأتي من داخل حدود السودان و أرتريا . فالسلع كانت متوفرة وكانت تصل بانتظام إلى سواحل البحر الأحمر إما عن طريق التجار المحليين أو عن طريق التجار العرب والمصريين والهنود وغيرهم.

فالعرب عبروا البحر الأحمر وقامت موانى هنا وهناك على سواحل الغربية من أقدم العصور، وساهمت تلك الموانى في خدمة التجارة العالمية. ولكن لم تتكون مستوطنات أو ممالك عربية أو مراكز تجارية كثيرة علي سواحل البحر الأحمر السودانية مثل تلك التى قامت على سواحل شرق افريقيا.

وقد جاء في أغلب المؤلفات الحديثة أن الصلات بين العرب والسودان قبل الإسلام تم أغلبها عن طريق العبور من سواحل اليمن إلى الحبشة أولاً ثم إلى السودان، إما عبر تحركات سلمية من أجل الاستقرار والتجارة، أو تحركات من أجل الغزو. وبالطبع فقد سهل مضيق باب المندب العبور بين ساحلي البحر الأحمر.

ويمكن النظر إلى عاملين أثراً على طبيعة تحرك سكان جنوب شبه الجزيرة العربية أولهما: أن جنوب شبه الجزيرة العربية غني بموارده المائية والزراعية إذا ما قيس بمناطقها الوسطى أوالشمالية، ثانياً: ارتبط سكان جنوب شبه الجزيرة ارتباطاً قوياً بالنشاط التجاري في المحيط الهندي و البحر الأحمر.

هذين العاملين جعلا ارتباط اليمنيين ببلادهم قوياً ولم يكن البحث عن المهاجر البديلة على سواحل البحر الأحمر أولوية في كل الأحوال. فقد أسس عرب الجنوب المراكز التجارية وكانت لهم جاليات في مناطق كثيرة على سواحل المحيط الهندي، ورغم ذلك كان ارتباطهم بالوطن الأم كان قويا.

ويعني هذا أن النشاط التجاري لليمنيين لم يكن وسيله للهجرة بل كان عاملا لانتعاش سواحلهم التي كانت توفر سبل الحياة والثروة اكبر بكثير مما توفره سواحل البحر الأحمر الغربية أو المناطق الداخلية لتلك السواحل. وربما فسر ذلك انحصار الأثر العربي على اثيوبيا الغنية بمواردها الزراعية. فقد هاجر اليمنيون في القرون السابقة لميلاد المسيح واستقروا على المناطق الزراعية في الهضبة الأثيوبية.[1]

ولذلك لم توثق المصادر العربية المبكرة هجرات قديمة وكبيرة لعرب الجنوب خارج أرضهم – ما عدا ما ذكر عن حروب ملوكهم – إلا بعد انهيار سد مأرب. وقد انتشرت

[1] J. S. Trimingham, *Islam in Ethiopia* Oxford University Press 1952 p 7.

القبائل اليمنية بعد انهيار السد داخل شبه الجزيرة العربية وفي العراق والشام. ولم ترد أي إشارة في المصادر إلى دخول هجرات يمنية إلى إفريقيا بعد انهيار السد.

ومن أمثلة مل ورد في المؤلفات الحديثة عن هجرة القبائل العربية لوادي النيل قبل الإسلام ما كتبه أحمد الحفناوي دون أن يذكر مهدره جاء فيه الآتي:

"في الألفي سنة قبل الميلاد هاجرت جماعات عربية من جنوب غربي الجزيرة العربية إلى الحبشة، وبلغت هذه الهجرات أقصاها في عهد دولتي معين وسبأ، وحمل المعينيون والسبئيون لواء التجارة في البحر الأحمر ووصلوا في توغلهم غرباً إلى وادي النيل ... ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم."[1]

الجزء الأول من النص "هجرة عرب الجنوب إلى الحبشة" تؤكده الكثير من الأدلة الأثرية حيث ورد في الآثار اليمنية والحبشية ما يؤكد تلك الصلات، كما يؤكد تلك الصلات أيضا العلاقة بين اللغتين الحبشة والعربية فكلاهما ينتمي إلى مجموعة اللغات السامية. كما هوثابت في التاريخ أيضا نشاط عرب الجنوب في التجاري مع سواحل الحبشة سواء تم ذلك عبر البحر الأحمر أو المحيط الهندي.

ولكن ما يصعب أثباته هو الجزء الأخير من النص المتعلق المتعلق بوادي النيل. ومثل هذا النص يتكرر كثيرا في المؤلفات الحديثة ويأتي في أغلب الأحيان في سياق عام وبدون مصدر كما ورد هنا، أو تأتي الإحالة إلى مرجع آخر حديث ويفتقر بالتالى إلى مصدر لتوثيق الخبر. وحتى مايرد منها مذيلاً بمصدر لا تُؤكد الإحالة المشار إليها الموضوع المطروح تأكيداً يسند مصداقيته، بل تكون الإحالة قابلة إلى الكثير من التأويلات التي لا يُشار إليها، كالاحتجاج بهجرات العرب الى صحراء مصر الشرقية ووادي النيل بما ذكره سترابو من تكاثر العرب في تلك المناطق.

[1] أحمد الحفناوي، سودان وادي النيل في ظل الاسلام ص ٤٦.

وقد يكون الكاتب المُستدل بالنص على علم بمعنى "عرب" الوارد في النص (أي البدو كما وضحنا) ولكن لا يشير إلى ذلك لكي يجد السند لوجهة نظره. وقد سبق أن أوضحنا أن روايات المصادر العربية المبكرة عن هجرات قبائل العرب لإفريقيا قبل الإسلام – رغم تناقضها ورفض ابن خلدون لها – فإنها ارتبطت فقط بالمغرب والصحراء الكبرى، أي أن وادي النيل وبالأخص السودان لم يكن مسرحا لتلك الروايات.

ويلاحظ على نوعية مثل هذا النص التعميم، فالمؤلف يشير إلى وادي النيل بصورة عامة، ولكن سياق الحديث يُرجِع النص بالضرورة إلى المنطقة موضوع النقاش. فالمؤلف يسعى إلى تأكيد عروبة السودان في كتابه المعنون بـ" سودان وادي النيل في ظل الإسلام" فوادي النيل في النص إطلاق عام يصدق على مناطق القاهرة و أسوان و حلفا و الخرطوم و سنار و ملكال و جوبا وغيرها من مناطق وادي النيل خارج حدود السودان.

ولم يوضح النص أي الطرق سلكتها تلك الهجرات إلى وادي النيل، وكيف استقرت تلك وأين الهجرات؟ وكيف كانت الأوضاع السياسية للمناطق التي وصلتها تلك الهجرات؟ هل استقرت استقراراً سلميا وتقبلها السكان المحليون، أم تم إستقرار تلك الهجرات بالقوة؟

فوصول واستقرار الهجرات حدث كبير في التاريخ لا يحدث بدون آثار كبرى تدون أحداثها ليس في مناطق الهجرات فقط، بل وكذلك في المناطق المجاورة. يتجاوز المؤلف كل هذه الأسئلة ويقفز إلى الاستنتاج المطلوب وهو أن تلك الهجرات أدت إلى تعريب سودان وادي النيل.

فأحداث السودان في الألفي سنة السابقة للميلاد مدونة في الآثار المصرية والسودانية، ومن غير المعقول أن لا تدون مثل تلك الهجرات التي لم تكن هجرة واحدة فقط بل أكثر من ذلك كما جاء في النص "ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم" ومن الواضح أن مثل هذه النصوص قُصد بها خدمة قضية الكاتب المطروحة للنقاش والتي يحتاج إلى توثيقها بحثاً عن الحجة لدعم موقفه.

وإذا رجعنا إلى نص د. شوقي الجمل السابق والذي جاء فيه أن كثيراً من العرب استقروا بالنوبة الشمالية واشتغلوا بالتجارة واختلطوا بالسكان الأصليين نجد أن مثل تلك الهجرات ذات التأثير السكاني والاقتصادي لا بد وأن تترك آثارها الواضحة على تاريخ المنطقة. ود. شوقي درس في كتابه "تاريخ سودان وادي النيل" تاريخ السودان الشمالي منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الإسلامي ولم يشر في كل المراحل التي درسها إلى وصول أيّ هجرة عربية أو أيّ نشاط عربي في تلك الناطق، بينما أشار كثيراً إلى الهجرات التي وصلت من الصحراء الواقعة إلى الغرب من النيل واستقرت في مناطق النوبة وغيرها شمالاً وجنوباً على وادي النيل.

وننتقل إلى نموذج آخر من النصوص الواردة في المراجع الحديثة للاستدلال على عروبة السودان وهو ما ورد عند دروزة: "أن المصريين والسودانيين من أصل واحد وقد جاؤا إلى وادي النيل من بلاد العرب عن طريق الصومال على ما تدل عليه البحوث والاستقراءات"[1]

فالمؤلف تناول أصل شعبين ساهما بدور فعال في التراث الحضاري القديم منذ عدة قرون قبل بداية الحضارة في شبه جزيرة العرب، وقرر بكل بساطة أصلهما كحقيقة تاريخية ثابتة، مستدلاً عليها بمتخصص في التاريخ القديم دون أن يذكر لنا كيف

---

[1] دروزة، عروبة مصر ص ١٣.

توصل ذلك المؤرخ إلى تلك الحقيقة؟ وما هي البحوث والاستقراءات التي استند إليها؟ والسبب هو أن ما أورده مجرد روايات وآراء لا تستند إلى أدلة تاريخية أو علمية.

ولم يوضح المؤلف كالعادة كيف كانت أوضاع وادي النيل وقت وصول تلك الهجرات وغيرها من الأسئلة التي تثار في مثل تلك الأحداث. ويبدو لي أن أولئك المؤلفين افترضوا أن وادي النيل أو السودان – وهو المقصود في الدراسة – كان أرضاً بوراً لاساكن فيها ، أقصد لا حياة بشرية عليها ، وأن تلك الهجرات استقرت على تلك البقاع الخالية من البشر فأسست شعباً وحضارة السودان.

وكعادة مثل هذه النصوص العامة التي لا تُقبَل كحجة في أحداث التاريخ قررت أن العرب جاءوا عن طريق الصومال إلى وادي النيل. ووادي النيل يمتد من البحر الأبيض شمالاً حتي إقليم البحيرات في وسط إفريقيا جنوباً ، وكون أولئك المهجرون سكانه! هل هذه اسطورة أم حقيقة تاريخية؟ رغم أن المؤلف لم يوضح ذلك صراحة ولكن سياق الأحداث - وكونه لم يقل إن هذه اسطورة - يجعلنا نحكم أنه ذكرها كحقيقة أو حدث تاريخي. كيف يمكننا إثبات ذلك؟ في الواقع لا ينتظر منا المؤلف طرح مثل هذا السؤال بل ينبغي التسليم بذلك كما أورده.

وربما قصد المؤلف من أصل السودان العربي نفس ما دونه د. شوقي الجمل عن استيطان العرب قبل الإسلام في بلاد النوبة. وإذا كان ذلك هو المقصود فيكون الكاتب قد استخدم بلاد النوبة للدلالة على السودان . وهذا تعميم يؤدي إلى الخلط وسوء الفهم المقصود في أغلب الأحيان، لأن مدلول كلمة السودان الآن يختلف اختلافاً تاماً عن المدلول القديم لكلمة بلاد النوبة، ولو أراد المؤلف الاستشهاد بما قيل عن بلاد النوبة ينبغي عليه الإشارة إلى سكان بلاد النوبة ولا يطلق الحكم على كل السودان.

وقد ورد نص آخر قريب من هذا عند ماكمايكل الذي وضح المصدر الذي استند اليه وهو بليني الذي نقل الرواية كما هو مذكور عن جوبا Juba جاء في النص أن: "المصريين أصلهم عرب، أما عن جيرانهم على النيل من أسوان حتى مروي فهم ليسوا اثيوبيين (يعني ليسو سوداً) بل هم عرب، وحتى معبد الشمس – الذى لا يبعد كثيراً عن ممفيس يقال إن العرب أسسوه"[1]

جُوبا صاحب الرواية ، المقصود به الملك النوميدي الذي امتدت مملكته في مناطق تونس والجزائر الحاليتين. وقد حكم جوبا الثاني آخر القرن الأخير قبل الميلاد وهو ما يرجح نقل بليني. ويبدو على حكمه عن أصل سكان مصر والنوبة بعض الغرابة أولاً لبعده عن المنطقة، وثانياً لترجيح عدم وجود صلات قوية بينه وبين مصر وبلاد النوبة للدرجة التي تمكنه من الحكم على أصولهم العرقية.

ومن ناحية ثانية فقد سبق وأن ذكرنا أن كلمة عرب في مفهوم بليني – الذي نقل رأي جوبا – في ذلك الوقت لم تكن تعني جنساً بعينه بل كانت تطلق على البدو، وهو ما يجعل فهم النص متعذراً إذا صح نقله عن جوبا وقصد بجوبا ملك النوميديين. ولعل جوبا النوميديين أو جوبا آخر قصد البدو الذين كانوا يتجولون في الصحراء الشرقية أو الغربية.

ويتطابق هذا مع الفرضية التي تقول بأن توحيد مصر وبداية عصر الأسرات أتي نتيجة طبيعية للصراع الذي كان دائراً بين سكان الصحراء الإفريقية الكبرى والنيل تماماً كما حدث – على سبيل المثال – في الصراع الذي كان دائراً بين بدو صحراء شبه العربية وحوضي نهري دجلة و الفرات وأدى إلى قيام وتطور أغلب حضارات بلاد ما بين النهرين.

[1] H. A. Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* Vol.1 p 4.

وقد ذكر ماكمايكل هذه الرواية في سياق ما ورد عن فرضية الغزاة الأجانب الذين أتوا من الجزيرة العربية ووحدوا مصر وبدأوا الحضارة المصرية. ثم عرج إلى السودان ليدعم وجهة نظره والتي جعلت من سكان مملكة مروي عرباً أتوا من اليمن.

وقد أشار ماكمايكل إلى الأثر العربي في بلاد النوبة عن طريق ما أوردته المصادر العربية المبكرة عن غزو ملوك اليمن إفريقيا. وأورد مثالاً على ذلك الملك ذو المنار الذي جعل ولادته ١٣٤ ق.م.، والملك افريقش أو ابنه والذي أرخ لغزوه المغرب نحو عام ٤٦ ق.م.. وأضاف أن الملك ذو المنار أغار على السودان في طريقه إلى المغرب. وهذا ما لم أعثر عليه في المصادر العربية رغم اجتهادي في البحث عنه.[1]

والملكين اليمنيين الذين ذكر – ماكمايكل - أن عصرهما يرجع إلى القرنين الثاني والأخير قبل الميلاد ذكرت المصادر العربية التي نقل عنها انهما حكما في عصري النبيين موسى وسليمان عليهما السلام. ومن المعروف في التاريخ أن عصر هذين النبيين يبعد مئات السنين من الزمن الذي يتحدث عنه ماكمايكل.

وقد أتي ماكمايكل في هذا الصدد أيضاً برواية لم أعثر على أثرها في المصادر العربية نقلها عن Caussin de Perceval - ولم يذكر مصدره – جاء فيها أن: " أبا مالك الحميري الأصل قاد حملة إلى بلاد البجة بحثا عن الزمرد، إلا أنه وجيشه قد هلكا." وجعل تاريخ هذه الحملة العقود الأولى من القرن الميلادي الأول.

ومن بين ملوك حمير الذين ذكروا في المصادر العربية لم أجد من حمل لقب "أبا مالك" غير الملك الحمير أبا مالك بن حمير بن سبأ الملك الرابع في سلسلة ملوك حمير، اي قبل عصري ذي المنار و افريقش، فعصره بناءاً على ذلك قبل القرن الأول الميلادي بعدة قرون. هذا إلى جانب أن مصر كان في ذلك الوقت تحت الحكم الروماني، وكان

[1] Ibid. p 7 – 8.

الرومان ينافسون اليمنيين في البحر الأحمر، وقد أرسلوا حملة للهجوم على اليمن. فكيف يقود ملك اليمن جيشاً للبحث عن الزمرد في أراضي تحت حكم الرومان، وقد كان معدن الزمرد كما بين المسعودي "من شمال مدينة قفط"[1] في صعيد مصر، ونقل ابن سليم الأسواني عن الجاحظ "أنه ليس في الدنيا معدن للزمرد غير هذا الموضع."[2]

ولا أعتقد أن ما ذكره ماكمايكل من أن "معبد الشمس قد أسسه العرب لأنهم كانوا يعبدون الشمس" يحتاج إلى أيضاح، فكم من الشعوب القديمة قد عبدت الشمس قبل عرب الجنوب مثل قدماء المصريين وشعوب بلاد ما بين النهرين، ومن المعروف في التاريخ أن هذا المعبد أسسه الملك المروي أركاماني بين سنوات ٢٠٦- ١٨٦ ق.م. لعبادة الإلاه مندوليس الذي كان يعبده البليميون في المنطقة.[3]

وإذا أردنا معرفة السبب وراء تلك التوجهات العربية لأولئك الكتاب والذين سعى بعضهم للوي عنق الزجاجة – سواء العرب منهم أو السودانيين أو الأوربيين – لإثبات عروبة وادي النيل رأينا أن لكلٍ غرضه الذي يسعى إلى تحقيقه. فإخواننا المصريون الذين سايروا دعوة القومية العربية منذ النصف الأول من القرن العشرين شرعوا في العمل لطبع وادي النيل كله بالطابع العربي لتحقيق هدفهم القومي، وفي نفس الوقت لربط السودان بالرباط العربي لدعم طموحاتهم السياسية في السودان التي تبنتها الحكومات المتتالية في مصر.

فالسياسة الخارجية لحكام مصر الأتراك منذ بداية القرن التاسع عشر كان من بين أهدافها الكبرى وضع يدها على السودان، ودخلت من أجل ذلك في صراعات

[1] المسعودي، مروج الذهب في مسعد، المكتبة السودانية ص ٥٤.

[2] في مسعد، المكتبة السودانية ص ١٠٥.

[3] كلايدي ونتر، "بينة مروية عن الامبراطورية البليمية في الدوديكاسخيونس" ترجمة اسامة عبدالرحمن النور. مجلة الآثار السودانية، العدد ٥ مارس ٢٠٠٤ ص٢ (online)

ومنافسات مع المستعمرين الأوربيين مبررة حقها في السيادة على السودان بما عرف "بحق الفتح". ومع تغير الأوضاع الدولية بعد الحرب العالمية الأولى استخدمت عروبة السودان إلى جانب حق الفتح لتُعزز حكومات مصر حقوقها في السودان خاصة وأن بريطانيا – التي قوي نفوذها في مصر – أصبحت منافساً قوياً في مسألة السيادة على السودان .

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٣ في مصر وتبني عبد الناصر الخط القومي العربي لم يطرح قادة الثورة حق الفتح لضمان السيطرة على السودان، بل طرحت مسألة عروبة السودان ووافق قادة الثورة على استقلال السودان العربي لكي ينضم إلى جامعة الدول العربية وليس إلى الكمنولث البريطاني، لكي يتمكن قادة الثورة من توقيع اتفاقية مياه النيل مع السودان وبناء السد العالي بعيداً عن مشاركة البريطانيين. ولذلك أصبحت مسألة عروبة السودان بالنسبة للكتاب المصريين قضية قومية ينبغي الدفاع عنها عن طريق طمس الحقائق واستخدام كل الأساليب التي تخدم قضيتهم.

وقد صادف ذلك التوجه تياراً قومياً عربياً في السودان سواء كان هدفه الحقيقي قوميا أو هدفه الوقوف ضد بريطانيا وتحقيق الاستقلال فانخرطوا في تيار العروبة. وربما ساعدت الظروف في ذلك الوقت هذا التيار لأن إفريقيا كانت مهضومة الحقوق ومطموسة الهوية يسود الظلام جميع مرافق حياتها. ولذلك اتجه الكثير من السودانيين – الشماليين بالطبع – وهم يبحثون عن الهوية نحو التوجه العربي وصدّقوا أو جاروا الكتاب المصريين في ما دبروه لعروبة السودان.

هذا ما يخص المؤلفين المصريين والسودانيين، فماذا عن البريطانيين الذين من المفترض ووفقاً لسياسات ذلك الزمان الوقوف ضد التيار العربي الذي سيقود السودان إلى أحضان مصر منافسهم الأولى على السودان. في واقع الأمر كانت هنالك قضية

أخرى وعلى درجة عالية أيضاً من الأهمية سيطرت على العقل الأوربي فيما يتعلق بإفريقيا منذ بداية القرن التاسع عشر.

وترجع جذور تلك القضية إلى بداية تعرف أوربا على الحضارة الإفريقية. فقد كانت إفريقيا في أعين الأوربيين قبل القرن الثامن عشر قارة سوداء، يسود الظلام كل شئ فيها بما في ذلك تراثها. فهي قارة لا تاريخ لها، وشعبها عاش متخلفاً منذ أن وجد على تراب تلك الأرض، لم يساهم بشئ في الحضارة الإنسانية.

وتأسست نظرية الاستعمار ورسالة الرجل الأبيض الحضارية في إفريقيا على ذلك لمفهوم. ولكن عندما بدأت أوربا تتعرف على التراث الإفريقي رأوا التراث الحضاري لمصر الفرعونية بدأت أفكارهم القديمة بارتباط الحضارة وتقدم البشرية بالرجل الأبيض فقط يهتز.

فقد لمس الأوربيون أمكانية تطور حضاري سابق للعصور اليونانية الرومانية، وكلما ازدادوا قرباً وبحثاً عن ذلك التراث تأكد لهم أن أوربا ليست سيدة العالم في التراث القديم، وأن تلك السيادة ربما – بل وكل الأدلة تشير إلى أنها – تمت على أيدي شعب وادي النيل القديم. فمن هو ذلك الشعب العظيم الذي خلف كل ذلك التراث؟ المشكلة التي واجهتهم هو المفهوم القديم الذي كان سائدًا في الأوساط العلمية عن شعوب إفريقيا والذي يقسم سكانها إلى ساميين وحاميين وزنوج.

وقد ارتبط تصنيف الحاميين في ذلك الوقت باللون الأسود، وكان المصريون وفقاً لتلك التقسيمات أبناء كوش الذي ينتمي إليه كل السود في إفريقيا. فكيف يعقل أن يرتبط الجنس الأسود بهذا التراث الحضاري؟ وبدأت الفرضيات والتفاسير التي جعل بعضها الشعب المصري شعباً سامياً لا صلة له بالسود، وقد رأينا كيف حاولت الفرضيات ربط قيام الحضارة المصرية بهجرات من شبه الجزيرة العربية.

ويبدو أن البعض الآخر لاحظ سمات العنصر الزنجي واضحة في بعض الآثار المصرية وبخاصة العناصر السوداء التي تقطن جنوب مصر، فتطورت النظرية التي فصلت الجنس الحامي من الجنس الزنجي. وأصبح سكان إفريقيا في نظر الأوربيين ثلاث سلالات رئيسة هي السلالة السامية والسلالة الحامية ونسب إليهما كل التطور والإنجاز الحضاري الذي عثروا عليه في القارة. ثم السلالة الثالثة وهم السود باقي سكان إفريقيا الذين ظلوا في المفهوم الأوربي يعيشون في مراحل التخلف وفي حاجة إلى خدمة الرجل الأبيض ينتشلهم من دنيا الظلام والهمجية إلى عالم النور والحضارة.

ولذلك دأب المؤلفون البريطانيون في كتاباتهم عن السودان منذ مطلع القرن العشرين – وأغلبهم خدم في السودان ورأى بعينه آثار التراث الحضاري القديم - على مسايرة التيار العربي في السودان، وأصبحت كتاباتهم لا تختلف كثيراً عن كتابات المصريين فيما يتعلق بعروبة السودان. وقد رأينا كيف أن ماكمايكل يستدل على عروبة السودان قبل الإسلام بالغزو الحميري.

٢.الصلات عبر صحراء سينا:

المعبر الثاني الذي دخلت عبره القبائل العربية إلى وادي النيل هو المنطقة الواقعة بين نهاية البحر الأحمر الشمالية والبحر الأبيض المتوسط والمعروفة بصحراء سينا. ولعل أقدم ما ورد في الهجرات عبر هذه المنطقة هو ما ذهب إليه مؤيدوا فرضية الغزو الأجنبي والأصل العربي للغزاة الذين دخلوا وادي النيل عبر البحر الأحمر عن طريق الصومال.

ويرى فريق آخر من مؤيدي فرضية الغزو الأجنبي أن اولئك الغزاة لم يأتوا عن طريق الصومال بل وصلوا عبر صحراء سينا. وقد ضعّف ماكمايكل هذا الرأي ووضح أن الأدلة الأثرية كما ذكر مؤرخو مصر القديمة تنقضه.[1]

---

[1] H. A. Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* Vol.1 p 5.

فقد أثبتت النصوص الواردة في تلك الآثار كما يقول ماكمايكل عن بعض مؤرخي الحضارة المصرية القديمة امثال اليوت سمث و برستد و Navile أن ملوك مصر شيدوا الأسوار والتحصينات لصد هجرات وغارات البدو عبر صحراء سينا منذ عصر الأسرة الأولى. وفي نفس الوقت وضحت الآثار العلاقات التجارية بين أولئك البدو والمصريين بما يوضح أن الصلات التجارية كانت قائمة بين الطرفين، لكن دأبت الحكومات المصرية على تأمين تلك الحدود أمام التسرب من أجل الاستقرار ولصد الغارات. وظلت العلاقة بين مصر والجماعات البدويةعلى حدود الدلتا الشرقية حتى منتصف القرن السابع عشر ق.م. حيث تغير الحال بغارات الهكسوس.[1]

ورغم ذلك نجد المؤلف المصري المشهر الكتور عبد المجيد عابدين يكتب عن العلاقات المصرية المبكرة عبر صحراء سينا في الجزء الخاص بالهجرات العربية قبل الإسلام بعد أن أوضح أن تاريخ مصر القديم لا يزال في حاجة إلى المزيد من البحث لإلقاء الضوء على الهجرات التي دخلت مصر من بلاد العرب: "ومع هذا فلا مجال للشك في أن طريق سينا كان قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات العربية إلى مصر منذ القدم."[2]

أولاً وكما أوضحنا فإن كلمة عرب في المؤلفات والآثار السابقة للإسلام كان يقصد بها أي مجموعات بدوية سامية أو غير سامية، ولم يقصد بها الجنس العربي. فتعبير "عرب" هنا يدل على أي مجموعة بدوية سامية ولا يعني الجنس العربي. ونكرر أنه من المؤسف أن كثيراً من المؤلفات العربية الحديثة تناولت كل الجماعات السامية البدوية شرقي صحراء سينا في القرون السابقة للإسلام باعتبارهم عربا، وهذا الخطأ - المقصود أو غير المقصود - يطمس الحقيقة ويضلل القارئ.

ثم ثانياً: هل هذا الأسلوب الذي عبر به المؤلف أسلوباً لكتابة التاريخ! فإطلاق الحكم العام بهذه الصورة "لا مجال للشك" في موضوع يتطلب المناقشة والاستدلال ليس أسلوباً علمياً على الاطلاق لا في كاتبة التاريخ ولا غيره.

---

[1] Ibid.

[2] عبد المجيد عابدين، البيان والاعراب ص ٧٧.

وعبارة "فلا مجال للشك" توحي بأن هنالك مجالاً للشك، ويمكن أن تكون العبارة مقبولة لو أورد المؤلف ما يزيل ذلك الشك، أما أن يفرض علينا المؤلف قبول قضية غير مثبتة فهذا لا مجال للشك في رفضه. فماذا لو أستخدم كاتب آخرنفس لغته وقال: "لا مجال للشك في أن طريق سينا لم يكن معبراً للهجرات العربية" وترك القارئ بدون أي شرح أوتعليل. أو يا ترى ماذا كان سيقول د. عبد المجيد عندما يقرأ ذلك ؟

وأغلب الظن أن المؤلف يدرك أن مثل هذه الأحكام العامة لا مجال لها في كتابة التاريخ، ولكن كان هذا سبيل الكثير من المؤلفين المصريين والسودانيين بقصد أو بغير قصد. والسؤال هو إذاً: لماذا استخدم هذا الأسلوب؟ والجواب هو لأنه لا دليل له لإثبات ما يقول، وهو في نفس الوقت يريد أن يفرض قضيته على القارئ كقضية مسلم بها.

وبغض النظر عن الفكر القومي العربي في مصر في ذلك الوقت فصلة المؤلف بالسودان قوية، فقد درّس في السودان وكتب عنه كثيراً ويعلم أن الدعوة لعروبة السودان - لشئ في نفس يعقوب - ستجد القبول المطلوب خاصة اذا أتت من مصدرٍ مثل عبد المجيد عابدين، فهي لا تحتاج إلى البحث عن الدليل.

والشئ الغريب أن المؤلف وفي نهاية الفقرة التي بدأها بعبارة " فلا مجال للشك" ذكر أن ملوك مصر كانوا يقاومون تلك الهجرات عبر صحراء سينا وأن قدماء المصريين أقامور "حصونا قوية متتابعة على حدود الدلتا الشرقية" لصد تلك الهجرات. ويواصل المؤلف في نفس المكان:

"ومن الأمثلة التي انتهت إلينا عن هجرات (العرب) أو الساميين إلى مصر، في تلك العصور، نلاحظ أن منها هجرات سلمية يؤخذ فيها رأي حاكم مصر، وما كانت تتم إلا بموافقته." ونقل عن ماسبيرو –أحد مشاهير مؤرخي مصر القديمة – مثالاً لذلك وهو صورة في الآثار القديمة تمثل عدداً من البدو يقدمون لفرعون مصر القرابين ليسمح لهم بالسكنى في وادي النيل.

فإذا كان مما "لا مجال للشك" فيه أن طريق سينا كان قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات العربية إلى مصر منذ القدم" فلماذا اعترضها حكام مصر وحاربوها وشيدوا الحصون أمامها؟ وإذا كانت سينا قنطرة مفتوحة للعبور بدون قيود لماذا يطلب البدو من حكام مصر الإذن للعبور والسماح لهم بالاستقرار؟ والملاحظ هنا أن المؤلف استخدم التعبير الصحيح وهو "الساميين" ليصف تلك الجماعات، لكنه ليدعم قضيته وضع كلمة "العرب" بين قوسين ليفسر بها الساميين، وهذا خطأ مقصود.

كما يلاحظ أن المصدر الذي رجع اليه المؤلف – ماسبيرو - قد استخدم لفظ البدو للاشارة إلى الجماعات التي طلبت السماح لهم بالاسقرار في مصر ولم يستخدم كلمة "عرب" لأن البدو بمعنى العرب كانت مفهوماً يونانياً رومانياً فقط. والمصدر المشار اليه هنا هو الآثار المصرية، كما لم يستخدم عبارة "ساميين" لأنه ليس كل الساميين بدو، والمعنيين بالنص كانوا من البدو الساميين.

ومنذ القرن السابع عشر قبل الميلاد تغيرت العلاقات بين مصر وغرب آسيا وذلك بغزوات الشعوب التي عرفت في مصر باسم الهكسوس. والذي يهمنا من أمرهم هو أن بعض الكتاب مثل جرجي زيدان و محمد عزة دروزة اعتبروهم عرباً. ورغم أن بعض المؤلفين ضعف هذا الرأي لكنهم لم ينفوا عروبتهم كما جاء عند ماكمايكل و عبد المجيد عابدين .

وقد خلط بعضهم بين الهكسوس و الشاسو كما فعل محمد صالح ضرار نقلاً عن جرجي زيدان فذكر أن "أمة الشاسو من عرب الشام هاجرت إلى إقليم البجة واستوطنت بين النيل والبحر الأحمر كما يتنقل فيها بدو هذه الأيام.... وكلمة الشاسو معناها عرب واشتهروا بالسطو ونهب أموال سكان وادي النيل، ويقال لهم الهكسوس."[1]

[1] محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان ج ١ ص ٣٥.

فالهكسوس – أو حكام البراري أو ملوك الرعاة - هو الاسم الذي أطلقه المصريون على الغزاه الذين بدأوا غاراتهم شرقي الدلتا منذ بداية القرن السابع عشر ق.م.. ويربط أغلب الباحثين بين هجرة الهكوس وبين هجرات كبيرة تحركت من سهوب آسيا الوسطى منذ أوائل الألف الثاني ق.م.، وتوجهت على فترات متقطعة وطويلة إلى الهند وغرب آسيا وشرق أوربا. وعرفت تلك الهجرات باسم عام هو: الشعوب الآرية أو الهندوآرية، وقد عرفوا بأسماء محلية في المناطق التي غزوها مثل الحيثيين في آسيا الصغرى والكاسيين أو الكاشيين في بلاد ما بين النهرين، والحوريين في أعالي الفرات، والهكسوس في مصر.[1]

ووصلت شعبة من تلك الهجرات سوريا في القرن الثامن عشر ق. م. واضطر الأمورين – وهم سلالة سامية – إلى التقهقر جنوباً نحو القبائل البدوية في جنوب سوريا ولحق بهم بعض الآريين الغزاة. وفي بداية القرن السابع عشر ق.م. أطلوا على الحدود المصرية. واستغلت تلك التجمعات ضعف الدولة المصرية فى ذلك الوقت فدخلوها تحت قيادة الآريين. وأطلق المصريون عليهم (حقاو خاسوت) أي حكام البراري، ثم تحور الاسم عند الكتاب اليونانيين إلى الهكسوس وهو الاسم الذي ترجم إلى ملوك الرعاة.[2]

فالهكسوس الذين غزو مصر خليط من البدو المقيمين جنوب منطقة الأردن الحالية ألى جانب الأموريين وهم ساميون الى جانب الآريين، والهكسوس هم الذين قادوا ذلك الغزو وبهم عُرِف. أما الشاسو فهو لفظ أطلقه المصريون القدماء علي جماعات سامية بدوية مختلطة الأعراق بدأت تظهر على حدودهم منذ القرن السادس عشر ق.م.. ويرى بعض الباحثين أنهم يمثلون الأصول المبكرة لبني اسرائيل، وربط بعض الباحثين بينهم وبين الأراميين الذين كانوا يتجولون جنوب منطقة الأردن الحالية.[3]

---

[1] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ٢٠٥ – ٢٠٧.

[2] نفس المكان السابق.

[3] Wikipediam the free encyclopedia http://en.wikipedia.org/wiki/Shasu

فهجرات الهكسوس والشاسو قد تمت منذ نحو ألفي سنة قبل أن تصبح لكلمة عربي دلالة على الجنس العربي الذي عرف بهذه السمة بعد الإسلام. فمن الخطأ وصف الكتابات الحديثة تلك الهجرات بأنها هجرات عربية، إلى جانب أن الذين استخدموا كلمة عرب وقصدوا بها البدو.

ولم يستخدم قدماء المصريين أو العبرانيون أو غيرهم من شعوب غرب آسيا كلمة عرب قبل الإسلام للدلالة على الجنس العربي. وقد ذكرنا أن هذا ما أكده الباحثون العرب أمثال الدكتور جواد على .

والمصادر القديمة – كما وضحنا - عندما تتعرض للهجرات السامية عبر صحراء سينا بدوية كانت أم غيرها تتناولها بالاسم الذي عرفت به في المناطق التي هاجرت منها. فقد رأينا – أعلاه – أن النقوش قد أشارت إلى النازحين بالبدو الفلسطينيين الذين يطلبون الإذن بالإقامة في وادي النيل فلم تطلق عليهم اسم العرب. وكما رأينا ايضا فالهكسوس والشاسو لم يطلق عليهم العرب.

وقد تناولت المصادر العبرية والمصرية بعض الهجرات السامية العبرية إلى مصر منذ عصر النبي يوسف عليه السلام والذي تربطه بعض القرائن – كما يرى بعض المؤرخين- [1] بعصر الهكسوس. فلماذا لم تطلق المؤلفات الحديثة اسم العرب على تلك الهجرات العبرية كما أطلقوه على الهكسوس والشاسو؟ .

وقد أورد دروزة في أماكن متعددة في كتابه "عروبة مصر" نماذج للكتابات في الآثار المصرية منذ عصر الاسرة الأولى وحتى الغزو الفارسى في منتصف الألف الأخير قبل الميلاد أي في مدة تزيد على ٢٥٠٠ سنة ولم ترد في تلك الكتابات كلمة عربي، بل كانت الإشارة إلى هجرات أو تسللات أو غزوات تلك الشعوب إما بعبارة البدو كما وهي الغالبة أو بأسمائها مثل الكنعانيين و الأموريين و الفينيقيين و الهكسوس والشاسو وغيرهم.

---

[1] http://www.answer.com/topic/josiph

وذكر دروزة أن الآثار المصرية القديمة كثيراً ما وصفت تلك الشعوب الآتية من غرب أسيا بالآسيويين. وأضاف "ويرادف المؤرخون بين هذا التعبير[آسيويون] وتعبير الساميين المرة بعد الأخرى، وكانت بلاد الشام التي يأتي منها هؤلاء الغزاه آهلة في هذه الظروف بالقبائل الآتية من جزيرة العرب والتي يجب أن يطلق عليها القبائل العربية." ويواصل دروزة: "والباحثون يرادفون كثيراً بين تعابير أسيويين وساميين وعرب... وهذا يسوغ القول أن من سموا بالآسيويين هم من الجنس العربي"[1]

والمؤلف أولا: لم يوضح من هم المؤرخون والباحثون الذين يرادفون بين تلك المصطلحات: آسيويون وساميون وعرب. ثم إنه جعل كل سكان الشام عرباً، إذ إن كل من أتى من جزيرة العرب – قبل الإسلام- فهو عربي مثل البابليين والكنعانيين والعبرانيين. ليس هذا فحسب بل وقد جعل كل سكان بلاد الشام عربا، بل "يجب أن يكونوا عربا."

واعتقد أننا إذا قبلنا أن اليهود عرباً يمكن أن نقبل أن الهجرات الآرية التي دخلت الشام أيضا عربا. وثانيا: وباختصار شديد إذا سلمنا أن المصطلحات: الساميون والآسيويون والعرب ذات معنى واحد، فهل يقبل العرب أن تكون الفرس والهنود والصينيون واليهود عرباً؟

وفي واقع الأمر فقد جعل دروزة كل فراعنة مصر عرباً، حتى الأسرة رقم ٢٢ والتي اتفق المؤرخون علي أنها ليبية الأصل قال عن مؤسسها "فإن صح أنه ليبي فإن الاحتمال بجنسيته العربية يظل وارداً، وإن كان يرجع في هذه الحالة إلى الأزمنة القديمة السحيقة." وهو بذلك يرجع إلى ما ذكره عن أصل الليبيين حيث قال: "قال غير واحد من الباحثين بأصلهم السامي الراجع إلى عهد سحيق في القدم."[2]

[1] دروزة، عروبة مصر ص ٢٨ و ١٧.

[2] المرجع السابق ص ١٧ و ١٨.

والذي نود التوصل إليه هنا هو التعرف على كتابات دروزة لأن أحكامه وصلت السودانيين أيضاً. فقد تناول الأصل العربي للسودانيين مؤسسي كوش و مروي. ففي أثناء تناوله الهجرات العربية إلى مصر في عصر الأسرة ١٩ في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ذكر نزول أولئك المهاجرين – الفينيقيون والكنعانيون – في كثير من المدن المصرية وقال: " وكان يقع مثل هذا من ناحية بلاد النوبة والسودان."[1]

وذكر أيضا "ولقد كانت بلاد النوبة وظلت محطة من محطات التموج العربي الجنس. وملامح النوبيين لا تفترق عن الملامح المصرية في شيء على ما تدل عليه صور وموميات الملوك المصريين القدماء الذين قيل إن أصلهم نوبي. فاحتمال كون النوبيين القدماء الذين قاموا بنشاط سياسي في مصر قبل قيام المملكة المتحدة من الموجات العربية الجنس غير بعيد، بل نكاد نقول إنه الأرجح في رأينا قياساً على الأمثال."[2]

ونظرة دروزة هنا إاى النوبة لا تختلف عن نظرة الأوربيين إلى السود، إذ حاول أن يبعد النوبة من الأصل الافريقي ويربطهم بالعرب. وإذا أوجب دروزة أن تكون كل القبائل السامية – واليهود ساميون – عرباً، وجعل فراعنة مصر والليبيين عرباً فلا غرابة إذاً أن تكون بلاد النوبة – عنده - محطة للتموجات العربية.

وقد اعتُبرت صحراء سينا أيضا معبراً لغزوات الحميريين التي أدت إلى تعريب البربر في شمال إفريقيا وتعريب سكان وادي النيل حتى الجزء الشمالى من السودان. وقد سبق أن ناقشنا ذلك وأوردنا حكم ابن خلدون ببطلان تلك الروايات، وتوصلنا إلى أن تلك الروايات تتعارض مع الحقائق التاريخية الثابتة، وأن المصادر الآثارية المعاصرة لتلك الأحداث لم تتعرض لها.

كما لم تتعرض المصادر في مصر أو السودان أو شمال إفريقيا لمثل تلك الغزوات مما يجعلها مجرد قصص بطولات اكتسيت الجانب الأسطوري وأخذت موقعها المميز

[1] نفسه ص ٥٦.

[2] نفسه ص ١٧.

في التراث الشعبي في تلك الأوقات ولا أساس لها في الواقع. وكان السبب وراء ذلك الانتشار الواسع لتلك الروايات هوالانتساب إلى العنصر العربي الذي كان سائداً وكان الانتساب إليه مفخرة وعزة.

وقد وردت بعض الإشارات عن هجرة قبيلة بَلي العربية إلى صحراء مصر الشرقية ودخولها أرض البجة قبل الإسلام نورد منها ما ذكر د. عبد المجيد عابدين تحت عنوان "القبائل العربية في إقليم مصر في العصر الجاهلي:

"أما قبائل قضاعة التي تشير المراجع إلى أنها كانت تنزل سينا فهي قبائل بليّ، إذ نفهم من كلام الهمداني أن أرضهم امتدت إلى برزخ السويس، وليس ببعيد أن تكون جماعات منهم قد تجاوزوا إلى الصحراء الشرقية كما فعل الأنباط. ولا ندري أي قبائل العرب عناهم سترابو [٦٦ ق. م. – ٢٤م] وبليني [٧٠م] وكلاهما مؤرخان يونانيان عاشا في أول العصر المسيحي حين ذكرا: أن العرب تكاثروا في أيامهما على العدوة الغربية من البحر الأحمر حتى شملوا ما بينه وبين النيل في أعلى الصعيد." ويعلق عبد المجيد على النص قائلاً: "ولا ندري ممن كان هؤلاء العرب، أكانوا من بلي أم من الأنباط أم من قبائل أخرى؟"

لم يوضح د. عبد المجيد عابدين تلك المراجع التي ذكر أنها أشارت إلى نزول قبائل قضاعة صحراء سينا. وقد بحثت كثيراً في المصادر العربية من كتب التاريخ والأنساب والجغرافيا فلم أعثر علي أي نص يفهم منه أن قضاعة دخلت مصر قبل الإسلام. فقد أوردت المصادرأن قبيلة قضاعة انتشرت في اليمن ومناطق الخليج العربي و العراق والشام. ولم يرد في تلك المصادر دخولها إفريقيا قبل الإسلام، وقد ورد أنها كانت منتشرة في مناطق الواقعة إلى الشرق من الحدود المصرية فقط.[١]

---

[١] انظر على سبيل المثال الهذاني، صفة جزيرة العرب ج١ ص ٦٦ ، ٩٠ وابن خلدون، العبر ج ١ ص ٥ وج ٢ ص ٢٤٢ وج ٣ ص ٥٢، ١٠٧.

فالمؤلف لا يستبعد أن تكون جماعة من قضاعة وبخاصة بلي قد عبروا إلى صحراء مصر الشرقية قبل الإسلام، ولكن ذلك لم يرد في المصادر مما يَسْتبعِد حدوثه. أما ما ذكره عن بليني فقد تعرضنا إليه فيما سبق في أكثر من مكان ووضحنا أن بلبينى قصد "بقبائل العرب" قبائل البدو السامية وليس العرب أو الجنس العربي الذي يقصده د. عبد المجيد عابدين.

أما محمد صالح ضرار فقد ذكر ما يلي عن قبيلة بَلِيّ تحت عنوان "الهجرة العربية قبل الإسلام: "وتعد قبيلة بلي من أقدم القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه الديار البجاوية بعد الشاسو وثمود وغيرهما. وكانت هجرتها قبل الإسلام بقليل، وهي بطن من بطون قضاعة "[1] ونقل ضرار نصاً من ابن خلدون عن قبيلة بلي جاء فيه:

"أنهم أجازوا إلى العدوة الغربية من البحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكاثروا هنالك سائر الامم، وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم وضايقوا المصريين"

وقد تعرضنا فيما سبق إلى الشاسو ووضحنا أن الشاسو جماعات بدوية سامية. أما ثمود – قوم نبي الله صالح - التي سكنت الجزء الشمالي من الحجاز فلم أجد في المصادر العربية أشارة إلى هجرتهم إلى ديار البجة. وما أود التعليق عليه هنا هو ما ذكره ضرار عن قبيلة بلي، وفي البداية أود أن أشير إلى أنه لا يوجد أي نص في المصادر العربية المبكرة عن هجرة بلي السابقة للإسلام إلى بلاد البجة.

ولست أدري من أين نقل ضرار نص ابن خلدون الذي استشهد به عن هجرة بلي إلى أرض البجة قبل الإسلام، فهو لم يذكر المصدر الذي نقل منه النص، هل هو من كتاب العبر مباشرة أم من مكان آخر نقل عن كتاب العبر. فالنص كما ذكره ضرار فيه بعض الحذف والإضافات التي غيرت ما رواه ابن خلدون. فالنص كما ورد في كتاب العبر جاء كالآتي:

---

[1] محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان ج ١ ص ٥٣.

"... وفى شماليهم [شمإلى قبائل حهينة] إلى عقبة ايلة مواطن بلى وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم [يعني البحر الأحمر] وأجاز منهم أمم إلى العدوة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكاثروا هنالك سائر الامم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد"[1]

أولاً هذا النص يتعلق بهجرة القبائل العربية إلى مصر بعد الإسلام وليس قبله كما ورد عند ضرار. والنص يشير إلى هجرة "أمم" من جهينة وبلي وانتشارهم وحروبهم في بلاد النوبة والحبشة حتى عصر ابن خلدون في القرن الثامن الهجري (١٤م). فإشارة ابن خلدون واضحة في أنه يصف الأوضاع في زمانه حيث عبر قائلً "إلى هذا العهد".

ويلاحظ على النص الذي استشهد به ضرار أن عبارة "إلى هذا العهد" غير موجودة في نصه، وهذه العبارة لها أهميتها الكبيرة لأنها توضح الزمن الذي تحركت فيه تلك القبائل. فلماذا حذفت من النص الذي نقله ضرار؟ والقضية ليست في حذفها فقط بل استبدالها بعبارة أخرى وهي "وضايقوا المصريين" مما يثير الشك في أن التصحيف أو التغيير في النص مقصود. وتبدو هذه العبارة قريبة مما نقله جرجي زيدان من كتاب تاريخ مصر لشارب "Sharpe" والذي سنتعرض إليه بعد قليل.

فالتغيير قد يحدث لبعض الكلمات في النص عبر عمليات النقل المتكررة للكتاب، ولكن ليس التغيير الذي يؤدي إلى تحول المعنى كلية كما حدث في نص ضرار. وعلى سبيل المثال نورد بعض التغيير الذي قد يحدث في النصوص، فقد نقل القلقشندي نص ابن خلدون نفسه كما يلي:

---

[1] ابن خلدون، العبرج ٢ ص ٢٤٧.

"قال في العبر: وكانت منازلهم شمالي منازل " بليّ " من الينبع إلى عقبة أيلا. ثم جاوز خلق كثير منهم بحر القلزم وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك وغلبوا على بلاد النوبة. قال: وهم يحاربون الحبشة إلى الآن."[1]

فالتغيير الذي أحدثه القلقشندي في النص بحذف أو تغيير بعض الكلمات لم يؤد إلى تغيير المعنى. فقد اختصر النص، وغير بعض كلماته. تغيرت كلمة "أمم" عند ابن خلدون إلى "خلق" عند القلقشندي، وغير القلقشندي عبارة ابن خلدون "وإلى هذا العهد" فأصبحت "إلى الآن". فرغم الحذف والتغيير الذي أحدثه القلقشندي في نص ابن خلدون ظل المعنى كما هو لم يتغير.

أما في النص الذي نقله ضرار فإن عبارة ابن خلدون "إلى هذا العهد" قد حذفت وحل محلها "وضايقوا المصريين" التي لا وجود لها في النص الأصلي. فأصبح النص بدون تحديد زمني، ويمكن أن يصدق علي عهد ابن خلدون أو قبله أو يرقى إلى ما قبل الإسلام. فالحذف والإضافة هنا أديا إلى تغيير معنى النص تغييراً كاملاً، مما يوحي أن التغيير في نص ضرار كان مقصوداً.

ونخلص من ذلك إلى أن ابن خلدون لم يذكر أن قبيلة بلي قد هاجرت إلى السودان قبل الإسلام، وفي واقع الأمر فإن ذلك لم يذكره غيره من المؤلفين العرب المبكرين. أما ما يتعلق بهجرتهم بعد الإسلام فسنتناوله عندما نأتي للحديث عن الهجرات العربية بعد الإسلام.

ويلاحظ أن جرجي زيدان - الذي ينقل منه ضرار كثيراً- قد ذكر النص في كتابه كما ورد في كتاب ابن خلدون منتهياً بـ"فحاربوا الحبشة وأرهقوهم إلى هذا العهد" لكنه واصل قائلاً "ويوافق ذلك ما ذكره اليونان من أخبار مصر لأوائل النصرانية، فقد ذكر سترابو و بلبينوس أن العرب تكاثروا في أيامهم على العدوة

---

[1] القلقشندي، قلائد الجمان ج ١ ص ١٤.

الشرقية..."[1] فكيف يتوافق ما حدث في أول العصر المسيحي (القرن الأول الميلادي) مع ما حدث في عصر ابن خلدون بعد نحو أربعة عشر قرناً؟

ويواصل جرجي زيدان بعد نص ابن خلدون مباشرة فيورد ما ذكره شارب في كتابه "تاريخ مصر القديم" والمطبوع عام ١٨٨٥ معلومات بها الكثير من الخلط والخطأ عن تاريخ منطقة النوبة فيقول:

"كان العرب في أيام أغسطس قيصر في أوائل النصرانية قد دخلوا الحبشة وتملكوها وأوغلوا في بلاد النوبة ... وأتفق في أثناء ذلك تجريد الروم حملة لفتح بلاد العرب بقيادة جالوس المتقدم ذكره ومعه معظم جند مصر، فانتهز أولئك العرب تلك الفرصة وزحفوا على الصعيد وضايقوا أهله. (ويسميهم المؤرخ عرب الأحباش) وكانت عليهم ملكة يقال لها قندافة ، وتغيرت لغة الآثيوبيين وعبادتهم بنزول أوائل العرب فيها، فبعد أن كانت مصرية أصبحت عربية."[2] إلى هنا ينتهي نص شارب .

ويواصل جرجي مضيفاً "فيستدل من ذلك أن العنصر العربي كان في أوائل النصرانية غالبا على صحراء مصر الشرقية والحبشة والنوبة، فإن لم يكن المراد بهم قبيلتي جهينة وبلي اللتين ذكرهما ابن خلدون فقد مهدتا فتح تلك البلاد لهم، لأن الرومانيين ما زالوا منذ دخلت مصر في حوزتهم وهم يجردون الجند لرد هجمات العرب والعرب يهزمونهم"

ويبدو واضحاً أن إشارة جرجي زيدان "أن العنصر العربي كان في أوائل النصرانية غالبا على صحراء مصر الشرقية والحبشة والنوبة" ترجع إلى ما ذكره بليني و سترابو الذين كتبا في ذلك الوقت. ويتضح مدى رجوع واستشهاد المؤلفين بما ذكره أولئك المؤرخين غافلين أو متغافلين عن المعنى الأصلي لتلك الاشارة الذي لا يرجع إلى الجنس العربي بل يرجع إلى أي قبائل بدوية سامية في المنطقة. ولم يكتف جرجي زيدان بذلك

[1] جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام ص ٩٤.

[2] نفس المرجع ص ٩٥.

بل ربط بين ما ذكره المؤرخون في القرن الميلادي الأول مع ما ذكره ابن خلدون الذي تفصله قروناً كثيرة عن عصر بليني و سترابو.

والجزء الآخر والأكثر غرابة هو ما نقله جرجي زيدان من شارب عن أحداث وقعت أثناء حملة الرومان على بلاد العرب كما هو مذكور في النص أعلاه وجاء فيه: "فانتهز أولئك العرب تلك الفرصة وزحفوا على الصعيد وضايقوا أهله" وعبارة: "أولئك العرب" ترجع إلى ما ذكرهم بليني و سترابو كما هو واضح من النص أعلاه.

فأولئك العرب انتهزوا خروج جيش الرومان من مصر لغزو جزيرة العرب "فزحفوا على الصعيد وضايقوا أهله ... وكانت عليهم ملكة يقال لها قندافة " ويوضح جرجي كيف أن تلك الحروب كانت مستمرة " لأن الرومانيين ما زالوا منذ دخلت مصر في حوزتهم وهم يجردون الجند لرد هجمات العرب والعرب يهزمونهم" وقد ذكر جرجي زيدان ذلك في سياق الحقيقة التاريخية الثابتة. فماذا يقول التاريخ عن تلك الأحداث؟

أود أولاً الإشارة إلى أنني لم أتمكن من الاطلاع على نص شارب، ولذلك سأكتفي في التعليق عليه على ما نقله جرجي زيدان. يلاحظ أن شارب أشار إلى أولئك العرب بـ"عرب الأحباش"، بينما ربطهم جرجي بالعرب الذين ذكرهم بليني و سترابو، ولم يستبعد ارتباطهم بالعرب المعاصرين لابن خلدون في المنطقة. وكان الكتاب العرب المبكرين يطلقون في بعض الأحيان كلمة الحبش للدلالة على معنى واسع يتضمن السودان كما يتضح من نص المسعودي التالي:

"وأما بلاد الواحات - وهي بين بلاد مصر والإسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الأحابش من النوبة وغيرهم ... وكُلُّ ما ذكرنا من بلاد الأحابش ما كان من غربي اليمن و جدة و الحجاز مما يلي بحر القلزم، فبلاد قشفة لا خير في أرضها، ولا شيء يحمل من ساحلها إلا ما وصفنا من الذبل والنمور وغيرهما."

ولست أدري ماذا قصد شارب بعرب الأحباش. أما ما حدث في أثناء غياب الجزء الأكبر من الجيش الروماني من حروب – كما جاء في النص - فكتب التاريخ

تحدثنا عن حروب الرومان ومملكة مروي. ويمكن تلخيص العلاقات بين السودان ومصر فيما يلي[1]:

منذ أن بسط الرومان نفوذهم على صعيد مصر حتى أسوان عام ٣١ ق.م. دخلوا في حروب مع السودان قادت مملكة مروي مرحلتها الأولى حتى القرن الأول الميلادي. وقد أغتنمت ملكة مروي كنداكة غزوة الرومان لشبه الجزيرة العربية فأغارت على صعيد مصر واحتلوا طيبة عام ٢٣ ق.م.

واستمر ذلك الصراع لمدة ثلاث سنوات تقريباً انتهى بتوقيع صلح بين الطرفين. ومنذ منتصف القرن الأول الميلادي تحسنت العلاقات بين مروي والرومان، ويبدو أن ملوك مروي تأكدوا من حسن نوايا سياسة الرومان السلمية بعد البعثة الكشفية التي أرسلوها إلى داخل السودان.

ولكن الأوضاع تغيرت منذ القرن الثالث الميلادي بدخول قبيلة البليميون والنوباديين في الصراع. ويرى الباحثون أن البليميون فرع من البجة وقد كانوا مستقرين في المنطقة الواقعة جنوبي أسوان. ويبدو أنهم لم يكونوا خاضعين لسلطة مروي المباشرة في القرن الثالث الميلادي إذ تشير المصادر إلى صراعهم ضد الرومان في ذلك الوقت.

ويبدو أن البليميون كانوا على درجة متقدمة من التنظيم إذ يذكر أوريك بيتس أنهم تحالفوا عام ٢٧٠م مع زنوبيا (الزباء) ملكة المستعمرة الرومانية بالميرا (تدمر) في دمشق عندما هاجمت الرومان في مصر. وظل الصراع دائراً بينهم وبين الرومان الذين كانوا يواجهون ضغوط القبائل الجرمانية على حدودهم الشمالية في أوربا، ولذلك سعوا للاستعانة بالنوباديين (Nubatae) في الصحراء الغربية للنيل.

---

[1] A. J. Arkell, *A History of the Arabs in the Sudan* 2nd ed p 160; Oric Bates, *The Eastern Linyans* p 184, 226 – 228.

شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل ج ١ ص ١٨٢ – ١٨٩. ومحمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ١٥٦ – ١٦٤.

ويذكر المؤرخون أن إشارة بليني إلى (Nubae) ربما كانت أول إشارة إلى النوباديين. وهم جزء من القبائل الكثيرة المنتشرة في الجزء الغربي من الصحراء الكبري والذين عرفوا بالقبائل الليبية. وقد ذكر بلينى أنهم يقطنون الجهة الغربية من النيل شمالى مروي، ووضح أنهم لم يكونوا خاضعين لسطة مروي، ويرى بيتس بناءً على ما ذكره بطلميوس أنهم ربما كانوا امتداداً لقبائل الجرمانتيين في الصحراء الكبرى.[1]

ويرى بعض المؤرخين أن النوبادي أتوا أساساً من شمال دارفور و كردفان ، وانتشروا في القرن الثالث حتى الواحة الخارجة، وأن الأمبراطور الروماني دقلديانوس (٢٨٤- ٣٠٥م) استعان بهم - كما ذكر المؤرخ الروماني بروكوبيوس - وطلب منهم الهجرة والاستقرار في جنوبي أسوان للمساعدة في صد هجمات البليميون على حدودهم.[2]

قدم النوباديون إلى النيل واستقروا إلى جانب البليميون، وبدلاً من أن يساعدوا في صد غارات البليميين اتحدوا معهم في الهجوم على الرومان. ففي عام ٤٥٣م أشارت المصادر إلى حملة رومانية على النوباديين والبجة. وظل اتحاد البليميين والنوباديين قوياً ضد الرومان حتى أنهم اضطروا الرومان لدفع مبالغ سنوية محددة ثمناً للسلم معهم حتى بداية الثلث الأول من القرن السادس الميلادي عندما اعتنق النوباديون المسيحية في عصر الحكم البيزنطي لمصر، وأسسوا مملكتهم نوباديا التي اتخذت فرس عاصمة لها، ونتهى الصراع على حدود مصر البيزنطية مع السودان.

هذا ملخص العلاقات بين السودانيين والرومان منذ عهد مروي وحتى عصر نوباديا، وكيف كان سكان الصحراء الغربية للنيل دائمي الحضور بل وقادة تلك العلاقات. فكيف يستقيم ذلك مع ما ذكره جرجي زيدان من أن عرب النوبة وملكتهم

---

[1] Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 49 note 8>

[2] Arkell, *A History of the Arabs in the Sudan* 2nd ed p 16٨; Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* Vol.1 p 25.

كنداكة حاربوا الرومان وظلوا يحاربونهم حتى أصبحت مصر عربية. وإذا كان بعض الكتاب – مثل دروزة – قد جعل الفراعنة والليبيين عرباً، أعتقد أنه ينبغي أيضاً أن نسلم بما قدمه جرجي زيدان من أن المرويين والقبائل القاطنة في الصحراء الغربية عرباً أيضاً دون أى اعتراض.

ونعود إلى ضرار الذي أشار إلى قبيلة عربية أخرى هاجرت إلى شرق السودان قبل الإسلام وهي قبيلة البني عامر. وتحدث عن أصولها واستقرارها ولغتها. ونقل عن ترمنجهام وغيره من الكتاب الأوربيين ما دونوه عن تراث هذه القبيلة الذي يَروي انتسابها إلى عامر بن كنو الذي هاجر من اليمن إلى شرق السودان بعد انهيار سد مأرب.

وأضاف قائلا: "عندما نزحت قبيلة بني عامر وغيرها من القبائل العربية إلى الأراضي السودانية الساحلية لم تكن تتحدث اللغة العربية الفصحى لأن هذه اللغة لم تكن قد أخذت معالمها المعروفة الآن، ولم تكن هي اللغة السائدة الوحيدة في الجزيرة العربية، بل كانت هذه القبيلة تتحدث لغة سامية[يشير إلى لغات جنوب شبه الجزيرة] قريبة من العربية هي المسماه باللغة "البني عامرية" والتي عرفت بين سكان المملكة البجاوية باللغة التيجرية". من المعروف في علم اللغة أن اللغة التيجرية تنتمي إلى المجموعة السامية بينما تنتمي البداويبت إلى المجموعة الحامية.[1]

كما ذكر ضرار أن أول من تكلم لغة البني عامر هم "أهل اليمن وساحل ارتريا وقبيلة ثمود ويهود اليمن."[2] وبعد أن اطمأن ضرار إلى أن لغة بني عامر هي إحدى لغات اليمن الجنوبي العربية، بدأ في البحث عن أصل قبيلة البني عامر في اليمن ولماذا أطلق لفظ تيجرية على لغتهم في السودان؟ فذكر أن هنالك قبيلة ومخلاف في اليمن عرف – قبل الإسلام – ببني عامر، ولا بد أن أفراد تلك الفبيلة هم الذين هاجروا للسودان بعد انهيار سد مأرب كما يقول التراث المحلي للقبيلة البني عامر السودانية.

[1] ضرار صالح ضرار، تاريخ شرق السودان ج ١ ص ١٠٢ – ١٠٥.

[2] نفس المرجع ج ١ ص ٥٥.

وعن أصل اسم "تيجرية" ذكر أن الكلمة مشتقة "من لفظة تجارة، ثم نسبت إلى "تِويجر" تصغيراً لتاجر مع إحداث التغيير العربي في اللفظ. وهذا يعني أنه من الممكن أن تكون هذه اللغة المنسوبة إلى تِويجر قد انتشرت أيضا في تلك المنطقة بسبب تحدث بني عامر بن كـــنو وتجارهم القادمين من جنوب الجزيرة بها. وهكذا أصبح اسم اللغة "تيجرية"

ومن الواضح أن ضرار – وهو ينتمي إلى المدرسة التي حاولت فرض صبغة العروبة على السودان – حاول بحسن نية وبمنطلق قومي آمن به وكان ذلك التوجه هو السائد في عصره أن يثبت عروبة البني عامر. ونسبة لأن التوجه العربي كان من بين السبل المطروحة لمحاربة الاستعمار البريطاني فقد اجتهد ضرار في محاولة التخريجات السابقة والتي بالطبع تفتقر إلى الأدلة التي تدعمها.

فالمصادر العربية المبكرة كما ذكرنا لم تذكر هجرة عربية إلى السودان قبل الإسلام، وهنالك جزء آخر من التراث المحلي في السودان لم يربط القبيلة بعامر بن كنو بل ربطها مرة بعامر بن الضرب العدواني ومرةً أخرى بعامر بن الطفيل.[1]

ورغم تحفظاتنا على ما ورد في هذا التراث إلا أننا نشير إلى أن كلا العامرين ينتميان إلى عرب الشمال ولغتهم ليست لغة عرب الجنوب بل هي اللغة العربية الفصحى التي سادت بعد الإسلام. وعلى كل حال فسنناقش ذلك بالتفصيل في موضعه عند الحديث عن هجرات العرب إلى السودان بعد الإسلام. وما نود الإشارة إليه هنا هو عدم وجود أدلة تسند ما حاول الآستاذ ضرار اثباته.

وهنالك جانب آخر استُشْهد به في قضية العروبة في مصر قبل الإسلام ثم تتوجه الاشارة بعد ذلك إلى السودان، ذلك الجانب هو اللغة الهيرغليفية. فقد درج الكتاب المصريون علي جعل قدماء المصريين أمة سامية لأن اللغة المصرية القديمة وصفت بأنها لغة سامية. ونكتفي هنا بالاشارة إلى ما ينقله الكتاب المصرون من "كتاب تاريخ مصر

[1] See Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* Vol.٢ p 132, 146.

من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي" لعالم المصريات المشهور الأستاذ جيمس هنري برستد ترجمة د. حسن كمال الذى كان طبيباً في مستشفى الحميات بالقاهرة:

"والمعروف أن أقواما ساميين من عرب آسيا غزوا وادي النيل وعمموا فيه لغتهم فصبغوه بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة. وبالرغم مما اعترى اللغة من تغيير وتحريف باختلاط السكان فقد حافظت على ساميتها بمرور الزمن. ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن هذه اللغة وجدت كاملة على الآثار منذ أقدم عصورها."[1]

وبناءً على هذا النص فإن النقوش المصرية القديمة أوضحت أن العرب غزوا وادي النيل وصبغوه بصبغتهم وأن لغتهم حافظت على ساميتها وأنها وجدت كاملة في الآثار القديمة.

وفيما يلي نص برستد الأصلي باللغة الانجليزية الذي تمت ترجمته أعلاه: [2]

"An invasion of the Nile Valley by Semitic nomads of Asia stamped its essential character unmistakably upon the language of the African people there. The earliest strata of the Egyptian language accessible to us, betray clearly this composite origin. While still colored by its African antecedent, the language is in structure Semitic."

ويفهم من هذا النص أن غزو القائل السامية لوادي النيل ترك بصماته الواضحة على لغة شعبه الافريقي، ويلاحظ ذلك في مراحل تكوين لغته المبكر بأصلها الافريقي وتركيبها السامي.

ويلاحظ على الترجمة العربية أنها عدلت معنى النص ونسبت إلى برستد مالم يقله، فقد جعلت الغزاة عرباً بينما ذكر برستد أنهم ساميون، وبالطبع فليس كل الساميين عرباً. وأسقطت الترجمة ما ورد في نص برستد الانجليزي عن شعب وادي النيل الافريقي و لغته الإفريقية.

[1] هنري برستدن تاريخ مصر أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة كمال حسن ص ١٧.

[2] James Henry Breasted, *A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest* New York: Charles Scriber's Sons

فالكاتب تعمد إبعاد أي أثر افريقي على سكان مصر ولغتهم، ولا نلومه على ذلك بقدر ما نلومه على اسناد ذلك إلى مؤلف مرموق له اسمه في علم التاريخ المصري القديم. ولعل الكاتب استغل ذلك وسعى لتسويق تجارته تحت اسم موثوق بمعرفته مثل برستد. ولا أعتقد أن الكاتب كان في حاجة لذلك، إذ إن دخول الهجرات السامية إفريقيا وتداخل اللغات أمر معروف وموثق في التاريخ وقد تعرضنا لذلك في الفصل الأول.

يهدف هذا الفصل إلى التَّعرف سريعاً على هجرة واستقرار القبائل العربية في مصر منذ الفتح الإسلامي، ثم دخول أعداد كبيرة من الجنود المماليك من جنسيات مختلفة في مصر منذ القرن الثالث الهجري (٩ م) ثم هجرة القبائل المغربية التي أطلقت عليها المصادر القبائل البربرية[1]. وسوف نشير إليها هنا بـ "القبائل المغربية أو الصحراوية" لأن معظم القبائل المغربية التي دخلت مصر كانت قبائل صحراوية عاشت في الصحراء الكبرى وعلى أطرافها الشمالية ثم نزح بعضها واستقر في مصر.

ولما كان دخول الإسلام واللغة العربية والعروبة ونهاية حكم الممالك المسيحية في السودان قد ارتبط بصورة مباشرة بمصر كان لابد من التعرف على سكان مصر الذين امتزجوا بعد دخول الإسلام بالعناصر التي وفدت عليهم وما تلى ذلك من تحولات ثقافية ولغوية أدت إلى تكوين المجتمع المصري الجديد.

[1] عندما دخل العرب شمال افريقيا وجدوا الرومان أو الروم يطلقون على تلك القبائل اسم البربر هو الاسم الذي أطلق على الشعوب خارج نطاق الحضارة الرومانية، أي الشعوب غير المتحضرة في مفهومهم. وعرَّب العرب الاسم فأصبح اسم تلك القبائل باللغة العربية "البربر"، وبحث العرب عن تبرير للاسم فقالوا – كما ذكر ابن خلدون – إن اسم البربر أطلق عليهم لبربرة في لسانهم. وسكان شمال افريقيا الآن لا يحبون استخدام ذلك الاسم وأحيوا الاسم القديم لتلك القبائل وهو "الأمازيغ"

الفصل الثالث

المجتمع الجديد في جنوب مصر بعد الإسلام

- العرب في مصر حتى بداية القرن الثالث الهجري (٩م)
- بداية تكوين المجتمع الجديد
- اللغة العربية والهوية
- القبائل العربية والهوية
- القبائل العربية في جنوب مصر
- القبائل المغربية والعربان
- إمارات العربان

العرب في مصر حتى بداية القرن الثالث الهجري (٩م)

بدأ دخول القبائل العربية مصر في أول عصر الفتوحات الإسلامية في بداية القرن الأول الهجري (٧ م) بقيادة عمرو بن العاص و الزبير بن العوام . وقد استقرت هذه المجموعة في بداية الأمر في الفسطاط التي أصبحت عاصمة مصر وفي المناطق المتاخمة لها و في الاسكندرية . وتم حصر وتسجيل العرب في الديوان الذي بدأه عمرو بن العاص تحت اسم "أهل الراية" ولم يدونوا تحت أسماء قبائلهم.

ولم يكن مسموحاً للقبائل العربية في البداية الاشتغال بالزراعة والارتباط بالأرض وانحصرت دائرة نشاطهم في السياسة والحرب، وكانوا يتحصلون على مخصصات ثابتة (عطاء) من الدولة لكي يتفرغوا للدفاع عنها. وذكر الكندي أن عدد المجموعة الأولى من العرب التي شهدت الفتح كانت نحو خمسة عشر ألفاً وخمسمائة.[١] وأوضح المقريزي مصير أولئك العرب الأوائل قائلا: "أعلم أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر وجهلت أحوال أكثر أعقابهم."[٢]

وقد شهد القرن الأول الهجري اضطرابات متلاحقة مثل قتل عثمان والصراع بين على ومنافسيه، ثم الصراع بين الأمويين ومنافسيهم من الشيعة والزبيريين – والتي لعب عرب مصر دوراً بارزاً فيها - حتى استقرت الأضاع في العقد الثامن من القرن الأول الهجري. وبعدها بدأ توافد العرب إلى مصر التي أصبحت مركزاً للتجمع والإمدادات الحربية في شمال إفريقيا. وقد استقرت مجموعات منهم في مصر بينما انتشر الباقون في مناطق ليبيا و تونس و المغرب و الأندلس .

وشهد نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني إعادة شكيل أوضاع واستقرار القبائل العربية في مصر. فقد تم تجديد تدوين القبائل العربية في عام ٨٦هـ/٧٠٥ م،

---

[١] الكندي، كتاب الولاة والقضاة، تحقيق رُفِن جُوِست. طبعة بيروت ١٩٠٨. أعادت نشره دار الكتاب الاسلامى ب ت، ص٨

[٢] المقريزي، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مع دراسة في تاريخ العروبة في وادي النيل تحقيق
ـية ص٢

وأُعيد تسجيلهم مرة أخرى عام ١٠٢هـ/٧٢٠ م، وكانت بعض المجموعات الصغيرة من القبائل قد سجلت تحت اسماء قبائل أخرى، بينما ظل بعضها تحت سجل "أهل الراية". وفي التدوين الأخير استقلت بعض القبائل مُسجلةً تحت أسمائها، وانفصل بعضها الآخر من سجل أهل الراية لتدون تحت اسمها مثل قبيلة قضاعة التي كان وإلى مصر في ذلك الوقت بشر بن صفوان الكلبي ينتمي إليها.

كما شهد بداية القرن الثاني ثورات الأقباط ضد حكام مصر بسبب تقديرات الضرائب. وقد أدى ذلك إلى تغيير سياسة الدولة تجاه القبائل العربية فسمح لهم بالاشتغال بالزراعة لكي تتقوى بهم السلطات الحاكمة أمام ثورات المزارعين الأقباط. فبدأ انتشار العرب في القرى والاختلاط بالسكان المحليين. وشجع الولاة هجرة القبائل العربية فدخلت مصر في ذلك الوقت - كما ذكر الكندي[1]- هجرة قيس الكبرى والتي بلغ عددها أفرادها كبيرهم وصغيرهم نحو خمسة آلاف. كما وصولت جماعات كبيرة من قبيلة تميم في أول عصر الدولة العباسية عام ١٣٢هـ/٧٥٠ م.

ولم تستقر الأوضاع في مصر تحت حكم العباسيين، فقد سجلت المصادر التاريخية مثل كتاب الولاة للكندي وكتاب تاريخ الأقباط[2] ثورات وحروب عديدة تحت قيادة العرب - الذين شرعوا بدورهم في معارضة سياسة الضرائب - أو الأقباط أو تحالف الفئتين ضد ولاة العباسيين. وقُتل من جراء تلك الحروب أعداد كبيرة من الجانبين. وظل هذا الوضع حتى منتصف القرن الثالث الهجرى الذى يمثل نهاية عصر الولاة وبداية عصر جديد للعرب في مصر.

وبقي أن نشير إلى أن كل الأحداث المتعلقة بالعرب في تلك الفترة المبكرة كان مركزها الوجه البحري أي المناطق الواقعة إلى الشمال من القاهرة والمناطق المتاخمة لها جنوباً حيث كان استقرار القبائل العربية. وأتي تدخل الصعيد في تلك الأحداث بطريق

---

[1] كتاب الولاة ص ٧٧.

[2] المقريزي، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الابريزي. دراسة وتحقيق د عبد المجيد دياب. دبي: دار الفضيلة تاريخ الايداع بدار الكتب ١٩٨٨ ص٩٤ وما بعدها. الكندي، تاريخ الولاة ص ١١٦ وما بدها

غير مباشر عندما تتقهقر بعض القبائل الثائرة إلى الجنوب فتطاردها القوات الحكومية.

وقد أتى دور هجرة واستقرار القبائل العربية في صعيد مصر في نهاية هذه المرحلة. فقد أورد اليعقوبي في كتابه البلدان[1] استقرار بعض بطون قبيلة ربيعة العدنانية في وادي العلاقي الذي يقع إلى الشرق من مدينة أسوان داخل الحدود المصرية الحالية، وسيأتي الحديث عنهم لاحقا، ولم يتم الاختلاط بين العرب والسكان المحليين حتى منطقة الدلتا - حيث استقرت القبائل العربية - إلا في نطاق ضيق. فعندما أتى الخليفة المأمون إلى مصر ابان ثورات عرب وأقباط الوجه البحري عام ٢١٧هـ/٨٣٢م كان يتخاطب مع الأقباط عن طريق مترجم لعدم مقدرة الأقباط التحدث بالعربية.

وكان العرب يتميزون بأخذ العطاء الذي حرم منه أهل البلاد الأصليين، وكانوا يعزلون أنفسهم ويتعالون على الأقباط والاختلاط بهم كما يتضح من مسألة انتساب بعض الأقباط للعرب في الحادثة المشهورة في١٨٤ - ١٩٤هـ/٨٠٠- ٨١٠م والمعروفة باسم قضية أهل الحرس. فقد ذكر الكندي[2] أن جماعة من أهل الحرس الأقباط في الدلتا أدعوا النسب العربي إلى قضاعة وناصرهم بعض العرب هناك ليزدادوا بهم قوة ضد ولاة العباسيين. وبعد أن دفعوا الكثير من الأموال لوإلى مصر وللبعض الآخر في بغداد أُلحقوا بقضاعة. فقال الشاعر:

ومن أعجب الأشياء أن عصابة ❖❖ من القبط فينا أصبحوا قد تعربوا

وقالوا أبونا حوتك وأبوهم ❖❖ من القبط علج حبله متذبذب

وجاؤا بأحلاف من الحوف فادعوا ❖❖ بأنهموا منهم سفاهاً وأجلبوا

ألا لعن الرحمان من كان راضيا بهم ❖❖ رغما ما دامت الشمس تغرب

---

[1] اليعقوبي، كتاب البلدان في مصطفي مسعد، المكتبة السودانية العربية جامعة القاهرة فرع الخرطوم ١٩٧٢، ص ١٤.

[2] كتاب الولاة، ص ٢٩٧- ٢٩٩.

بداية تكوين المجتمع المصري الجديد

بدأت هذه المرحلة في بداية القرن الثالث الهجري (٩ م) مع بداية التحول الذي طرأ على نظام الجندية وإعداد الجيوش. ففي العقود الأولى من عمر الخلافة كان العرب هم العنصر الذي تمت على أيديهم قيام الدولة وتوسعها والدفاع عنها ، فقد كانوا متفرغين لهذا العمل ويتقاضون من أجله دخلاً ثابتاً من الدولة عرف بالعطاء لسد متطلبات حياتهم. فارتبط النظام الإداري منذ بدايته في المناطق المفتوحة بالجنود وقوادهم. وهكذا كان للجيش منذ قيام الخلافة دور قيادي في الأوضاع الادارية والسياسية.

وفي عصر الخليفة الأموى معاوية بن أبي سفيان بدأ الجيش يقوم بوظيفة جديدة وهي الدفاع عن الخليفة والمحافظة على سلطته. وبدأ استقرار الجنود في المدن إلى جانب الحكام. وكان العرب يمثلون القوة الأساس في الجيش حتى قيام الدولة العباسية في بداية القرن الثاني الهجري (٨ م) حيث بدأ دور العناصر غير العربية في الجيش. وبدأ ذلك بالجنود الفرس الذين حاربوا القوات العربية المؤيدة للخليفة الأمين بن هارون الرشيد. وكان الفرس موالين للمأمون الذي تولى الخلافة بعد هزيمة أخيه. فأصبح النفوذ والقيادة السياسية بأيدي الجنود الفرس وقواهم حالين بذلك محل الجنود العرب.

غير أن المعتصم الأخ الثالث للمأمون والذي تولى الخلافة بعده عام ٢١٨هـ/٨٣٣ كون جيشاً جديدا من الأتراك إلى جانب الفرس بغرض إضعاف نفوذ الجنود الفرس والعرب، و بدأت منذ ذلك الوقت سيطرة الأتراك على الحياة السياسية في العالم الإسلامي. أصدر المعتصم أمره لوإلى مصر باسقاط أسماء العرب من ديوان الجند وقطع أعطياتهم. ويعني ذلك إنهاء خدمات العرب في مصر كجنود للدولة ، فلجأوا إلى البحث عن مصادر أخرى لمعاشهم وانتشروا في مختلف أنحاء مصر لاسيما في الأرياف للعمل بالزراعة. وترتب على ذلك إزدياد اختلاط العرب بالسكان المحليين وما ترتب علية من تحولات.

وبوصولِ الأتراك للسلطة بدأ نمط جديد لإعداد الجيوش عرف أفراده باسم المماليك. فقد كان يتم شراء أعداد كبيرة من الصبيان دون سن البلوغ يجلبون من أماكن متفرقة بدأت في أول الأمر من أواسط آسيا موطن الأتراك الأصلي. كما كانوا يجلبون أيضا من شرق أوربا وجزر البحر المتوسط وشمال إفريقيا ومناطق جنوبي الصحراء الكبري الذين أطلق عليهم السودان أي السود.

يتلقى أولئك الصبيان – المماليك – التعليم والتدريب العسكري تحت إشراف سيدهم حتى يكونوا مؤهلين للانخراط في سلك الجندية. ويواصل المتفوقون منهم تدريباتهم ودراساتهم ويتدرجوا في سلك الترقي حتى يصبحوا قواداً للجند. وكان ولاء اولئك المماليك لسيدهم وليس للدولة أو الحاكم، وكان واجبهم طاعة سيدهم في كل ما يأمر به.

وبدأ نفوذ وقوة المماليك الأتراك منذ منتصف القرن الثالث الهجري حيث هيمنوا على الحياة السياسية في بغداد وسلبوا السلطة من يد الخليفة فأطلق بعض المؤرخين على تلك الفترة اسم "فترة الحكم العسكري" في بغداد . وأدى ذلك إلى تصدع دعائم الحكم المركزي للخلافة وبداية ما يمكن تسميته بالإدارة غير المركزية.

فقد بدأ حكام الولايات من القواد أو الأسر القوية الاستقلال بإدارة ولاياتهم دون الرجوع لسلطة الخلافة المركزية في بغداد بعد أن أمّنوا مواقفهم بقواتهم من المماليك. وأخذت تلك الولايات أسماء مؤسسيها كدويلات تتمتع باستقلال إدارتها عن سلطة بغداد، لكنها اعترفت بسلطة الخليفة الأسمية، وتعتبر نفسها جزءاً من خلافته.[1] وتبارى الحكام والقواد في اقتناء وتدريب المماليك لأنهم الوسيلة المباشرة للنفوذ والوصول إلى السلطة والمحافظة عليها.

وقد بدأ هذا التحول في مصر بانفصال حاكم ولاية مصر التركي أحمد بن طولون عن سلطة بغداد مؤسساً ما عرف في التاريخ باسم الدولة الطولونية ٢٥٤–

[1] بدأ أيضاً ظهور دول شيعية وإباضية كما في شمال افريقيا وجنوب شبه الجزيرة العربية لم تكن تعترف بسلطة الخليفة السني في بغداد، فكانت دولاً مستقلة استقلالاً كاملاً عن الخلافة.

٢٩٣هـ/٨٦٨- ٩٠٦ م) ثم قيام الدولة الاخشيدية (٣٢٣-٤٥٦ هـ/٩٤٥- ١٠٦٤) ثم الدولة الفاطمية الشيعية (٣٥٦- هـ/ ٩٦٧ م) ثم الدولة الأيوبية ، وأخيراً دولة المماليك.

لم يكن كل مؤسسو هذه الدول وحكامها عرباً باستثناء الأسرة الفاطمية. وكان لكل واحدة من تلك الدول جيشها الخاص بها. فالوصول إلى السلطة والمحافظة عليها يعتمد على جنود الحكام الذين يبلغ تعدادهم عشرات الألوف. فالحكام يصلون إلى السلطة عن طريق مماليكهم الخاصين.

ويقوم الحكام عادة عند تولي السلطة باضعاف قوة المماليك السابقة وشراء وإعداد المزيد من مماليكهم الخاصين ليضمنوا ولاءهم وبالتالي البقاء في السلطة. وهكذا بلغت أعداد الجنود المماليك عشرات ومئات الألوف، وكان المماليك غير المرغوب في خدمتهم من قبل السلطان الجديد أو المسرحون الذين استبدلهم السلطان بمماليكه الخاصة ينخرطون في سلك الحياة العامة إذا لم يجدوا من يطلب خدمتهم.

أدى هذا التغير في أعداد الجيوش إلى استقبال المجتمع المصري للآلاف من الرجال من جنسيات مختلفة غلب عليهم العنصر التركي الذي كان يجلب من أواسط آسيا. ولم ينخرط المصريون حتى الذين أسلموا في سلك الجندية. ويمكن إعطاء بعض الأمثلة التي توضح الصورة العامة لعدد الجنود المماليك قبل قيام عصر المماليك.

فقد بلغ عدد جيش الذي قاده أحمد ابن طولون مؤسس الدولة الطولونية إلى برقة – في شرقي ليبيا الحالية - مائة ألف جندي. وبلغ عدد جنود الأخشيدي مؤسس الدولة الاخشيدية أربعمائة ألف جندي، وكان جنود الخليفة الفاطمي المعز لدين الله – كما عبر المقريزي – أكثر من ذلك بكثير مثل جيوش الاسكندر. وبلغ عدد الجنود السود لوالدة الخليفة الفاطمي المستنصر – وكانت من السودان - خمسين ألفاً. وكان أغلب جنود الفاطميين من المغرب العربي.

وكانت عساكر صلاح الدين الأيوبي الكردي الأصل مؤسس الدولة الأيوبية ١٢ ألف فارس لكل فارس ما بين عشرة إلى مائة تابع.[١] وإذا أخذنا بمتوسط أتباع كل فارس يفوق العدد نصف المليون من الأكراد والأتراك وغيرهم. أما دولة المماليك فقد أسسها مماليك الأيوبيين الأتراك والشراكسة. ويمكن أن نتصور الألوف الكثيرة من الجنود المماليك الذين خدموا سلاطين المماليك خلال فترة حكمهم التي امتدت لأكثر من قرنين.

وكان من يتقاعدون من الجنود أو يسرحون عند تولية السلطان الجديد يحل محلهم مماليك وجنود جدد. ولذلك يمكن تقدير عدد من انخرط في سلك الجندية في عصر الدولة الواحدة مئات الألوف، وتتضاعف أعدادهم إذا أمتد زمن حكم الأسرة كما في دولة الفاطميين والمماليك.

ولم يجند أولئك الحكام العناصرالعربية بل كان بعضهم يستعين في حروبه بالعرب الذين كانوا مستقرين بمصر. وهكذا يمكن تقدير أعداد المماليك - الجنود المرتزقة من غير العرب - الذين دخلوا مصر واستقروا فيها منذ منتصف القرن الثالث الهجري (٩ م) بالملايين، ولننتقل الآن إلى العرب في مصر في تلك الفترة.

انتشار العرب في مصر:

انحصر دخول العرب في مصر بصورة أساسية في الفترة السابقة لبداية القرن الثالث الهجري (٩ م). فبعد دخول عرب الفتح توالى دخول العرب وبخاصة في العصر الأموي عندما أصبحت مصر مركز الإمدادت للجيوش المقاتلة في شمال إفريقيا. فكانت الجيوش العربية ترسل إلى مصر ومنها إلى شمال إفريقيا حتى استقرت فيها أوضاع المسلمين نحو نهاية القرن الهجري الأول، ولذلك لم يكن نصيب مصر كبيراً من تلك الفرق إذ استقرت تلك القوات في المراكز الإسلامية ما بين مصر والمحيط الأطلسي.

[١] المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ١ ص١٧٧- ١٧٩ (موقع الوراق)

وإلى جانب ذلك دخل بعض الجنود العرب مصر كما كان يحدث عند دخول الوالي الجديد في العصرين الأموي والعباسي حتى آخر عصر الولاة العرب في منتصف القرن الثالث الهجري. وقد وفدت جماعات من قبيلة تميم في أول العصر العباسي. وفي العقد الخامس من القرن الثالث الهجري دخلت ربيعة مصر واتجهت إلى أرض المعدن.

أما بعد منتصف القرن الثالث الهجري فقد انتهى عصر وفود العرب إلى مصر كجنود، وانتهى أيضاً عصر هجرات القبائل العربية باستثناءات قليلة مثل استقدام الفاطميين في آخر القرن الرابع الهجري لبني سليم وبني هلال إلى صحراء مصر الشرقية، ثم توجيههم إلى المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري، واستقدامهم أيضاً لجماعات من قبيلة سنبس من طيء ووطنوهم في الوجه البحري. ومثل استقدام صلاح الدين الأيوبي لثعلبة وطائفة من جرم القضاعية واستيطانهم الوجه البحري.[1]

ويرجع السبب في توقف توالى الهجرات العربية إلى مصر بعد منتصف القرن الثالث الهجري إلى هيمنة العناصر غير العربية على حكم مصر في كل العصور التالية باستثناء العصرالفاطمي فقط في القرنين الرابع والخامس الهجريين (١٠ و١١م) وعدم استعانة أولئك الحكام بالعرب في إعداد جيوشهم. ولذلك فإن القبائل العربية التي دخلت مصر وتركت آثاراً واضحة عليها هي الهجرات حتى بداية القرن الثالث الهجري.

وإذا قارنا عدد العرب الذين وفدوا إلى مصر بما في ذلك من تبقى من بني هلال الذين غادروا إلى المغرب، نجد أن عدد المهاجرين العرب متواضعاً جداً بالمقارنة إلى عدد جيوش المماليك التي وفدت إلى مصر من مختلف مواطنهم من أواسط آسيا إلى شرق أوربا والمغرب وإفريقيا جنوب الصحراء. فقد قدرنا أن أعداد تلك الجيوش يرتفع إلى مئات الألوف وهو الرقم الذي لا يصله عدد المهاجرين العرب.

[1] المقريزي، البيان والاعراب ص٦ ٥ – ١٠، ٢٢، ١٢٦..

وقد قدر عدد سكان مصر إبان الفتح الإسلامي بنحو ثمانية عشر مليوناً بناءً على تقدير سيدة اسماعيل كاشف الذي استند إلى المعلومات التي وردت في المصادر العربية. فقد قُدر عدد من وجبت عليه الجزية – بناءً على ما ورد عند ابن عبد الحكم - بأكثر من ستة ملايين، هذا بالطبع بخلاف من لا تجب علية الجزية مثل النساء والأطفال والمسنين والقساوسة.

وذهبت سيدة بأن هؤلاء الستة ملايين يمثلون نحو ثلث السكان، فعدد السكان إذاً يقدر بثمانية عشر مليوناً. وقد شكت سيدة في دقة الرقم لأن تعداد سكان مصر في العصر البيزنطي السابق للعرب – كما قالت – كان يقدر بنحو سبعة ملايين وثلث.[1]

وقد أورد المقريزي رواية ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد (ت١٦٦ هـ/٧٨١م) أن وإلى مصر ١٠٩- ١١٦ هـ "مكث ومعه جماعة من الكتاب والأعوان ستة أشهر بالصعيد وثلاثة بالدلتا يحصون السكان، فبلغ عدد الرجال الذين تفرض عليهم الجزية خمسة ملايين." ووضح أن عدد القرى بلغ أكثر من عشرة آلاف قرية في كل منها خمسمائة رجل، وذلك بخلاف القرى الصغيرة (المني والكور).[2]

ويبدو توثيق رواية ابن عبد الحكم (ت ٢٥٤ هـ/٩٥٦م) عن سكان مصر في أول القرن الثاني الهجري مقبولاً. فالرواية مسنودة إلى الليث بن سعد الذي توفى بعد التعداد بخمسين سنة فقط أي أنه كان معاصراً لذلك التعداد. والزمن بينه وبين ابن عبد الحكم نحو ١٣٥ سنة وهو زمن ليس ببعيد لنقل الرواية. ولكن نلاحظ أن الفرق بين التعداد البيزنطي والإسلامي كبير جداً.

[1] سيدة اسماعيل كاشف، مصر في فجر الاسلام: من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية. بيروت: درا الرائد العربي ط ٣، ١٩٨٦ ص ٢٣٠

[2] المقريزي، المواعظ والاعتبار(١٩٩٨) ج ١ ص ١٣٩

غير أن المعلومات الواردة عن تعداد آخر تم عام ٣٤٥هـ/٩٥٦ م أتى برقم يقل كثيراً عن رقم القرن الثاني الهجري. فقد أورد المقريزي (نفس المكان السابق) استناداً إلى من له معرفة بأمر الخراج والديوان أن عدد كور مصر وقراها عام ٣٤٥ هـ بلغ ٢٣٩٥.

ويلاحظ على هذا التقدير أن توثيقه لا يرقى إلى توثيق رواية تعداد القرن الثاني الهجري إذ لم يورد المقريزي مصدره، وأن عدد القرى فيه أقل من ربع عدد القرى في تعداد القرن الثاني مع عدم حدوث كوارث طبيعية أو أوبئة تؤدي إلى ذلك الانخفاض الكبير، وأنه أقل بكثير من تقديرات التعداد البيزنطي.

وإذا أخذنا بمتوسط التعدادات الثلاث، التعداد البيزنطي نحو سبعة ملايين وثلث، وتعداد القرن الثاني الهجري نحو ثمانية عشر مليوناً وتعداد عام ٣٤٥ هـ/٩٥٦ م رغم ما عليه من مآخذ وهو أربعة ملايين ونصف باعتبار أن عدد السكان قد نقص الربع، يكون متوسط عدد السكان نحو عشرة ملايين. ورغم أن هذا التقدير لا يستند إلى أرقام موثوق بها إلا أنه قد يعطينا الفكرة العامة عن سكان مصر في ذلك الوقت لكي نقارنهم إلى أعداد المماليك والعرب و المغاربة الذين دخلوا عليهم.

وتبدوالأعداد الداخلة متواضعة جداً بالمقارنة إلى عدد المصريين، وبخاصة عدد القبائل العربية الذى جاء تقديرها صغيراً جدا بالمقارنة إلى عدد جيوش المماليك. ويمكن القول بصورة عامة أن معظم المماليك ذابوا في سكان المدن الكبرى بينما ذاب معظم العرب في سكان المناطق الريفية.

ولعل هذا ما دعى عبد الله خورشيد بالقول بـ "عدم حدوث تغيير في تكوين المصريين العام لقلة عدد العرب الوافدين بالنسبة إلى مجموع الشعب المصري. وهذه الظاهرة تلاحظ في جميع تاريخ مصر، فقد تعاور على المصريين كثير من الأجناس المختلفة من عرب إلى نوبيين إلى ليبيين إلى يونانيين إلى فرس إلى أتراك، امتزاجوا بالمصريين امتزاجاً دموياً دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير خصائص المصريين الجنسية. لأن هؤلاء الوافدين كانوا يفلحون فقط في تجديد دماء المصريين دون تغييرها، إذ لا يلبث

الشعب حتى يهضمهم ويتمثلهم وكان ذلك أحد عوامل احتفاظ المصريين بحيويتهم عبر العصور"[1]

اللغة العربية والهوية:

وهكذا اختلط العرب الذين دخلوا مصر بالسكان المحليين خاصة وأن الغالبية العظمى من العرب كانوا مستقرين يعملون في الزراعة كما سيتضح لنا عند الحديث عنهم. فالقبائل العربية بعد قرون كثيرة من استقرارهم في مصر قبل بداية دخول الإسلام السودان - في القرن السابع الهجري (١٣م) - قد اختلطوا وذابوا في السكان المحليين كما أوضح خورشيد أعلاه.

ولكن كان أهم آثار دخول القبائل العربية لمصر- بعد نشر الإسلام - هو انتشار اللغة العربية. فقد بدأت اللغة العربية في الانتشار منذ بداية دخول العرب باعتبارها لغة الدين ولغة الفاتحين. غير أن انتشارها لم يكن سريعاً في بداية الأمر فقد رأينا أن الخليفة المأمون عندما زار مصر عام ٢١٧هـ/٨٣٢ م كان يخاطب الأقباط بواسطة المترجمين.

كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للإدراة والكنيسة والمعاملات في مصر إلى جانب اللغة القبطية لغة أهل البلاد. وقد انعش دخول العرب في البداية استخدام اللغة القبطية بانحسار استخدام اللغة اليونانية. ثم أدى تعريب الدواوين والادارة في بداية الربع الأخير من القرن الهجري الأول والسماح للعرب بالعمل في الزراعة واختلاطهم بالمصريين الى سرعة انتشار اللغة العربية.

وأدى اعتناق الكثير من الأقباط الإسلام إلى سرعة انتشارها. ويبدو أن الإسلام قد بدأ في الانتشار السريع بين المصريين، فقد بدأت مساهماتهم منذ وقت مبكر كرواد في المعارف حتى في اللغة العربية نفسها. فقد نُقل عن الامام الشافعي (في آخر

---

[1] عبد الله خورشيد البري، القبائل العربة في مصر في القرون الثلاث الأولي للهجرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ ص ٧٣ حاشية رقم ١٣٩.

القرن الثاني الهجري) أنه كان يطلب من تلميذه الربيع أن يأتيه برجل من أهل مصر يدعى سراج فيناظره ويعجب بغزارة علمه، ويقول بعد انصرافه: "يا ربيع نحتاج إلى أن نستأنف طلب العلم".[١]

وقد أصبح عدد المسلمين في مصر أغلبية منذ بداية القرن الثالث الهجري. كما بدأ الأقباط المسيحيون تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة الادارة لكي يتمكنوا من الحصول على بعض الوظائف. كما تمت أيضاً ترجمة الانجيل وعدة كتب دينية أخرى ألى اللغة العربية في فترة ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر(٦٥- ٨٦ هـ/٧٠٥- ٧٨٤ م)[٢]

وأعتقد أن اسقاط أسماء العرب من ديوان العطاء وانتشار العرب الواسع في كل انحاء مصر طلباً للرزق منذ بداية القرن الثالث كان له الأثر الكبير في انتشار اللغة العربية. وقد نقلت سيدة اسماعيل كاشف عن السيوطي أن اللغة العربية أصبحت منذ القرن الرابع الهجري (١٠ م) لغة التخاطب بين المصريين عامة ولم تعد اللغة القبطية مفهومة لعامة الشعب حتى المسيحيين منهم[٣].

ومنذ ذلك الوقت انحصر استخدام اللغة القبطية في نطاق ضيق في بعض الأمور الدينية والكنسية. وبدأ الأقباط يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية، فقد ألف البطريك الملكاني سعيد بن بطريق (ت ٣٢٨/٩٤٠م) كتابه في التاريخ باللغة العربية، وألف ساويرس بن القفع (ت آخرالقرن الرابع الهجري) أسقف الأشمونيين في صعيد مصر

---

[١] نفس المرجع، ص ٢٤٦.

[٢] أنظرعبد المجيد دياب دبي في مقدمة تحقيقه لكتاب تاريخ الأقباط المعروف بالقول الابريز للمقريزي، دار الفضيلة: بدون تاريخ ص ٣٢ و ٥٥

[٣] أنظ سيدة اسماعيل كاشف، مصر في فجر الاسلام ص ٢٤٨. نقلا عن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٢٥٢.

كتابه "سيرة الآباء البطاركة" باللغة العربية، كما تم جمع الوثائق اليونانية والقبطية وترجمتها إلى العربية[1].

ويلاحظ أن اللغة العربية كانت الرابط بين المسلمين، فقد بدأ الشعور العربي العرقي في الضعف بقيام الدولة العباسية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، إذ اعتمد العباسيون في قيام دولتهم وتوطيد أركانها على العنصر الفارسي. ثم جاء دور العنصر التركي منذ القرن الثالث الهجري، وتولى الأتراك وغبرهم من المماليك بعد ذلك قيادة العالم الإسلامي – قبل ظهور العثمانيين الأتراك - ما بين الهند و مصر ردحاً من الزمن.

ولذلك إلتف المسلمون حول اللغة العربية الرابط الذي جمع المسلمين باعتبارها لغة القرآن، واللغة التي يؤدون بها شعائرهم الدينية، واللغة التي توطد صلتهم بتراث الإسلام. فاللغة العربية أصبحت السمة الأولى للهوية الجديدة التي انتسب إليها كل أفراد المجتمع الجديد، مجتمع الأمة ما بين الهند و الأندلس . فالمواطنون من غير العرب لم يتعلموا اللغة العربية فقط بل أصبحوا أساتذتها.

يقول ابن خلدون "فكان صاحب صناعة النحو سيبويه الفارسي ومن بعده الزجاج ... وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب". وفي واقع الأمر فإن اللغة العربية أصبحت في ذلك الوقت لغة العلم والمعرفة إلى جانب كونها لغة الدين، فأقبل عليها غير العرب حتى صار حملة العلم في الملة الإسلامية كما عبر ابن خلدون " أكثرهم العجم، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر... حملة الشريعة أو عامتهم من العجم ... مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي"[2]

وقد علقت سيدة اسماعيل كاشف على انتشار اللغة العربية في مصر بأنها ظاهرة تستحق الإمعان "لأن تنازل شعب عريق في المدنية كالشعب المصري عن لغته، واتخاذه

[1] عبد المجيد دياب، في مقدمة تحقيقة لكتاب تاريخ الأقباط. ص ٥٣

[2] ابن خلدون، كتاب العبرج١ ص ٥٤٣- ٥٤٤. موقع الوراق

لغة شعب لا يوازيه في الحضارة أمر غير عادي." وقارنت بين "الشعوب المختلفة التي توالت على حكم مصر قبل العرب وكيف أنها لم تستطع القضاء على لغة المصريين."[1]

فاللغة العربية في مفهوم تلك المجتمعات لم تعد لغة جماعة عرقية محدودة بل أصبحت لغة كل من يخاطبه الإسلام، وكل من يدخل الإسلام أو ينضم إلى المجتمع الجديد من غير المسلمين. فاللغة العربية بلورت هوية ذلك المجتمع الجديد. والدكتورة سيدة نظرت إلى انتشار اللغة العربية بمنظار الحاضر الذي يجعل اللغة العربية لغة العرب فقط، وهذا مفهوم جديد أتى مع الهوية القومية المعاصرة.

وقد نقلت سيدة اسماعيل كاشف ما لاحظه الدارسون لتاريخ مصر من أن معظم شواهد القبور في القرنين الأول والثاني الهجريين في أسوان و الفسطاط حملت اسم الميت مقترناً باسم قبيلته. ولكن في القرن الثالث الهجري أصبح الانتساب إلى الجهة أو الإقليم واختفى اسم القبيلة، فجاءت الكتابات فلان المصري أو الكوفي.[2]

وهذا أيضاً تحول كبير يجب التوقف عنده، لماذا أصبح الارتباط بالقبيلة ضعيفاً خاصة بين العرب وهم حملة الرسالة الجديدة والطبقة المميزة في المجتمع؟ وهل الانتماء للجهة أو الإقليم أو المدينة أصبح هو الهوية؟ ولكي نفهم هذا التحول لا بد من العودة قليلاً للوراء للنظر في أمر الهوية الجديدة ومدى ارتباطها أو عدم ارتباطها بالمكان.

وباختصار يمكن القول بأن البشر كانوا بصورة عامة ينتسبون إلى أعراقهم. ففي الإمبراطورية الفارسية مثلاً كانت الشعوب الخاضعة للفرس تنتسب أو تُعرّف بأعراقها. فالهوية الفارسية ينتسب إليها من هو فارسي عرقياً، أما غير الفرس في داخل الدولة الفارسية مثل العرب أو الهنود أو اليهود فينتسبون إلى أعراقهم ولا يدخلون في الهوية الفارسية هوية حكام الإمبراطورية، فالهوية عرقية ومتعددة بتعدد الأعراق في الإمبراطورية.

[1] سيدة اسماعيل كاشف، مصر في فجر التاريخ ص ٢٤٨.

[2] المرجع السابق ص ٢٤٦.

ونفس الشيْ يقال عن سكان الأمبراطورية الرومانية باختلاف بسيط هو أنه من أتقن اللغة الرومانية وعبد آلهتهم وتطبع بالطبائع والثقافة الرومانية يمكن انتسابه للهوية الرومانية، أما البقية فينتسبون إلى أعراقهم مثل العرب واليهود وغيرهم. وهذا بخلاف الشعوب التي لم تشتهر بالتوسع وبناء الأمبراطوريات خارج أقاليمها مثل الصينيين أو الهنود.

فالشعوب التي عاشت لفترات طويلة داخل حدودها الأقليمية اكتسبت هوية الإقليم رغم تعدد الأعراق الداخلية، مثل الصيني والهندي. وفي بعض الأحيان عندما ينزح الشعب من إقليمه يتمسك بهويته العرقية مثل اليونانيين والفينيقيين في البحر المتوسط. وأحيانا أخرى يطور المهاجرون هويات جديدة في مناطق أو أقاليم هجراتهم كهويات أولى مع هوياتهم العرقية مثل الهجرات السامية والجرمانية والآرية. ولذلك لم يكن هنالك نمط واحد للهويات، ولم تعرف الدول التي امتدت حدودها خارج أقاليمها هوية واحدة.

وبقيام دولة المدينة بعد هجرة الرسول (صلعم) توحدت الانتماءات الجنسية والقبيلة القديمة في هوية جديدة وهي الانتماء للأمة بغض النظر عن العرق أو اللغة أو الدين. فالعرب واليهود – مسلمين وغير مسلمين – والذين كانوا نواة دولة المدينة انتسبوا للهوية الجديدة. وتكونت الدولة الإسلامية بعد توسعها في القرن الأول الهجري ما بين الهند و الأندلس على هَدْي وثيقة المدينة التي أصدرها الرسول (صلعم).

وحددت وثيقة المدينة هوية السكان دون النظر إلى العرق أو الدين أو اللغة، وجعلت الانتماء الأول للأمة مع الأعتراف بالانتساب إلى الأقليم أو المدينة أو القبيلة مثل الأندلسي والبغدادي والقرشي. تلك الألقاب أشارت إلى تعريف يأتي في مرتبة تالية للهوية العامة. فالإسلام بحكم عالميته أنتظم في إطار عام ضم مختلف الأعراق والثقافات مع اعترافه بالخصوصية المحلية.

ولم يرفض الإسلام الانتماء القبلي أو المحلي ولكن جعله في مرتبة تالية لمرتبة الهوية الأولى وهي الانتماء للأمة. ولذلك نجد أنه بالرغم من ضعف العصبية العربية،

وذوبان أغلب قبائل العرب خارج شبه الجزيرة بالشعوب المحلية إلا أن اغلب الشعوب داخل حدود الخلافة داومت على التمسك ببعض عادات العرب باعتبار تلك العادات جزءاً من مكونات الهوية الجديدة. قال عبد المجيد دياب "كان للأقباط ولع شديد بتقليد المسلمين في كل شيء لا سيما اللغة والأزياء والأسماء."[1]

وقال ابن خلدون عن قبيلة هوارة الصحراوية المشهورة والتي سيأتي الحديث عنها أنهم يشبهون: "عرب بنى سليم في اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الابل وممارسة الحروب وايلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم"[2]

فكان الشعور القوي نحوالانتماء للهوية الجديدة هو دافع الأقباط وهوارة للتشبه بالعرب ، ولم يصنفوا أنفسهم عرقياً بأنهم من العرب. فالغالبية العظمى ممن تحدث اللغة العربية وتطبع ببعض طبائع العرب لم ينتسبوا عرقيّا للعرب. ولا يمنع هذا أن هنالك بعض الجماعات التي سعت إلى تصنيف نفسها عرقياً مع العرب.

وإذا نظرنا إلى القضية بمنظار الحاضر - كما فعلت سيدة اسماعيل كاشف - استعصى علينا فهمها. فالهوية القومية الحالية لا صلة لها بماضينا فهي حديثة الولادة في أوربا. فالأوربيون قبل القرن التاسع عشر كانت هوياتهم تختلف عما هي عليه في القرن العشرين.

فالانتساب للعرب كان قد ساد كظاهرة عامة في تلك العصور لأسباب كثيرة، لعل أهمها أن العرب كانوا حملة الإسلام وأهل اللغة العربية وقوم الرسول (صلعم)، فكانت مكانتهم الاجتماعية مميزة حتى بعد زوال عصر سيادتهم منذ بداية العصر العباسي، فأزداد الإقبال للانتساب إليهم على مر العصور. وقد رأى البعض أن العروبة أصبحت رمزاً للإسلام والانتساب إليها يعني ازدياد القرب من الإسلام والالتصاق به.

---

[1] عبد المجيد دياب، في مقدمته لتارخ الأقباط ص ١٤٢.

[2] ابن خلدون، العبرج٦ ص ١٤٢. موقع الوراق.

كانت العروبة في مفهوم تلك الأجيال كما جاء في حديث الرسول (ص) "عن الخطيب في رواية مالك عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي و صهيب الرومي و بلال الحبشي ، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هؤلاء ؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً يجر رداءه، حتى دخل المسجد ثم نادى: الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس: إن الرب رب واحد، وإن الأب أب واحد، وإن الدين دين واحد، وإن العـــربية ليست لكم بأب ولا أم، إنما هي لسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي"[1].

ويلاحظ أن الانتساب إلى العرب ظل متصلاً في المناطق التي ظلت فيها اللغة العربية حية كما في شمال إفريقيا، بينما قل الانتماء في المناطق التي ضعفت فيها اللغة العربية بين قبائل الصحراء ومسلمي إفريقيا جنوب الصحراء. أما في المناطق التي تراجعت فيها اللغة العربية بدرجات كبيرة في مناطق شرق العالم الإسلامي فلم يعد للانتساب للعرب وجود كما في أوزبكستان و كازاخستان و كيرجستان و تركمنستان وطاجكستان و أفغانستان و باكستان و إيران . فاللغة العربية كانت في تلك المناطق بدأت في الانحسار منذ الغزو المغولي في القرن السابع الهجري (١٣م) بعد أن كانت لغة التخاطب العام ولغة الإدارة ولغة العلم.

وإذا عقدنا مقارنة في ذلك الوقت بين مناطق أواسط آسيا وبين شمال إفريقيا لرؤية مدى قوة وانتشار اللغة العربية وعدد المؤلفات ومشاهير العلماء الذين ألفوا بها في مختلف التخصصات لوجدنا أن عطاء ومساهمات مناطق أواسط آسيا أكثر بكثير من شمال إفريقيا.

---

[1] سبل الهدى والرشاد، ج ١١ ص ١١٨ (موقع اليعسوب) وزاد المعاد ج ٥ ص١٤٤. http://www.al-islam.com ولم أتمكن من العثور على هذا الحديث في كتب الصحاح والسنن، فقط وجدته في الكتابين المذكورين، أورده كتاب سبل الهدى والرشاد بسنده المذكور بينما ذكره زاد المعاد بدون سند.

ومن المعلوم أن استقرار المغول في تلك المناطق واستخدامهم للغتهم بدلاً من اللغة العربية أدى إلى ضعف العربية وبمرور الزمن تطورت اللغات المحلية وحلت محل اللغة العربية. وهذا هو نفس ما حدث للغة اللاتينية بعد غزو واستقرار القبائل الجرمانية في أوربا، إذ استخدم الجرمان لغاتهم بدلاً من اللاتينية، وبمرور الزمن امتزجت اللغات المحلية باللاتينية والجرمانية فتولدت اللغات الأوربية الحديثة.

ورغم تشبه الكثير من الشعوب بالعرب بعد انتشار اللغة العربية، ورغم صيرورة العرب أقليات في أماكن إقاماتهم إبان انتشار الإسلام خلال القرن الأول الهجري وذوبان بعضهم في السكان المحليين، إلا أن بعض القبائل والأسر العربية حافظت على استمرارية وجودها. وقد ساعد على ذلك ازدياد أعداد أفرادها بالتزاوج مع السكان المحليين وانتساب الكثير من هؤلاء إليهم، وبتشجيع تلك الأسر لانتساب السكان المحليين إليهم ليزدادوا بهم قوة وغزارة. وسنتناول فيما يلي ما ورد عن القبائل العربية في جنوب مصر.

القبائل العربية في جنوب مصر

وتناولت مصادر القرون المتأخرة مثل مؤلفات النويري (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢ م) والعمري (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) و ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) و القلقشندي (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨) و المقريزي (ت ٨٥٤ هـ/١٤٢١ م) و السيوطي (ت ٩) القبائل والأسر العربية في مصر. والذي يهمنا بصورة أكبر هنا هو تلك الأسر والقبائل التي استقرت في جنوب مصر أو الصعيد، لأنها الأقرب إلى التأثير والنزوح إلى السودان، وكان بعضها يعيش حياة بدوية في الصحارى شرقي وغربي النيل.

أما القبائل والأسر العربية التي استقرت في مناطق الدلتا فكانت - إلى جانب بعدها عن السودان - قد أسست نفسها في مناطق استقرارها الغنية بمواردها الزراعية ولم تشارك كثيراً في التحرك نحو السودان الذي بدأ في عصر المماليك.

ذكر المقريزي أنه "لما قدم الغزو صحبة أسد الدين شيركوه إلى مصر كان بأرض مصر من العرب طلحة و جعفر و بلي و لخم و جزام و شيبان و عذر و عذرة وطيء و سنبس و حنيفة و مخزوم "[1] كان ذلك في القرن السادس الهجري (١٢) قبيل قيام الدولة الأيوبية. ويمكن اختزال هذه القبائل في قريش وربيعة وقضاعة وطيء.

كانت تلك القبائل بأرض مصر بصورة عامة كما وضح المقريزي، وقد حدد القبائل التي بالصعيد قائلاً: "وببلاد الصعيد عدة قبائل من العرب" يمكن جمعها في قريش وبلي وجهينة وبني كلاب وبني هلال ولواتة. ولم يشر المقريزي هنا إلى ربيعة الذين كانوا يعملون بالتعدين في مناطق وادي العلاقي لأن العمل في التعدين كان قد توقف منذ عام ٧٦٢ هـ/١٣٦١م.[2] وسنقوم هنا بالتعريف باختصار بتلك القبائل وأماكن استقرارها.

---

[1] المقريزي، البيان والاعراب ص ٢٢

[2] المصدر السابق، ص ٢٧ – ٢٨.

قريش:

بدأت قريش منذ الربع الأخير من القرن الأول تزحف نحو الجنوب وتقيم في مدن الصعيد الأدنى القريبة من الفسطاط. وكان بنو أمية هم الذين مثلوا قريشاً في هذا الزحف. ولما انتهى الحكم الأموي كانت لهم بعض المراكز بالصعيد، وقد قتل آخر خلفاؤهم في محافظة بني سويف، ثم انتشروا في الصعيد فرارا من العباسيين.[1]

وفي القرن الثالث الهجري توجهت القبائل العربية إلى أرض المعدن في مناطق وادي العلاقي بعد أن لاحظوه – كما ذكر ابن حوقل[2]- أثناء توغلهم في المنطقة عام ٣٣٢ هـ/١٠٤١م عندما حاروبوا البجة بقيادة ابن الجهم. فقد ذكر المسعودي أن بمدينة أسوان "خلق من العرب من قحطان و نزار بن ربيعة و مضر وخلق من قريش."[3] وتوافق هذا مع إيقاف الخليفة العباسي المعتصم في بداية خلافته (٢١٨-٢٢٧ هـ/٨٣٣- ٨٤٢م) دفع العطاء للعرب الأمر الذي أدى إلى خروجهم من الفسطاط للبحث عن وسيلة لمعيشتهم فاتجه بعضهم نحو أرض المعدن . وقد كانت أسوان مركز العمليات والامدادات للقبائل المشتغلة في التعدين.

ويبدو أن عدد قريش قد تكاثر بالصعيد ودخلوا في منازعات مع قبيلة جهينة التي كانت قد سبقتهم إلى تلك المناطق. ففي القرن الرابع الهجري (١٠ م) ساعد الفاطميون القرشيين وأنزلوهم في مدينة أشمون على النيل بين المنيا و أسيوط فاستقروا بها حتى أصبحت أشمون تعرف بديار قريش.

و أشمون مدينة مشهورة في التاريخ القديم منذ عصر الفراعنة، قال عنها ياقوت الحموي: "مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة إلى هذه الغاية، وهي قصبة كورة من كُوَر

---

[1] عبد الله خورشيد البري، القبلئل العرية في مصر ص٨٦.

[2] صورة الأرض. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٧٩ ص٥٧.

[3] المصعودي، مروج الذهب، في مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية. مطبوعات دار جامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٢ ص ٥٣.

الصعيد الأدنى غربي النيل، ذات بساتين"[1] فلا بد أن المدينة كانت مأهولة بالسكان عند استقرار قضاعة فيها أوبعد جلائهم واستقرار القرشيين. غير أن المصادر لم تتطرق إلى السكان المحليين.

فمنطقة أشمون لم تكن خالية من السكان عندما نزلتها قضاعة ثم قريش، وكل الدلائل ترجح أنها كانت مأهولة بالسكان فقد كانت عاصمة من عواصم الصعيد كما ذكر ياقوت. ولم يَرِد أن العرب أجلوا سكانها أو أن السكان رحلوا منها، بل المقبول أن يكون العرب قد استقروا في المنطقة إلى جانب القبط. وهذا يعني أن أعداد العرب لم تكن كبيرة لأن المنطقة استوعبت الوافدين الجدد إلى جانب السكان السابقين. وأعتقد أنه يمكن القول بأن العرب الوافدين إلى المدينة سواء عرب قضاعة أو قريش كانوا أقلية بالمقارنة إلى السكان المحليين.

ولذلك فإن جماعات قريش التي استقرت في منطقة أشمون لا بد قد اختلطت بالأقباط بحكم مشروعية الزواج بالكتابيات، ولا بد أن أعداداً كبيرة ممن أسلم من الأقباط قد انتسبت إلى بيوتات قريش التي ناسبتها أو انتمت إليها. والأمر الآخر الذي يوضح قلة أعداد القرشيين الذين استقروا في المنطقة أن المصادر عندما تتحدث عنهم لا تتناولهم كقبيلة مستقلة بل كأحلاف من أفراد القبائل الأخرى.

يقول المقريزي عن قريش في بلاد الأشمونيين نزلت معهم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة وكان معهم جماعة من أخلاط العرب. في حديثه عن الجعافرة بني جعفر الطيار "يتبعهم من أحلافهم من عنزة وفزازة وبنو عثمان وبنو خالد وبنو مسلمة وبنو ضباب وبنو عكر وبنو ندا"[2] فالحديث عن بيوت وأسر تنضم إلى بعضها، فتحالف بنى جعفر هذا الذي ضم ثمانية أسر يضاف إلى باقي بيوتات قريش لتكوِّن الوجود القرشى.

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان ج١ ص ١٣٣. موقع الوراق

[2] المقريزي، البيان والاعراب ص ٢٠، ٤٦.

وقد ذكر المقريزي من قريش في بلاد الأشمونيين: العمريون وبنو الزبير وبنو شيبة وبنو مخزوم وبنو أمية وبنو زهرة وبنو كنانة، وفي بطونها الجعافرة وبنو طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وبنو سهم. ومن بالصعيد من بني طلحة بن الزبير بنو مصعب بن الزبير وبنو عروة بن الزبير وبلادهم بالبهنسا وما يليها، وصار أكثرهم صاحب معائش وأهل زرع وفلاحة وماشية وضرع.[1]

ومن ولد عروة بن الزبير كما ذكر القلقشندي بنو غني ومن بني مصعب بن الزبير جماعة يعرفون بجماعة محمد بن وراق.[2] وفي كتابه نهاية الأرب ذكر القلقشندي[3] عن الحمداني (ت نحو ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١ م) جماعة فخر بن وراق.

ولم تكن قريش وحدها ببلاد الأشمونيين، فقد ذكر المقريزي وجود قبيلة كنانة، ووضح القلقشندي أن "بنو الليث بطن من كنانة... منهم أخلاطاً في بلاد قريش بالديار المصرية يعني بلاد الاشمونيين..ومنهم جماعة بساقية قلتة من بلاد اخميم من صعيد مصر." كما ذكر وجود بني حسان بن ثابت وبني عكرمة من الأنصار ينسبون إلى سيد الأوس سعد بن معاذ في الصعيد بمنطقة اخميم، وكذلك جماعة من فزارة قبس بالقليوبية.[4] ولم يساهم القرشيون كثيراً في الأحداث التي مر بها جنوب مصر بعد استقرارهم في أشمون، وكانت الامارة في اسرة بني ثعلب من سلالة الجعافرة.

قبيلة بَلــي:

تعتبر قبيلتي بلى وجهينة أشهر فروع قضاعة اليمنية التي دخلت مصر. وقد كانت بَلي مستقرة قبل الإسلام جنوبي الشام حيث انحازوا إلى جانب البيزنطيين وحاربوا المسلمين. وبعد هزيمة البيزنطيين في سوريا انضمت بلي إلى المسلمين مثل غيرها من قبائل الشام التي حالفت البيزنطيين. ودخلت جماعات من بلي مصر مع عمرو بن العاص

[1] المرجع السابق ص ٢٧ – ٥٩.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى ج١ ص ١٤٩.

[3] القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، موقع الوراق ج١ ص ١٤٩.

[4] المصدر السابق ج١ ص ٢٦

الذي كانت والدته منهم، ثم ازداد عددهم حينما رحلوا إلى مصر في عصر الخليفة عمر بن الخطاب.

وكانت قبيلة بلي مقيدة ضمن أهل الراية في الفسطاط، ثم انفصلت مع قبيلة جهينة لتدون تحت قضاعة. وبعد وقف دفع العطاء لقبائل العرب استقرت مع جهينة في مناطق الاشمونيين وأسيوط حتى القرن الرابع. وذكرت المصادر أنه كانت هنالك بعض الخلافات والعداء بين قبيلتي بلي وجهينة حتى دخول القرشيين واستقرارهم في المنطقة بمساعدة الفاطميين، فاتفقت القبيلتان واستقرتا جنوب الأشمونيين. وقد نزح جماعة منهم في وقت مبكر إلى أرض المعدن في نهاية القرن الثالث الهجري.[1]

أما ما نقله مصطفى مسعد عن "هجرة القبائل العربية إلى مصر، ومنها إلى السودان" في ملحق رقم ٨ في كتابه الإسلام والنوبة ملخصا – كما ذكر - عن ماكمايكل جاء فيه أنه عندما تم الصلح بين بلي وجهينة "استقرت بلي في صحراء عيذاب وسكن بعضهم في جهات أخميم" فَهْو نقْل أو ترجمة غير دقيقة، وربما كانت مقصودة لتأييد آراء مسعد وغيره ممن يرى أن البجة تأثروا كثيرا بقبيلة بلي.

فقد ذكر ماكمايكل أنه بعد الصلح بين بلي وجهينة استقرت بلي في المنطقة الواقعة بين مصر وميناء عيذاب ... وفرع آخر من بلي استقر جنوباً في منطقة أخميم مع جهينة." ولم يوضح ماكمايكل مصدره، وقد أشار في الحاشية إلى خطط المقريزي ولكنني لم أعثر على النص في الخطط.

لكن وورد النص عند المقريزي في البيان والإعراب ما يلى: "ثم اتفقت هي [بلي] وجهينة فصار لبلي من جسر غرباً إلى قريب من غرب قمولة، وصار لها من الشرق من عقبة قاو الخراب إلى عيذاب."[2] وقد وضح عبد المجيد عابدين محقق الكتاب في الحاشية رقم ٦٢ أن قاو الخراب من البلدان المندرسة في مركز البداري بمديرية

[1] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي
في مصطفى مسعد، المكتبة السودانية ص ١٢.
[2] البيان والاعراب ص ٢٩.

أسيوط. وبناءً على هذا النص فإن نصيب قبيلة جهينة – وليس قبيلة بلي - قد امتد في شرقي للنيل حتى عيذاب. وليس كما ذكر مايكل:

"An agreement was finally reached whereby the Beli settled in the country lying between Egypt and the port of 'Aidhab." [1]

ويلاحظ أن ماكمايكل كتب بلي بكسر الباء والصيح كما ورد عند القلقشندي بَلِيّ: بفتح الباء وكسر اللام وياء مثناة من تحت"[٢] والنسبة إليها بَلَوي.

وقد أشار القلقشندي إلى الاتفاق الذي تم بين بلي وجهينة في أكثر من مكان. جاء في المكان الأول ما يلي:

" كانت بهذه الديار، يعني بلاد أخميم. وكانت جهينة بالأشمونين جيراناً مع قريش كما هم بالحجاز، فوقع بينهم واقع أدّى إلى دوام الفتنة، فلما أتى العسكر المصري لإنجاد قريش على جهينة خافت بليّ فانهزمت إلى أعلى الصعيد، إلى أن أُديلت قريش وملكت أماكن جهينة، ثم حصل بينهم جميعاً الصلح على مساكنهم التي هم بها الآن، وزالت الشحناء من بينهم، ثم اتفقت جهينة وبليّ على أن يكون لجهينة من المشرق من عقبة قاو الخراب إلى عيذاب. ولبليّ من جسر سوهاج إلى قريب من قمولة ."[٣]

وجاء في المكان الثاني عن قبيلة جهينة:

"قال الحمداني وهم أكثر عرب الصعيد في الديار المصرية، ولهم بلاد منفلوط و اسيوط . قال: وكانت مساكنهم في بلاد قريش يعني الأشمونيين فأخرجتهم قريش بمساعة الخلفاء الفاطميين فصاروا إلى بلاد اخميم اعلاها واسفلها. قال: ويروى أن بليا وبطونها كانت بهذه الديار، وجهينة بالأشمونيين جيراناً بمصر كما هم بالحجاز، فوقع بينهم واقع أدى إلى دوام الفتنة فلما أتى العسكر المصري لإنجاد قريش على

[1] H. A. Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan.* 2nd Impression 1967, Vol. 1 p 37

[٢] القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب أهل الزمان ج١ ص ١٣

[٣] نفس المصدر ج١ ص ١٢.

جهينة خافت بلي فانهزمت إلى أعلى الصعيد إلى أن أديلت قريش ببلاد الأشمونيين وجهينة ببلاد اخميم فزالت الشحناء من بينهم."[1]

كما ورد أيضاً في كتاب نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب عن جهينة: "وديارهم اخميم وما تحتها، قال: واتفقوا هم وجهينة فصار لبلي من جسر سوهاي إلى قمولة، وصار لها من الشرق من عقبة قار الخراب إلى عيدان "[2]

فالنص الأول جعل المنطقة الشرقية حتى صحراء عيذاب من نصيب قبيلة جهينة وليست من نصيب قبيلة بلي. والنص الثاني جعل بلي تتراجع جنوباً على النيل وليس شرقاً في الصحراء. وهذا نفسه ما ورد في النص الأول الذي فسر فيه أعلى الصعيد "من جسر سوهاج إلى قريب من قمولة."

بينما حدد النص الثالث منطقة جهينة مختلفةً عما سبق. فقد "صار لها من الشرق من عقبة قار الخراب إلى عيدان" فإذا قبلنا أن "قار الخراب" بحرف الراء تحريف بسيط لقاو الخراب، من الممكن الوقوف قليلاً مع "عيدان" التي وردت في النص في بدلاً عيذاب.

ويبدو محتملاً أن لا يكون ميناء عيذاب هو الاسم الصحيح في أصل الاتفاق. لأن المنطقة ما بين النيل وصحراء عيذاب منطقة واسعة وليست ملكاً أو تحت دائرة نفوذ قبيلتي بلي وجهينة ليحددا مصيرها ويجعلانها مقرا أو منتجعاً لقبيلة بلي فقط، فهذا شيء لا يملكانه. وفي واقع الأمر فقد كان بعض أفراد قبيلة جهينة يتجول في صحراء عيذاب أو الصحراء الشرقية إلى جانب بعض أفراد القبائل الأخرين

فابن بطوطة الذي عبر الصحراء من النيل إلى عيذاب نحو عام ٧٣٢ هـ/١٣٢٩م لم يقابل عرب بلى فيها، ولم يشر كل من الحمداني (ت نحو ٦٧٠هـ/١٢٧١ م) الذى كتب بعد نحو مائة عام من توقف العمل بالتعدين – وذلك في الستينيات من القرن

---

[1] القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ج١ ص ٧٦.

[2] نفس المصدر السابق، ج ١ ص ٦٤.

الثامن الهجري (١٤م) و المقريزي (ت ٨٥٤ هـ/١٤٤٢م) إلى بلي في تلك الصحراء. وربما يعني ذلك أنه حتى ولو كان لبلي انتشار في الصحراء الشرقية كان محدوداً جداً لدرجة لم يلاحظه ابن بطوطة ولم يستحق الذكرعند الحمداني و المقريزي. وبناءً عليه فإن بلي كانت مستقرة فقط على النيل في صعيد مصر بالاضافة إلى ما كان منها في منطقة المعادن في العلاقي. .

وقد أورد كل من المقريزي لذي لم يوضح مصدره و القلقشندي الذي نقل عن الحمدان (توفى نحو ٦٧٠هـ/١٢٧١ م) أحد عشر بطناً لبلي في منطقة ما بين أسيوط وأخميم، وفصل القلقشندي مناطق استقرار كل بطن على النيل مما يوضح أن بلي كانت بصورة عامة قد استقرت على النيل وارتبطت بالأرض والزراعة.[١]

قبيلة جهينة:

جهينة قبيلة عظيمة وفيها بطون كثيرة، وكما يقول القلقشندي والمقريزي هي أكثر عرب الصعيد، وهي من أوائل القبائل العربية التي دخلت مصر، وعندما خرجت من أشمون للقرشيين استقرت بجوار بلي في منطقة أخميم على النيل. كما شاركت جهينة القبائل العربية الأخرى منذ القرن الثالث الهجري (٩ م) بالعمل في أرض المعدن. وعلى العكس من بلي فقد ورد تواجد جهينة في الصحراء شرقى النيل كما يتضح من نص ابن بطوطة[٢] الذي مرّ بالمنطقة عام ٧٣٢هـ/١٣٣٣ م.

"ثم ركبت البحر بعد ذلك [من جدة] في صنبوق برسم عيذاب، فردتنا الريح إلى جبل يعرف برأس دواير وسافرنا منه في البر مع البجاة. ووردنا ماء كثيرة النعام والغزلان، فيها عرب جهينة وبني كاهل وطاعتهم للبجاة. ووردنا ماء يعرف بمفرور، وماء يعرف بالجديد. ونفذ زادنا فاشترينا من قوم من البجاة وجدناهم بالفلاة أغناماً وتزودنا لحومها ورأيت بهذه الفلاة صبياً من العرب كلمني باللسان العربي وأخبرني أن البجاة أسروه، وزعم أنه منذ عام لم يأكل طعاماً... وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواير ، وصلنا إلى عيذاب ... واكترينا الجمال وخرجنا صحبة طائفة من عرب دغيم

---

[١] المقريزي، البيان والاعراب ص ٣٠، القلقشندي، نهاية الأرب ج١ ص ١٣، ٧٦.

[٢] رحلة ابن بطوطة ج١ ص ١٣٩

...ووصلنا إلى قـــرية العطواني، وهـــي على ضفة النيل، مقابلة لمدينة إدفو من الصعيد الأعلى."

يتضح أن البجة كانوا تحت أدارة مستقلة أو شبه مستقلة سواء عن المماليك في مصر أو مملكة المقرة رغم أن المماليك كانوا قد أغاروا على سواكن واخضعوها إلى سلطتهم عام ٦٦٤ هـ/١٢٦٥ م وعام ٧١٦ هـ/١٣١٦ م كما ذكر النويري.[1] حدث هذا بعد إسلام ملوك مملكة المقرة وما قيل عن سرعة تصدع وزوال النظم الإدارية السابقة، وما قيل عن تدفق موجات كبيرة من العرب نحو السودان بعد إسلام ملوك المقرة. فسلطة البجة كانت قوية ومستقرة لدرجة كانت القبائل العربية المتجولة في المنطقة مثل قبيلة جهينة وبني كاهل تحت حكمهم.

كان البجة يسيطرون ويحمون طرق التجارة من حاضرتهم مدينة سواكن والمناطق الواقعة إلى الجنوب والشمال منها. ويبدو أن أمراء مكة و جدة - سعياً وراء استقرار أمن وسلامة الطرق التجارية - قد تصاهروا مع البجة. فقد كان سلطان جزيرة سواكن حين وصلها ابن بطوطة كما ذكر: " الشريف زيد بن أبي نمي ، وأبوه أمير مكة، وأخواه أميراها بعده ... وصارت إليه من قبل البجاة، فإنهم أخواله ومعه عسكر من البجاة، وبني كاهل وعرب جهينة" وكان اختلاط أولاد كاهل بالبجة قويا بحيث أصبحوا يتحدثون لغة البجة كما قال ابن بطوطة "بني كاهل، مختلطين بالبجاة، عارفين بلسانهم"[2]

فابن بطوطه في تجواله من جنوب سواكن وحتى مدينة ادفو على النيل في صعيد مصر وجد جهينة وبني كاهل فقط في مناطق البجة. واكترى جمالاً من عرب دغيم ليصل إلى ادفو. وذكر ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥ م) في كتابه في حوادث سنة

---

[1] النويري، نهاية الرب في فنون الأدب في مسعد، المكتبة السودانية ص ٢١٧ ، ٢٣٢.

[2] رحلة ابن بطوطة، ص ١١٤- ١١٥.

٦٨٠هـ/١٢٨٢م أن عربان جهينة ورفاعة تقاتلوا في صحراء عيذاب فكتب السلطان الظاهر بيبرس إلى حاكم أسوان ليصلح بينهم من أجل سلامة الطريق.[١]

وبنو كاهل كما ذكر القلقشدي فرعين قحطانية وعدنانية. فبنوكاهل القحطانية من قضاعة والعدنانية من بني اسد من خذيمة. ولم يوضح أماكن تواجدهما في مصر الأمر الذي يصعب معه تحديد إشارة ابن بطوطة، ولكن يمكن ترجيح كونهم من قضاعة بحكم انتشارها في المنطقة.[٢] ويبدو أن نفوذ عرب دغيم كان قويا وفي الصحراء ما بين عيذاب وادفو (جنوب الأقصر). ولم تشر المصادر إلى وجود عرب دغيم في مصر، كما لم ترد في كتب نسب القبائل العربية المبكرة، ولكن ذكر اسمهم مقترناً برآسة عشائر العقيلات والرواشدة بالعراق.[٣]

وذكرت المصادر أن الرواشد فرعان عدنانية وقحطانية، وتوجد جماعات من الفرع القحطاني كما ذكر القلقشندي بالوجه البحري في مصر. وفرع آخر من الرواشدة يتصل ببني عطية.[٤] وبعض بني عطية ينتسبون لقبيلة الأوس الأنصارية ذات الأصل القحطاني.[٥] وتوجد بطن تسمى ذو عطية، وهذة تنتسب إلى جهينة.[٦] فإذا أخذنا الفرع الأخير بحكم وجود قبيلة جهينة في هذه المناطق يمكن أن نفترض أن دغيم الذين أشار ابن بطوطة إلى وجودهم في الصحراء المصرية شرقي النيل ينتمون إلى قبيلة جهينة.

وينصرف نفس القول أيضاً عل رفاعة التي كانت في مصر مجموعتان إحداهما عدنانية والأخرى قحطانية. فالقحطانيون هم عند السيوطي من جهينة ولم يذكر

[١] انظر مسعد، المكتبة السودانية ص ٢٦٨.

[٢] القلقشندي، نهاية الأرب ج١ ص ٨٠، ١١٣.

[٣] عباس العزاوي، عشائر العراق. موقع الوراق

[٤] القلقشندي، نهاية الأرب ج١ ص ٤٩

[٥] ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبرى. موقع الوراق

[٦] حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية. موقع الوراق

أماكن تواجدهم في مصر.[1] ورفاعة الأخرى ذكر من أنهم جذام القحطانيين، ومساكنهم في الوجه البحري. أما العدنانيون فإنهم بطن من بني عامر ويسكنون منطقة أخميم، وكذلك بطن من بني هلال.[2]

وقد أورد ابن خلدون بعض المعلومات عن قبيلتي بلى وجهينة يبدو فيها الكثير من الخلل والاضطراب، وربما يرجع السبب في ذلك إلى بعض الأخطاء فى النقل، وأيضا إلى بعض أحكام ابن خلدون العامة عن النوبة والعرب التي توحي بأن معرفة ابن خلدون بما جرى في المنطقة لم تكن دقيقية، مع العلم بأنه عاش في مصر وعاصر بعض الأحداث التي أعقبت إسلام ملوك المقرة فقد توفي في مصر عام ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م.

قال ابن خلدون: "وبالصعيد الأعلى من أسوان وما وراءها إلى أرض النوبة إلى بلاد الحبشة قبائل متعددة وأحياء متفرقة كلهم من جهينة إحدى بطون قضاعة، ملؤوا تلك القفار وغلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم، وزاحموا الحبشة في بلادهم وشاركوهم في أطرافها والذين يلون أسوان هم يعرفون بأولاد الكنز."[3]

وقد اتضح مما ذكر أعلاه أن عرب جهينة كانوا على اتصال بالبجة، وكانت هنالك قبائل عربية أخرى تشاركهم الحياة في تلك المناطق، وكانوا تحت حكم البجة بشهادة ابن بطوطة. غير أن عرب جهيننة لم يشاركوا في الغزوات التي شنها المماليك على مملكة المقرة، وإنهاء الحكم المسيحي في مملكة المقرة في بداية القرن الثامن الهجري(١٤ م) وهي: أبناء الكنز وبنو هلال وأولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان.[4]

---

[1] السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب ج١ ص ٩٠

[2] القلقشندي، نهاية الأرب ج١ ص ٩٠.

[3] ابن خلدون، العبر ج٦ ص ٥.

[4] أنظر النويري، نهاية الأرب في مسعد المكتبة السودانية ص ٢٢٣، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك في المكتبة السودانية ص٢٦٩، ابن خلدون، العبر في المكتبة السودانية ص ٢٧٨،

ولو افترضنا أن ما ذكره ابن خلدون عن هيمنة أفراد قبيلة قضاعة على المنطقة من دنقلة وحتى البحر الأحمر (بلاد الحبشة كما عبر ابن خلدون) فإن ذلك أيضا لا يجد ما يدعمه لأن القبائل التي هيمنت على الأحداث ما بين اسوان إلى دنقلا غرباً وحتى عيذاب وسواكن شرقا في النصف الأخير من القرن الثامن الهجري – أي عندما كان ابن خلدون عائشا في مصر وكتب تاريخه - هم أبناء الكنز من ربيعة والعكارمة من الأنصار وبنو جعد من لخم وبنو شيبان وأولاد عمر[1] الذين رجحنا كونهم من قضاعة[2]، ولم تكن جهينة بين هذه القبائل.

كما لم تتعرض المصادر المعاصرة لتلك الأحداث التي كتبت عن قبيلة جهينة مثل كتب المقريزي و القلقشندي والسيوطي لهيمنة أو سيطرة قبيلة جهينة على تلك المناطق. أما ما ورد في النص من إضافة أولاد الكنز إلى قضاعة فواضح أن فيه تصحيف من الناقلين، إذ من المعروف أن بني الكنز لا ينتمون إلى جهينة.

وقال ابن خلدون في مكان أخر: "فجهينة ما بين الينبع ويثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز وفى شماليهم إلى عقبة ايلة مواطن بلى وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم وأجاز منهم أمم إلى العدوة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هنا لك سائر الامم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد "[3]

ويمثل هذا النص الاسلوب العام الذي عالج به ابن خلدون تاريخ النوبة. فقد ربط النص بين عبور قبيلتي جهينة وبلي من مواطنهم في شبه الجريرة العربية شرقي بحر القلزم (البحر الأحمر) إلى غربه وانتشارهم في صعيد مصر وبلاد الحبشة وكيف أنهم كانوا من الكثرة بحيث غلبوا جميع الأمم! فرقوا كلمة بلاد النوبة وأزالوا ملكهم!

---

[1] انظر المقريزي، السلوك في مسعد، المكتبة السودانية ص ٣٤٦ – ٣٥٠.

[2] أنظر

[3] ابن خلدون، العبر ج٢ ص ٢٤٧.

ومن المعروف أن بلي وجهينة عبرت من مواطنها في شبه الجزيرة العربية إلى مصر إبان تحركات العرب المبكرة التي عاصرت دخول العرب المبكر مصر. ولم يذكر ابن خلدون أو غيره من المؤرخين والنسابة عبور لاحق لقبيلتي بلي وجهينة في القرون اللاحقة واستقرارهم في الصحراء الشرقية، والقيام بما ذكره ابن خلدون من توسعات أو حروب.

ويضيف ابن خلدون عن انتشار جهينة في بلاد النوبة بعد هزيمة المقرة عام ٧١٦ هـ/١٣١٦ م قائلاً:

"ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم واستوطنوها وملكوُها وملؤُها [عينا][1] وفسادا، وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم فعجزوا، ثم ساروا إلى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت، فتمزق ملكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم".

وكما سبق أن وضحنا لم تشر المصادر قط إلى اشتراك جهينة في غزو النوبة أو مصاهرة الأسرة الحاكمة أو المشاركة في الأحداث التي تلت اسلام ملوك المقرة، بل حدث ذلك من قبيلتي بني الكنز وهم من ربيعة وبني جعد وهم من لخم. ولم يكن لجهينة أي حضور في ذلك. ثم إن ملوك النوبية بعد إسلامهم كانوا لا يزالون على عرش المقرة عندما كتب ابن خلدون تاريخه في مصر.

فبنو الكنز كانوا يطمعون في تولي عرش المقرة، وربما كان ذلك هو الدافع إلى مصاهرة الأسرة المالكة المقرية. وربما كان ذلك هو السبب أيضا في اشتراكهم في حملات المماليك ضد المقرة لكي يعينوهم ملوكاً، خاصة وأن بعضهم أصبح من ابناء أخوات الملوك. وقد نجح أبناء الكنز في الوصول إلى عرش المقرة بعد قتل عبد الله برشمبو أول ملك مسلم من الأسرة المالكة في العقد الثاني من القرن الثامن الهجري.

[1] وردت هكذا في النص.

ولكن المماليك لم يمكنوهم من الاستمرار في الحكم، ففي عام ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م أرسل المماليك حملة هزمت كنز الدولة وعينت مكانه كرنبس ملكا. ولكن بعد عودة الحملة عاد كنز الدولة وتمكن من استرداد العرش من كرنبس . وذكر المقريزي قدوم رسولٍ من ملك النوبة بعد هذه الأحداث، ولكنه لم يوضح الغرض من البعثة.[1] ويبدو مقبولاً أن يكون هدف الزيارة مساعدة الأسرة المالكة ضد أبناء الكنز.

ولم تتعرض المصادر للأحداث في مملكة المقرة لمدة ثلاثين عاما بعد هذه البعثة. ومن الصعب التكهن بما آلت إليه المنافسة على عرش المقرة بين الأسرة المالكة القديمة وأبناء الكنز. كما لم يرد ذكر أيضاً لنشاط أبناء الكنز في أحداث صعيد مصر حتى عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢ م عندما استعان المماليك بأبناء الكنز على القضاء على بعض الاضطرابات في جنوب مصر.

غير أن السنوات التالية منذ عام ٧٧٦ هـ/١٣٧٤م وبداية القرن التاسع الهجري كانت العلاقات متوترة بين أبناء الكنز والمماليك، وتحالف أبناء الكنز مع العكارمة وبني جعد. ويبدو أن هدفهم كان قطع طرق تجارة واتصالات المماليك جنوباً لأنهم أغاروا عام ٦٧٦ هـ على صحراء عيذاب وسواكن والواحات الداخلة واستباحوا أسوان، وكما عبر المقريزي فقد كانوا: "يقتلون وينهبون، ويخربون الدور، ويحرقون بالنار، حتى أفنوا عدة من الناس، وأسروا النساء، وفعلوا كما فعلت الفرنج بالإسكندرية."[2] وتوالى الصراع بين الجانبين، فقد نقل المقريزي عددا من المواقع بينهما حتى بداية القرن التاسع الهجري.[3]

ولذلك فمن المحتمل أن بني الكنز فقدوا عرش المقرة بمساعدة المماليك للأسرة المالكة، وبدأوا يشنون الحرب على المماليك، ويهددون تجارتها وهي من أهم مصادر

---

[1] المقريزي، السلوك في مسعد، الاسلام والنوبة ص ٣٤٥.

[2] المقريزي، السلوك، ج ٢ ص ٢٥٣. موقع الوراق.

[3] المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٤، ٣٨٠، ٤٩١.

المماليك المالية. وقد ذكر المقريزي قدوم وفد من النوبة فيه ركن الدين كرنبس من أمراء النوبة عام ٧٦٧ هـ/١٣٦٥م حاملاً رسالة من ملك دنقلة توضح أن ابن أخت الملك خرج عن طاعته واستنجد ببني جعد من العرب حيث قتل الملك وغدر ابن أخته ببني جعد، واضطربت الأوضـــاع. فأرسل المماليك جيشاً هزم بني جعد وحلفاءهم بني الكنز والعكارمة.[١]

وفي عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م أي قبل وفاة ابن خلدون – الذي تحدث عن تلاشي ملك النوبة على أيدى جهينة - بثمان سنوات وصل ملك النوبة نفسه فاراً إلى القاهرة من ابن عمه طالباً المساعدة من السلطان المملوكي، وأمر السلطان وإلى أسوان بتقديم المسعدة إليه. ولم يذكر المقريزي ما حدث بعد ذلك، ولم يتعرض ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩ م) في حوادث عام ٨٠٠ هـ لهذه الزيارة.

بنو هلال:

بنو هلال قبيلة قيسية من بنى عامر بن صعصعة. ويبدو أن وجودها بمصر لم يكن بالكثرة الملحوظة إذ لم يرد اسمها ضمن تحركات القبائل العربية في جنوب مصر مثل قريش وجهينة وبلي.وهم من القبائل التي شاركت في التعدين منذ وقت مبكر فقد كانوا – بالإضافة إلى بنو تميم - ضمن جماعة العمري حينما تجول في صحراء العتباي بحثاً عن الذهب.

غير أن بني هلال لم يناصروه في خلافاته مع ربيعة والبجة، فاعتزله بنوهلال كما ذكر المقريزي وعبروا النيل غربًا.[٢]ويبدو أنهم استقروا في تلك المناطق الغنية بالواحات والتي تشرف على طرق التجارة بين مصر ومناطق دارفور وغيرها من مناطق جنوب الصحراء، فقد ظهروا في تلك المناطق على خريطة ابن حوقل.[٣]

---

[١] المقريزي، السلوك في مسعد، المكتبة السودانية ص ٣٤٧- ٣٥٠.

[٢] المقريزي، كتاب المقفى في مسعد، المكتبة السودانية ص ٣٦٧.

[٣] ابن حوقل، صورة الأرض بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٧٩ ص ١٢٨.

وبدأ اسم قبائل بني هلال يتردد بين القبائل العربية في مصر منذ القرن الخامس الهجري (١١م) عندما استقدم الفاطمون جماعات كبيرة منهم ووطنوهم الصحراء الشرقية للنيل. وربما هذا هو الوقت الذي قالت فيه المصادر أنهم "كانوا أهل بلاد الصعيد كله إلى عيذاب."[١]

وعندما حدث الخلاف بين الفاطميين وبين بني زيري نوابهم في المغرب وانسلاخهم عن الخلافة الفاطمية الشيعية وإعلان تبعيتهم للعالم السني تحت مظلة الخلافة العباسية في بغداد، أرسل الفاطميون بني هلال إلى المغرب وأطلقوا أيديهم لاحتلال أراضيه لتأديب وإضعاف بني زيري. وقد هاجرت مجموعات كبيرة منهم إلى المغرب.

وقد تناول المقريزي و القلقشندي سبعاً من بطون بني هلال على النيل ما بين أخميم و أسنا و أسوان ،وهم: بنو قرة وبنو عمرو ورفاعة، وبنو حجير، وبنو عزيز وبنو عقبة وبنوجميلة. كما كانوا ضمن القبائل العربية التي شاركت في حرب المماليك لملكة المقرة. أما أبناء عمومتهم بنو كلاب فقد كانت مناطق استقرارهم الرئيسة في العراق و الشام ، وكانت بعض بطونهم بالفيوم والوجه البحري.[٢]

ربيعة والعرب في مناطق المعدن:

بدأ استقرار القبائل العربية في وقت مبكر في مناطق الحدود الجنوبية لصحراء مصر الشرقية في مناطق المعادن. وكانت تلك المعادن معروفة ومستغلة منذ عصر الفراعنة. أما بعد انتشار الإسلام فقد بدأت صلات العرب بالمعدن كما ذكر ابن حوقل عندما لاحظ العرب الذين صحبوا ابن الجهم في حربه مع البجة عام ٢٣٢هـ/٨٤٧ م آثار العمل القديم في المعدن، فرجعوا إليه بعد انتهاء الحروب.

وكان عرب الحجاز أول من بدأ ذلك النشاط. وفي بداية دخول العرب أرض المعدن حدثت اضطرابات في اليمامة حيث غادرها آلاف كثيرة – كما عبر ابن حوقل – إلى

---

[١] المقريزي، البيان والاعراب ص ٢٧ ، القلقشندي، قلائد الجمان ج١ ص ٣٤.

[٢] نفس المصدرين السابقين ونفس المكان.

أرض المعدن "وتكامل بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر وهم جميع أهل اليمامة في سنة ثمان وثلاثين ومائتين" ويرى المقريزي أن الهجرة الفعلية لربيعة إلى أرض المعدن "تمت عام بضعة وأربعين ومائتين في خلافة المتوكل ."[1] ويبدو أن كثيراً من العرب قد اتجهوا إلى أرض المعدن بعد أن قطع المتوكل أعطياتهم.

وصاحب دخول العرب أرض المعدن وصول جماعات من قبائل ربيعة فبدأ الاستقرار الكبير فيها. وكانت أكبر تلك القبائل بنو حنيفة الذين انتقلوا إليها بالعيالات والأذرية - كما عبر اليعقوبي - وبني هلال وبني سليم وبلي وجهينة. وأصبح وادي العلاقي "كالمدينة العظيمة به خلق من الناس وأخلاط من العرب والعجم وبه أسواق وتجارات... لكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر.[2]

وذكر الطبري أن البجة كانوا يقاسمون من يعمل في المعدن "ويؤدون إلى عمال السلطان في مصر في كل سنة عن معادنهم أربعمائة مثقال تبر قبل أن يطبخ ويصفى."[3] وفي عام ٢٤٢ هـ امتنعت البجة عن أداء ما عليها من التبر وقتلت بعض المسلمين بالمعدن ومنعتهم من العمل وأغارت على المناطق المصرية.

ويبدو أن العلاقات عادت إلى مجاريها الحسنة بعد هزيمة البجة على يد القمي . فعندما زار المسعودي مصر عام ٣٣٢ هـ كانت الأوضاع مستقرة وقد تحالفت ربيعة مع البجة وتزوجوا منهم، وكان زعيم ربيعة "يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر و اليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة ..."[4]

وعدد العرب في أرض المعدن لم يكن كبيراً بالمقارنة إلى البجة، ففي قمة نشاط العرب في المعدن في القرن الرابع الهجري (١٠ م) بين المسعودي تعداد من يحملون السلاح في أرض المعدن من ربيعة ومضر وأحلافهم بثلاثة ألف رجل. فإذا قدرنا لكل رجل ما

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض ص ٥٧ – ٥٨.

[2] تاريخ اليعقوبي ص ١٦ في مسعد، المكتبة السودانية.

[3] الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٢٧٨ – ٢٧٩.

[4] المسعودي، مروج الذهب في مسعد، المكتبة السودانية ص ٥١.

بين ثلاثة إلى أربعة من أفراد أسرته الذكور دون سن حمل السلاح، نفترض أن عدد العرب في حدود عشرة آلاف. وإلى جانب العرب والبجة كان لكل من التجار وغيرهم "عبيد سودان يعملون في الحفر" فكان وادي العلاقي "كالمدينة العظيمة ، به خلق من الناس وأخلاط من العرب والعجم."[1]

كما قدر المسعودي عدد من يحملون السلاح بأرض المعدن من البجة بثلاثين ألفاً. فإذا قدرنا من لا يحمل السلاح لكل رجل بين الثلاثة والأربعة نُقَدر عدد البجة الذكور بنحو مائة ألف. فعدد البجة بالنسبة للعرب كان كبيراً لدرجة نفترض معها تأثير البجة على العرب وليس العكس. ومن المسلم به أن العرب أثروا ثقافياً وانتشرت لغتهم كثيراً في مناطق استقرارهم حتى ولو كانوا أقلية، لأن لغتهم أصبحت لغة القرآن وشعائر الإسلام. وهنا يمكن افتراض تأثير العرب علي البجة في جانب اللغة بحيث تعلم بعض البجة اللغة العربية للضرورات المتعلقة بممارسة الشعائر.

وهذا الافتراض يصدق على مناطق التعدين فقط، إذ تعلم العرب في غير هذا الموقع لغة البجة فقد ذكر ابن بطوطة أن عرب بني كاهل يتحدثون لغة البجة. ومن جانب آخر فإن العرب لم ينتشروا في أرض البجة الواقعة إلى الجنوب منهم رغم وفرة مياهها ومراعيها في ذلك الوقت.

والدليل على ذلك حملة المماليك التي خرجت لحرب عربان صحراء عيذاب عام ٧١٦ هـ/١٣١٦ م لقطعهم الطرق، فقد وصلت الحملة عيذاب واتجهت منها إلى سواكن ثم توغلت جنوبا سبعة عشر يوماً حتى وصلت منطقة كسلا الحالية، ثم رجعت الحملة عن طريق نهر عطبرة حتى النيل فشمالاً إلى مصر. ولم تصادف الحملة في كل تلك المناطق غير قبائل البجة.[2]

ظلت مناطق التعدين نشطة، كما كانت ميناء عيذاب (ميناء الذهب) مزدهرة حتى منتصف القرن السابع الهجري (١٣ م) وبعد ذلك تحول طريق الحج من عيذاب إلى

[1] اليعقربي، كتاب البلداد في مسعد، المكتبة السودانية ص ١٤ – ١٥.

[2] انظر تفاصيل الحملة عند النويري، نهاية الأرب في مسعد، المكتبة السودانية ص ٢٢٠ – ٢٣٥.

الطريق البري عبر جنوب صحراء سيناء بعد طرد الصليبيين الذين كانوا يهددون طرق الحج البرية في تلك المناطق، فقلت أهمية عيذاب حتى توقف نشاطها. وفي نفس الوقت كانت حقول المعادن قد قل إنتاجها ولم تعد ذات عائد يشجع على الاستقرار فيها حتى توقف العمل فيها نهائياً عام "بضع وستين وسبعمائة"[1]

أبناء الكنز:

ينتمي بنو كنز إلى قبيلة ربيعة التي كانت من طلائع العرب الذين استقروا في مناطق التعدين في وادي العلاقي. وكان بنو يونس – وهم فرع من ربيعة – قد استقروا في ميناء عيذاب وملكوها أول دخولهم المنطقة عام "بضع وأربعين ومائتين" كما عبر المقريزي. وحدثت حرب بينهم وبين أبناء عمومتهم بني بشر هُزم فيها بنو يونس وعبروا البحر الأحمر إلى الحجاز، وسيطر بنو بشر على المنطقة.[2]

وتحالف بنو بشر مع البجة وتصاهروا معهم، كما تحالفوا مع بقية العرب المضرية واليمنية في مناطق المعدن مما مكنهم من تولى القيادة في المنطقة، وكانوا تحت رئاسة أبي مروان بشر بن اسحاق الذي وصفه المسعودي عام ٣٣٢ هـ/٩٤٣ م بصاحب المعدن. وحدثت خلافات بين بني بشر قتل فيها أبو مروان وخلفه في الزعامة ابن عمه أبو عبد الله محمد بن علي الذي كان مستقرا في بلبيس.

ويرجع امتداد نفوذ بني اسحاق من أرض المعدن إلى أسوان - التي كانت مركزاً لعمليات المشتغلين في المعادن - إلى محمد بن علي. ويبدو أن أسوان كانت تتعرض لبعض الاضطرابات الأمر الذي أدى بمحمد بن علي إلى فرض نفوذه عليها. ذكر المقريزي أنه "نزل أسوان وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان " ووصفه "بحامي

[1] المقريزي، الخطط في مسعد، المكتبة السودانية ص ٣٠٩.

[2] المقريزي، البياي والاعراب ص ٤٤.

اسوان"[1] كما يسند إليه أيضاً تأسيس مدينة " المحدثة " التي ظهرت على خريطة ابن حوقل على النيل شمال مدينة أسوان، ويبدو أنها أصبحت مقر رئاستهم.[2]

وتولى الزعامة بعده ابنه أبو المكارم هبة الله الذي قبض على أبي ركوة الأموي - الخارج على الخليفة الفاطمي - عندما تقهقر إلى الصعيد فأنعم عليه الخليفة الفاطمي بلقب كنز الدولة في عام ٣٩٧ هـ/١٠٠٦م. وورث اللقب أبناؤه من بعده وأُطلق على الأسرة لقب أبناء كنز الدولة، وأصبح بنو بشر من ربيعة يعرفون ببني كنز، فالمقريزي مثلا كتب عنهم تحت عنوان "أولاد الكنز" ثم ساد فيما بعد اسم "الكنوز"

تمكنت أسرة أولاد الكنز من فرض قوتها وأسسوا إمارة ما بين اسوان و البحر الأحمر مستعينين بحلفائهم في المنطقة من النوبة و البجة ومن أنضم إليهم من بني ربيعة وغيرهم من قبائل العرب المضرية و اليمنية. وأصبح ميناء عيذاب في عصرهم يعرف بميناء الذهب وتطورت موارد المنطقة التجارية مما زاد من قوة الإمارة. وحافظ أولاد الكنز على ولائهم للفاطميين رغم وقوع بعض المنازعات بينهما في آخر القرن الخامس الهجري. ويعتبر مصطفى مسعد أن الخلافة الفاطمية قد اعترفت بإمارتهم في المنطقة بإعطائها هذا اللقب لبني بشر.[3]

وعندما انتهى حكم الفاطميين علي يد الأيوبيين عام ٥٦٧ هـ/١١٧١ م دخل بنو الكنز في صراع معهم لأسباب كثيرة لعل أهمها هو أن الأيوبيين أقطعوا إقليم أسوان إلى أحد قوادهم مما يعني نهاية امارة بني الكنز. وبالطبع لم يقبل بنو الكنز بذلك الوضع وجمعوا حولهم العرب والنوبة وثاروا على الأيوبيين.

وقد أيد النوبة أسرة أبناء الكنز لأنهم دخلوا في صراع ضد الأيوبيين منذ بداية قيام دولتهم للمحافظة على مكاسبهم ونفوذهم القوي في مصر. فقد كان النوبة – الذين ارتبط اسمهم بإقليم طيبة في جنوب مصر - يمثلون شريحة هامة قبل دخول

[1] المقريزي، الخطط في مسعد، المكتبة السودانية ص ٣٢٢ – ٣٢٣.

[2] ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٢٨.

[3] مصطفى محمد مسعد، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ص ١٣٤.

الإسلام. وقد عامل العرب الفاتحين النوبة باعتبارهم عنصراً متميزاً عن أهل مصر. فقد جاء في نص عهد الأمان الذي أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر:

"وهذا ما أعطى عمرو بن العاص لأهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا تساكنهم النوبة... ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم. ومن أبى منهم واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطانها."

وهكذا فقد أتى النوبة عنصراً متميزاً من المصريين في إقليمهم طيبة مثل الروم – وهم البيزنطيين – الذين كان بعضهم مستقراً في مصر. وهم مثل الروم الذين ورد ذكرهم في وثيقة الجبلين التي ترجع إلى عصر الحكم البيزنطي في مصر والتي كتبها شراشن ملك البليميين (البجة) لأبنائه حكام جزيرة تناري في إقليم طيبة جنوب الأقصر الحالية يوضح فيها ضرورة جمع الضرائب من الروم المستقرين في الجزيرة.[1]

ويبدو أن النوبة حافظوا على ذلك الوضع بعد دخول العرب، وبدأوا يؤسسون قوتهم ويلعبون دوراً واضحاً منذ القرن الثالث الهجري مع بداية إبعاد العرب من الجيش وظهور الجند المرتزقة والمماليك. فقد أصبح الجند السودان – الذين يفترض أن معظمهم من النوبة – قوة مؤثرة على الحياة السياسية منذ عصر الدولة الطولونية (٢٥٤- ٢٩٣ هـ)، فقد بلغ عددهم أربعين ألف جندي. ويمكن افتراض أن عدد النوبة في الجيش في عصر الدولة الإخشيدية (٣٢٣- ٤٥٦ هـ) – التي حكم فيها كافور الإخشيدي وهو من السودان – لا يقل وربما زاد عما كان عليه في الدولة الطولونية.

وكان لوالدة الخليفة المستنصر الفاطمي – وهي من السودان – أكثر من خمسين ألفاً من الجنود السودان. وقدر ابن الوردي[2] عدد الجنود السودان الذين خرجوا من صعيد مصر لحرب الأيوبيين ومحاولة إعادة الخلافة الفاطمية بمائة ألف. ويبدو معقولاً افتراض أن الغالبية العظمى من أولئك الجنود السودان كانوا من النوبة.

[1] أنظر بخصوص هذه الوثيقة والبلميين فيما يلي الفصل ومصطفى مسعد، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ص ٥٦ و٢٥٠.

[2] خريدة العجائب في مسعد، المكتبة السودانية ص ٣٨٤.

التف النوبة حول أولاد الكنز وأصبحوا منذ ذلك الوقت سندهم القوي. ويبدو أن العلاقات توطدت بين النوبة وبني بشر، وتصاهر الطرفان وأصبحا يداً واحدة في المنطقة تحت قيادة أبناء الكنز. غير أن الأيوبيين هزموا تحالف النوبة وبني الكنز عام ٥٧٠ هـ/١١٧٤ م وأنهوا إمارتهم، وأصبحت أسوان تحت إدارة الأيوبيين.

لكن تلك الهزيمة لم تنه وجودهم، فقد ظل بنو الكنز زعماء في المنطقة والتف حولهم النوبة وتحالفوا مع العرب فازدادت قوتهم في المنطقة، وقام هذا التحالف بقيادة أبناء الكنز بدور بارز في الأحداث في عصر المماليك الذين خلفوا الأيوبيين في حكم مصر، فقد بدأت العلاقات الطيبة بين الطرفين في بداية الأمر.

استعاد أبناء الكنز سيطرتهم على المنطقة بعد زوال الحكم الأيوبي في منتصف القرن السابع الهجري (١٣ م). ويبدو أن اختلاطهم بالنوبة قد أدى إلى تحسين علاقتهم بمملكة المقُرة حتى تصاهروا مع الأسرة الحاكمة. ويمثل هذا تطوراً جيداً في العلاقات بين مملكة المقُرة وجيرانها المسلمين في الشمال، فقد كانت العلاقات في صورتها العامة متوترة بين الطرفين، وكثيراً ما وقعت الحروب بينهما. ولذلك فمصاهرة أسرة كنز الدولة لملوك المقُرة تُمثل نقطة تحول في العلاقات بين المسلمين و مملكة المقرة بسبب اطمئنان ملوك المقرة لأسرة كنز الدولة بخلاف الدول التي قامت في مصر مثل الفاطميين والأيوبيين ثم المماليك.

ورغم مصاهرة أسرة كنز الدولة لملوك المقُرة إلا أنهم تعاونوا مع المماليك في الحملات المتكررة التي أرسلوها ضد المقُرة في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجريين (١٣ – ١٤ م). وأدى ذلك الصراع إلى نهاية عصر الملوك المسيحيين في المقرة وبداية عصر الملوك المسلمين الذين كان أولهم أحد أفراد الأسرة المقُرية الحاكمة ثم وصلت أسرة كنز الدولة لعرش المقرة بحكم مصاهرتهم للأسرة الحاكمة.

ورغم إحساس المماليك بخطر دولة مسيحية على حدودهم الجنوبية يمتد نفوذها إلى سواحل البحر الأحمر في الوقت الذي يحاربون فيه الصليبيين في الشام وشمال البحر الأحمر، إلا أن سياستهم لم تهدف إلى تشجيع أسرة كنز الدولة أو غيرها من القبائل العربية بالهجرة إلى مملكة المقُرة أو تأسيس قوة هنالك. ربما كان المماليك يخشون على عروشهم من قيام دولة عربية مسلمة على حدودهم الجنوبية.

ففي المعاهدة التي وقعها قواد جيش المماليك مع ملك المقُرة شكندة عام ٦٧٥ هـ/١٢٧٦ م تعهد فيها شكندة كما أورد ابن أبي الفضائل و الأدفوي[1] "أن لا يترك أحداً من العربان ببلاد النوبة صغيراً ولا كبيراً، ومن وجده منهم احتاط عليه وأرسله إلى الأبواب السلطانية." مع العلم بأن عربان الوجه القبلي اشتركوا مع جيش المماليك في هذه الحملة ضد المقرة.

ويبدو أن عرش المقرة خرج من أبناء كنز الدولة ورجع إلى الأسرة النوبية، فقد حضر أمير نوبى يدعى ركن الدين كِرنبس يحمل رسالة من ملك النوبة عام ٧٦٧ هـ/١٣٦٥ م يطلب فيها مساعدة المماليك ضد بني الكنز وعرب بني جعد . فأُرسِلت حملة كبيرة قبضت على أولاد الكنز وهزمت العكارمة .

ونقل الملك مقره من دنقلة إلى قلعة ألدو لحصانتها لأنه يخشى هجوم عرب بني جعد. ومنذ ذلك التاريخ وحتى نهاية القرن الثامن الهجري حدثت حروب متكررة بين بني الكنز وحالفائهم بني جعد وبين المماليك. ولم تضعف قوة أبناء الكنز في صعيد مصر إلا بظهور قوة قبيلة هوارة المغربية (الأمازيغية) في الصعيد منذ بداية القرن التاسع الهجري (١٥ م)

إلى جانب القبائل العربية التي تعرضنا لها في جنوب مصر جاء أيضاً ذكر لقبائل أخرى أقل مشاركة في الأحداث جنوبي مصر، وقد وردت الإشارات اليها في بعض أحداث الصعيد أو مملكة المقرة أو البجة مثل بني كاهل و دغيم و رفاعة الذين تعرضنا لهم عند الحديث عن قبيلة جهينة. ومثل لخم و جذام وبني عامر و كلب القحطانية وأبناء عمر وأبناء شيبان.

لخم و جذام أخوان نُسِبت إليهما القبيلتان القحطانيتان المشهورتان. قبيلة لخم وقبيلة جذام. وقد تكررت الإشارات إليهما في الفسطاط والوجه البحري، وكانت لهما مواقف في الحروب بين الأمين و المأمون ، ومواقف حين أسقط المعتصم أسماء العرب من العطاء. وقد أشارت المصادر إلى وجود أحد عشر بطناً للخم وجذام في صعيد مصر.[2]

---

[1] ابن أبي الفضائل، كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد في مسعد، المكتبة السودانية ص ٢٥١ وابن الفرات، تاريخ الدول والملوك في مسعد الاسلام والنوبة ص ٢٦٤

[2] ابن خلدون، العبر ج ٥ ص ٣٧٧، القلقشندي، صبح الأعشى ج١ ص ١٤٠، نهاية الأرب، ج ١ ص ٦٩ – ١٣٩.

ورغم هذا العدد الكبير فإن المصادر لم تتناول أخبارهم في أحداث المنطقة ما عدا بني جعد الذين صاهروا الأسرة المالكة في المقرة بعد إسلام ملوكها، وتدخلوا في الصراع الذي دار حول عرش المقرة وكانوا هم و العكارمة – القبيلة التي تنتمي إلى الأنصار – حلفاء بني الكنز ضد الأسرة المالكة في ذلك الصراع.

وعن بني عامر نقل القلقشندي عن العمري وجود عرب يطلق عليهم بني عامر على الطريق بين أسوان وسواكن. ولم أتمكن من تحديد انتماء هذه القبيلة لأنه توجد قبيلة بني عامر بن صعصعة العدنانية، وبني عامر من كنانة عذرة القحطانية، كما ذكرت عدة بطون من قبيلة بني عامر اللواتية. ولكن كل هؤلاء مقيمون على النيل في الصعيد، ولم أجد فيما رأيته من مصادر – ما عدا القلقشندي - من أشار إلى هذه القبيلة في صحراء عيذاب أو سواكن.[1]

ذكر المقريزي وجود قبيلة كلب في الفيوم،[2] وهنالك قبيلتان ورد ذكرهما في مصر بهذا الاسم، كلب القحطانية ومنها قبيلة كنانة عذرة التي ينتمي إلى فرع منها الأحامدة الذين تحالفوا مع قبيلة هوارة في مناطق أسوان ضد المماليك، كما ثاروا عليهم كثيراً في قوص. أما كلب العدنانية فهم بنو عامر بن صعصعة بنو عمومة بني هلال ولم يرد لهم ذكر منفصل في أحداث الصعيد وغزوات النوبة.[3] وسيأتي الحديث عن أبناء عمر وأبناء شيبان.

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى ج ١ ص ١٥٢، نهاية الأرب ج ١ ص ١١١، ١٣٩.

[2] المقريزي، البيان والاعراب ص ٢٨.

[3] المقريزي، السلوك ج ٢ ص ٤٧٥، ج ٣ ص ١٧٨. القلقشندي، نهاية الأرب ج ١ ص ٥٩.

القبائل المغربية والأعراب

قبيلتا لواتة وهوارة:

قبيلتا لواتة وهوارة من القبائل الأمازيغية الصحراوية المشهورة باسم "القبائل البربرية." كان بعض تلك القبائل بدوياً صحراوياً وبعضها الآخر مستقراً على سواحل البحر الأبيض المتوسط والمناطق الداخلية. ويرجع ارتباط تلك الشعوب بوادي النيل إلى عصور موغلة في القدم.

أشرنا سابقاً إلى العلاقة الطبيعية بين وادي النيل كمنطقة غنية بالموارد المائية والمناطق الصحراوية المجاورة له وبخاصة المناطق الغربية. فالعلاقة بين سكان وادي النيل وسكان الصحراء علاقة الاتصال الطبيعي والدائم لشعوب المناطق الجافة قليلة الموارد المائية بالمناطق الرطبة غزيرة الموارد المائية. فقد شهد وادي النيل تحركات سكانية من الصحراء على مدار عصوره التاريخية - وإلى الآن – نحو النيل.

ولذلك ربطت بعض النظريات الحديثة أصول الحضارة المصرية بذلك التأثير الصحراوي، ويستدلون بالكثير من الشواهد التي وضحت الشبه الكبير بين سكان وثقافات الصحراء المبكرة وسكان وثقافات وادي النيل قبل قيام عصر الأسرات. ورصدت الآثار المصرية تلك الصلات في العصور التاريخية في كل مراحل تاريخ وادي النيل.

وتلك الشواهد معروفة في التاريخ ومتاحة لمن يريد التعرف عليها.[1] وقد ناقش Oric Bates مظاهر التشابه بين ثقافات الصحراء المبكرة وثقافات وادي النيل في كتابه القيم الليبيون الشرقيون الذي اعتمد فيه على نقوش ورسومات الصحراء والمصادر اليونانية والرومانية إلى جانب نتائج الدراسات الآثارية والأنثروبولوجية.[2]

---

[1] لكاتب هذا المقال مسودة كتاب أعد باللغة الانجليزية فيه مناقشة مفصلة عن هذا الموضوع، والكتاب عبارة عن مقدمة لتاريخ افريقيا القديم.

[2] Oric Bates, *the Eastern Libyans*. First edition 1914, New impression London: Frank Cass & Co.Ltd. 1970.

ونكتفي هنا بالتنويه إلى تأكد تأثير الصحراء الكبرى على تاريخ وادي النيل تأثيراً يفوق بدرجات كبيرة تأثير صحراء شبه الجزيرة العربية على وادي النيل. فدراسة تاريخ وادي النيل بشقيه السوداني والمصري ارتبط أولاً ارتباطاً طبيعياً ومنطقياً بالصحراء الكبرى وليس بصحراء شبه الجزيرة العربية. ولذلك أرى أن أيّ دراسة لسكان السودان وتاريخه في كل العصور حتى الوقت الحاضر إذا لم تدخل في حساباتها تأثير سكان الصحراء ستكون نتائجها مبتورة وغير صادقة. فسكان السودان هم مزيج من ذلك التفاعل الصحراوي النيلي عبر العصور.

وفي العصر السابق لدخول الإسلام في شمال إفريقيا في القرن السابع الميلادي ظهرت أسماء القبائل الصحراوية المجاورة لوادي النيل علي الخرائط، مثل خريطة بلايني و بطلميوس . وكما أوضحنا فيما سبق فإن اسماء تلك القبائل اختلفت من عصر لعصر، فأسماء القبائل التي ظهرت في المصادر اليونانية والرومانية في المناطق الصحراوية غربي النيل لم ترد بنفس مسمياتها في المصادر العربية. فعلى الخرائط التي وردت في كتاب بيتس جاء فقط اسم لواتة. أما بقية القبائل الصحراوية المجاورة للنيل فقد وردت تحت أسماء "القبائل الليبية المصرية" و "Mazices" وهم ما يعرف اليوم بالأمازيغ.[1]

وقد ازدادت صلات القبائل الصحراوية بمصر بعد الإسلام لأسباب سياسية وطبيعية، فنزحت الكثير من القبائل المغربية إلى مصر مثل قبيلة كتامة التي قامت الدولة الفاطمية على سواعدها ومثلت العنصر الأكبر في قوتها. وسنتعرض هنا لقبيلتين فقط هما لواتة و هوارة بحكم ارتباطهما بالصحراء وبمصر بصورة عامة وبمناطق الصعيد بصورة خاصة، ثم لأنهما القبيلتان الصحراويتان اللتان ارتبطت تحركاتهما بالهجرات التي دخلت السودان بعد أسلام ملوك مملكة المقرة.

يقول ابن خلدون إن نسابة العرب والبربر اتفقوا على أن هوارة و لواتة من قبائل البربر. ويعلق على ما ورد من بعض النسابة قائلا: "الا ما يزعم بعضهم أنهم من عرب اليمن ... وهذه كلها مزاعم والحق الذى شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن

[1] Ibid. p 59 – 70.

العرب." وقد أورد ابن خلدون أدلة كثيرة للرد على ما "يزعمه" البعض عن انتساب البربر للعرب.[1] وقد ناقشنا ذلك سابقاً ووضحنا أسبابه. فقبيلتا لواتة و هوارة من قبائل الصحراء الموجودة في المنطقة منذ عصور سابقة لدخول الإسلام.

وكانت مناطق لواتة كما في المصادر الكلاسيكية هي الواحات والمناطق الصحراوية القريبة من النيل.[2] أما هوارة فكانت كما ذكر ابن خلدون "ظواعن وآهلين ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه افريقية، ويعرفون بنسبهم هكارة قلبَت العُجْمة واوه كافاً أعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف."[3]

ويمثل منتصف القرن الرابع الهجري (١٠م) بداية دخول القبائل المغربية مصر بأعداد كبيرة مع بداية الحكم الفاطمي لمصر. ولكن يبدو معقولا أن علاقات لَوَاتة بمصر قد سبقت ذلك التاريخ لأنهم كانوا موجودين بأعداد كبيرة في مناطق الواحات. وقد كان ارتباط الواحات قويا في العصور السابقة للاسلام لأغراض سياسية وتجارية ودينية، فقد كان الفراعنة على سبيل المثال يعتقدون أنها المقر المفترض للموتى.

وقد ذكر المسعودي أن صاحب الواحات: "في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - عبد الملك بن مروان، وهو رجل من لَوَاتة، إلا أنه مرواني المذهب، ويركب في ألوف من الناس خيلاً ورجلاً ونجباً، وبينه وبين الأحابش [أي النوبة] نحو من ستة أيام، وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة ... وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بباب الإخشيد محمد بن طغج ، وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة، وسألته عن كثير من أخبار بلدهم، واحتجت أن أعلمه من خواص أرضهم"[4] .

[1] ابن خلدون، العبر ج ٦ ص ٩٧' ١٣٩.

[2] Oric Bates. *the Eastern Libyans*. P 70

[3] ابن خلدون، العبر ج ٦ ص ١٤١.

[4] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ١٧٩.

ونقل ياقوت الحموي ما ذكره البكري في القرن الخامس الهجري (١١م) عن سنترية أنها:

"بلدة في غربي الفيوم دون فَزَّان السودان وهي آخر أعمال مصر، وتُعدُ من نواحي واح الثالثة وهي قصبة واح الثالثة، وقد نُسِب إليها بعض أهل العلم. وقال البكري: من أوجلة إلى سنترية عشر مراحل في صحراء ورمال قليلة الماءِ، وسنترية هذه كثيرة الثمار والعيون والحصون وأهلها كلهم بربر لا عرب فيهم وتسير من سنترية على طرق شتى إلى الواحات ومن سنترية إلى بهنَسا الواحات عشر مراحل وهي غير بهنَسا الصعيد." وأضاف ياقوت: "بين أقصى واح الثالثة وبلاد النوبة ست مراحل وبها قبائل من البربر من لواتة وغيرهم."[1]

وهكذا كانت الصحارى المجاورة للنيل من الناحية الغربية حتى عصر ياقوت الحموي (أول القرن ٧هـ/١٣م)مأهولة بقبائل البربر، وربما كانوا في ذلك الوقت تحت زعامة لواتة لأنها كانت حتى عصر ياقوت تمثل أغلبية السكان كما يتضح من عبارته "من لواتتة وغيرهم." ويلاحظ أنه لم ترد الاشارة حتى ذلك الوقت القرن الثالث عشر الميلادي إلى العرب، بل صرح البكري في النص أعلاه أن السكان كلهم "بربر لا عرب فيهم."

ويعني ذلك أن القبائل العربية بدأت تدخل المناطق الصحراوية الواقعة جنوب الواحات وشمال تشاد بعد بداية القرن الثالث عشر الميلادي كما يتضح من رسالة ملك البرنو إلى حاكم مصر الظاهر أبي سعيد برقوق. فقد ذكر القلقشندي أنه وصلت سنة ٧٩٤هـ/١١٩٢م من ملك البرنو رسالة يشتكي فيها من غارات عرب جذام المجاورين لحدوده الشمالية وسبيهم للمسلمين الأحرار.[2]

وبعد دخول الفاطميين مصر في منتصف القرن الرابع الهجري (١٠م)، دخل مصر عددٌ كبير من المغاربة لأنهم كانوا يمثلون قوة الجيش الفاطمي الفاتح. وازدادت هجراتهم بعد ذلك واستقرت مجموعات كبيرة منهم في الوجهين البحري والقبلي.

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٢ ص ٤٨٤ و٢٧٣.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٦٧.

وكانت قبيلة لواتة أكثر تواجداً وأثراً – من قبيلة هوارة - على الأوضاع السكانية والحياة السياسية في مصر في القرون السابقة لعصر المماليك. ويتضح مما ذكره المقريزي[1]أن لواتة كانت متزعمة قبائل المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري (١١ م) في الوجه البحري، ولعبوا دورا بارزاً في الأحداث السياسية.

وكانت تلك القبائل من كثرة العدد والقوة كما ذكر ابن خلدون لدرجة أنهم لم يكونوا يخضعون لسلطات الحكومة المركزية في القاهرة. ولم يكن أغلب تلك القبائل بدواً متجولين بل كانوا "يعمرون الأرض بالفلاحة ويقومون بالخراج للسلطان" ويديرون شؤونهم المحلية وغالبا ما يثورون على السلطة المركزية بخصوص تقديرات الضرائب،[2] خاصة وأن الحكومات كانت تفرض المزيد من الضرائب في أوقات الحروب والأزمات المالية.

وقد استقرت فرع من قبيلة هوارة أيضا بالوجه البحري في بداية الأمر، فقد ذكر القلقشندي:

"ان منازلهم بالديار المصرية وبالبحيرة، ومن الاسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة من برقة." وقد ارتبط تاريخ قبيلة هوارة بصعيد مصر منذ أواخر القرن الثامن الهجري (١٣ م) حين غلبهم على الوجه البحري تحالف قبائل لواتة وحلفائها من القبائل العربية.[3] فخرجوا منها كما نقل ابن خلدون إلى صعيد مصر ونزلوا بالاعمال الاخميمية وما حولها.[4]

ورغم ارتباط لواتة بالواحات إلا أن كثيراً من بطونها أستقر على النيل في صعيد مصر. فقد نقل القلقشندي عن الحمداني الذي كتب في القرن السابع الهجري (١٣م) - أي قبل انتقال قبائل هوارة من الوجه القبلي إلى الصعيد - أكثر من عشرين بطنا من بطونها في مناطق الأشمونيين والبهنسا.[5]

[1] اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج١ ص ٢٠٢ و٢٧٠. موقع الوراق

[2] ابن خلدون، العبر ج ١ ص ٤٧٠ و ج ٦ ص ٥.

[3] القلقشندي، نهاية الأرب ج ١ ص ١٤٢

[4] ابن خلدون، العبر ج٦ ص ١٤٢.

[5] القلقشندي، قلائد الجمان ج ١ ص ٥٠.

وأضاف القلقشندي عن الحمداني أيضاً أن لواتة أكثر القبائل بالصعيد، وأن إمارة العربان في صعيد مصر في بيتين منها هما: أولاد زُعازع وأولاد قريش، ووصف قريش بأنه كان عبداً صالحاً.[1] ويعني هذا أن لواتة أصبح لها إمرة العربان منذ أن هزم الأيوبيون تحالف الجعافرة في القرن السادس الهجري.

ويلاحظ وجود قبيلة لواتة بأعداد كبيرة علي النيل في مناطق البهنسا والأشمونين وأخميم. ويبدو أن استقرار قبيلة لواتة الواسع على النيل قد بدأ منذ العصر الفاطمي وهو الوقت الذي استقرت فيه قبيلة قريش بمساعدة الفاطميين في منطقة أشمون، وتحركت قبيلتا جهينة و بلي جنوبا إلى مناطق اسيوط وأخميم.

فقد عاشت قبيلة لواتة وقبيلة قريش مع السكان المحليين في نفس المنطقة. ولما كان الحمداني قد ذكر الحمداني في القرن السابع الهجري أن لواتة أكثر القبائل عدداً بالصعيد، يعني ذلك أنها كانت أكثر عدداً من بطون قبيلة قريش، مما يعلل كون إمارة المنطقة في أيديهم وليست في يد قريش.

غير أن ميزان القوى القبلي قد تغير منذ نهاية القرن السابع الهجري (١٣م) بدخول قبيلة هوارة منطقة الصعيد بعد أن أُجبرت على الخروج من الوجه البحري. وقد وصف القلقشندي نزول واستقرار الأعداد الكبيرة من قبيلة هوارة التي في الصعيد قائلاً:

"انتشرت في ارجائه انتشار الجراد، وبسطت يدها من الأعمال البهنساوية إلى منتهاه حيث اسوان وما والاها، وأذعنت لهم سائر العربان بالوجه القبلي قاطبة، وانحازوا إليهم وصاروا طوع قيادتهم."[2] وبين القلقشندي أن بطون قبيلة هوارة في عصره (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) كانت أكثر من ثلاثين بطناً.[3]

وهكذا انتقلت الغلبة عدداً وقوة من قبيلة لواتة إلى قبيلة هوارة. وقد كان دخول هوارة في الصعيد عنيفاً أدى إلى المزيد من الدمار والاضطراب الذي أصاب المنطقة أولاً على يد أبناء الكنز ثم تلتهم هوارة في نهاية القرن الثامن الهجري. وقد وصف المقريزي الأوضاع في أول القرن التاسع الهجري (١٥م) في ثغر اسوان قائلاً:

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٣.

[2] المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣ وج ٦ ١٣٩.

[3] القلقشندي، نهاية الأرب ج ١ ص ١٤٢.

"واستولى عليه أولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعمائة [١٣٨٨م]، فأفسدوا فساداً كبيراً، وكانت لهم مع ولاة أسوان عدّة حروب إلى أن كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة. وخرب إقليم الصعيد ... ثم زحفت هوّارة في محرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة إلى أسوان، وحاربت أولاد الكنز وهزموهم، وقتلوا كثيراً من الناس، وسبوا ما هناك من النساء والأولاد، واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة أسوان، ومضوا بالسبي، وقد تركوها خراباً يباباً لا سكن بها."[1]

وعن حروب وغارات هوارة ببلاد الصعيد أضاف المقريزي:

"كثر فساد لهانة وهوارة ببلاد الصعيد، وقطعهم الطرقات على المسافرين، وشنهم الغارات على البلاد، وإحراقهم عدة نواحي بما فيها... ومع ذلك كله، فجور الولاة فيهم لا يمكن وصفه. ولعل هذا إن تمادى أن تهلك بلاد الصعيد كلها."[2]

لهانة قبيلة أمازيغية أبناء عمومة هوارة، ويبدو أنها كانت أيضاً ذات عدد كبير بالصعية وكانت لها إميرها الخاص.[3] وأصبح لدوارة قوة ونفوذ في صعيد مصر، وحافظت على تلك الهيمنة العددية والعسكرية والاقتصادية طيلة عصر المماليك. ويتضح ذلك من الحملات العسكرية المتكررة التي قادتها ضدهم قوات المماليك. ففي إحدى تلك الحروب التي انهزمت فيها هوارة رصد المقريزي ما غنمته جيوش الحكومة من هوارة بأنه:

"مائتا فرس، وألف جمل، وستمائة رأس جاموس، وألف وخمسمائة رأس بقر، وخمسة عشر ألف رأس من الغنم الضأن، وذلك سوى ما تفرق في الأيدي، وسوى ما هلك واستهلك، وهو كثير جداً، وقد اختل بهذه النهبات إقليم مصر خللاً فاحشاً، فإن الصعيد بكماله قد أقفر من المواشي."[4]

وحافظت قبيلة هوارة على قوتها في صعيد مصر بعد عصر المماليك. فقد تناول الجبرتي الكثير من الحملات التي قادها ضدهم ولاة مصر العثمانيين في القرنين

---

[1] المقريزي الخطط ج ١ ص ٢٥٠.

[2] المقريزي، السلوك ج ٣ ص ٢٦٣.

[3] ابن خلدون، العبر ج ٦ ص ٩٠. لمقريزي، السلوك ج٣ ص ٤٦٤.

[4] السلوك لمعرفة دول الملوك ج٣ ص٢٣٢. موقع الوراق

السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.[1] ونقل ماكمايكل عن الرحالة بوكوك Pococke الذي زار النيل عام ١٧٣٧م أن أخميم تحت أمير بربري، وأن نوردن Norden الذي سافر على النيل في نفس السنة ذكر أن "أعلى أسيوط بقليل يبدأ وطن العرب ويعرفون باسم هوارة، ويملكون أراضٍ على كلا شاطئي النيل ويدعونهم مواطنوا مملكة مروي.

ووجد بوركهارت في القرن التاسع عشر هوارة ما بين أسيوط وقنا واعتبرهم عرباً. وذكر أنهم سيطروا في القرن الثامن عشر على أعلى مصر وشمال السودان حتى منطقة المحس وأرغموا المماليك على إقطاعهم هذه المناطق، وظلوا أقوياء حتى هزمهم ابراهيم باشا.[2]

وإذا ألقينا نظرة عامة على سكان صعيد مصر منذ القرن الثالث الهجري (٩م) عندما بدأ العرب في الانتشار بعد حرمانهم من العطاء نلاحظ الآتي: أولاً بداية قيام الأسر الحاكمة المستقلة غير العربية في مصر مثل الطولونيين والاخشيديين والأيوبيين والمماليك واعتماد هؤلاء على المماليك والجنود غير العرب.

ثانيا: قيام الأسرة الفاطمية العربية والتي اعتمدت على الجنود المغاربة والسودانيين. ثالثاً: دخول أعداد غفيرة من الجنود المرتزقة من مختلف الجنسيات فاقت أعداد العرب الذين استقروا في الصعيد. رابعاً: دخول أعداد كبيرة من القبائل المغربية واستقرارها إلى جانب العرب وتوليها الزعامة والقيادة.

وإذا وضعنا في اعتبارنا وجود أعداد كبيرة من السكان المحليين سواء منهم من أسلم أو ظل على المسيحية فاقت أعداد الجماعات الوافدة كلها، أمكن القول بأن سكان صعيد مصر المحليين قد اختلطوا خلال القرون التي سبقت إسلام ملوك مملكة المقرة في أول القرن الثامن الهجري (١٤م) بمزيج من العرب وعناصر الجنود المرتزقة والشعوب المغربية و السودان بما فيهم النوبة. وكانت اللغة العربية وبعض السمات العربية قد أصبحتا سمات الهوية التي جمعت كل تلك العناصر.

---

[1] الجبرتي، عجائب الآثار ج١ ص ٧٥ و ١٥٢.

[2] H. A. Mac Michael, *A History of theArabs in the Sudan.* Vol. 1 p 152 – 153>

وكما حدث الاختلاط العرقي حدث الاختلاط والذوبان الثقافي. وقد حافظت بعض الجماعات في خلال ذلك الاختلاط على ملامحها وانتماءاتها القبلية، بينما فقدها البعض الآخر خاصة وأن سكان الصعيد كانوا مجتمعات مستقرةً أدت إلى إضعاف تلك الانتماءات. ولما كانت اللغة العربية هي ابرز سمات هوية تلك المجتمعات فقد استمرت عادة انتساب للعرب كما أورد ابن خلدون الكثير من أمثلة انتساب البربر للقبائل العربية. ورغم تعرضنا كثيراً إلى تلك الأمثلة فيما سبق إلا إنه من المفيد ايراد ما ذكره ابن خلدون عن قبيلة هوارة واختلاط بعضها في البادية ببني هلال.

"صاروا في عداد الناجعة لمثل اعرب بنى سليم في اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الابل وممارسة الحروب وايلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم، قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفترق بينهم."[1] وإذا عكس لنا هذا المثال اختلاط القبائل فى البادية ففي المجتمعات الحضرية تتوفر المزيد من عمليات الاختلاط.

وهكذا لم يجد المؤلفون العرب المبكرون غضاضة في مخاطبة المجتمع المصري كله باعتباره مجتمعاً عربيّا، العرب منهم والبربر والنوبة وغيرهم ما داموا يتحدثون اللغة العربية. حتى الرحالة الأجانب في القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما رأوا هوارة على النيل في مصر تتحدث العربية أطلقوا عليها عرب هوارة. هذا ما حدث في المجتمع المصري على الأقل في منطقة الصعيد. فالقلقشندي تحت عنوان "الطبقة الرابعة من أمراء العربان بنواحي الديار المصرية" قال:

"بيان أمراء العربان ... فأما الوجه القبلي، فقد ذكر الحمداني أن الإمرة به في بيتين من بلي من قضاعة بن حمير بن سبإٍ من القحطانية. الأول بنو شادٍ المعروفون ببني شادي ... بالأعمال القوصية ... الثاني العجالة. وهم بنو العجيل بن الذئب منهم أيضاً، وكانوا معهم هناك... العمل الثاني عمل الأشمونين. وكانت الإمرة به في بني ثعلب ... من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ."

---

[1] ابن خلدون، العبرج ٦ ص ١٤١. نقل القلقشندي عن الحمداني عن العرب علي الحدود بين الدولة البيزنطية والمسلمين أنهم "عرب غز يتكلمون بالتركية ويركبون الأكابيش." قلائد الجمان ج ١ ص ٣٣.

العمل الثالث البهنسى، وكانت الإمرة فيه في بيتين: الأول أولاد زعازع بضم الزاي من بني جديدي من بني بلار من لواتة من البربر وهم أشهر من في الصعيد. الثاني أولاد قريش."[1] وأوضح المقريزي أن أولاد قريش من بطون قبيلة لواتة[2]. وهكذا تم تناول أمراء لواتة ضمن أمراء الأعراب مثل أمراء بلي والجعافرة.

وعندما تعرض القلقشندي لنزوح هوارة من الوجه البحري قال: "أما في زماننا فمذ وُجِّهت عرب هوارة من عمل البحيرة إلى الوجه القبلي" وعن الإمارة في المنوفية ذكر القلقشندي "الامرة فيها لأولاد نصر الدين من لواتة ولكن إمرتهم في معنى مشيخة العرب."[3] فالقلقشندي لم ير شذوذاً أو خطأً في وصف أفراد قبيلة هوارة المغربية (البربرية) المعروفة بالعرب.

كما تناول ابن تغري بردي وَفَيات أمراء قبيلة هوارة بنفس الأسلوب فوصفهم بأمراء عرب هوارة. فذكر على سبيل المثال:

"عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨ م توفى تاج الدين اسماعيل بن مازن الهواري أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد. عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨ م توفى الأمير عمر بن عبد العزيز أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد، وهذا والد بني عمر أمراء عربان الصعيد. عام ٨٦٤هـ/١٤٦٠ م توفى الأمير شرف الدين عيسى بن عمر الهواري أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد ... وكان مليح الشكل خيراً ديناً بالنسبة إلى أبناء جنسه، وله مشاركة بحسب الحال ويتفقه على مذهب الامام مالك."[4] علماً بأن المذهب المشهور في مصر هو المذهب الشافعي بينما تمسك الأمير بمذهب مالك المتبع بصورة واسعة في المغرب العربي.

إمارات العربان:

أرى أنه من المناسب التوقف قليلاً عند ما ذُكِر عن "إمارة العربان" التي كانت جزءاً من النظام الإداري في مصر كما أوضح القلقشندي، فهم الطبقة الرابعة في

[1] القلقشندي، صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٢ – ٥٣.

[2] المقريزي، البيان والاعراب ص ٥٣ – ٥٥.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٣ – ٥٤.

[4] النجوم الزاهرة ج١١ ص٢٧١ و ٣٥٣ وج ١٢ ص١٥٦ وج ١٦ص٢٠٣ موقع الوراق

السلك الإداري بعد النواب وهم الطبقة الأولى، ثم الكشاف وهم الطبقة الثانية ثم الولاة وهم الطبقة الثالثة. تناول القلقشندي أمراء الأعراب تحت عنوان: "الجملة الأولى في المكاتبة إلى ممن بهذا الجانب من العربان، وقد ذكر في التثقيف ممن كوتب منهم جماعة بالطرقات الموصلة من الديار المصرية إلى بلاد الحبشة وغيرها"[1]

والطرقات المشار إليها هي الطرقات التي ربطت العاصمة بأطراف الدولة، وأهم النشاطات عبر تلك الطرق كانت المراسلات الرسمية للدولة والتجارة. والطرق التي تهمنا هنا هي تلك التي كانت تأتي من الجنوب مثل طرق غربي النيل وشرقية. وكانت طرق الصحراء الشرقية تتجه من البحر الأحمر نحو الغرب والشمال الغربي رابطة النيل من اسوان جنوبا وحتى القاهرة شمالاً. وكان حفظ وسلامة تلك الطرق من أهم واجبات الولاة - كما أشار القلقشندي إلى ذلك كثيراً - بمساعدة العربان.

وكان مقام أمراء الأعراب في المدن على النيل يشرفون منها على سلامة تلك الطرق. وقد تعرضنا لذكر بعض أولئك الأمراء من بني جعفر و بلى و جهينة و لواتة و هوارة الذين كانت إقامتهم على النيل. كما لاحظنا تدخل السطات الحاكمة دائمة التدخل عند الأعتداء على القوافل أو نشوب صراع بين بعض أفراد تلك القبائل على تلك المسالك.

وقد أورد القلقشندي[2] أسماء ثمانية من أمراء الطرق نقلاً عن ابن فضل الله العمري في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (١٤ م) هم :

"الأول: سمرة بن كامل العامري ، الثاني: عابد بن قاسم ، الثالث: كمال بن سوار قال: وهو مستحدث المكتبة في العشر الأول من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة [١٣٦٢م]، الرابع: جنيد شيخ الجوابرة من الهكارية بأبواب النوبة قال:وهو مستحدث المكتبة في سنة تسع وستين وسبعمائة [١٣٦٨ م]، الخامس: شريف شيخ النمانمة بأبواب النوبة أيضاً ومكتبته مستجدة حينئذ. السادس: علي شيخ دغيم، السابع: زامل الثاني ، الثامن: أبو مهنا العمرابي ."

---

[1] صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٦٦.

[2] نفس المكان.

وأضاف القلقشندي إن الامارة في عصره (ت ٨٢١هـ/١٤١٨) انتقلت إلى قبيلة هوارة التي "بسطت يدها من الأعمال البهنساوية إلى منتهاه حيث أسوان وما والاها، وأذعنت لهم سائر العربان بالوجه القبلي قاطبةً، وانحازوا إليهم وصاروا طوع قيادهم...الإمرة الآن فيهم في بيتين."

يلاحظ أن القلقشندي لم يحدد مكان إمارة أربعة من هولاء الأمراء ولم يشر أيضاً إلى قبائلهم وهم عابد بن قاسم و زامل الثاني و أبو مهنا العمراني و كمال بن سوار، لكنه حدد تاريخ قيام إمارة كمال بن سوار بأنها عام ٧٦٣ هـ/١٣٦٢م. وربما كان السبب في ظهورها التوتر في المنطقة والذي أدى إلى الصراع الطويل بين المماليك من جهة وتحالف أبناء الكنز والعكارمة وبني جعد الذي بدأ في المنطقة في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٦م من جانب آخر. كما أضاف القلقشندي عن العمري أيضاً من أمراء العربان بالصعيد ناصر الدين عمر بن فضل الله ولم يذكر مقره ولا العربان الذين ينتمي إليهم.[1]

حدد القلقشندي مواقع إمارتين جديدتين قامتا عام ٧٦٩هـ/١٣٦٨م على أبواب النوبة وهما إمارة الجوابرة الهكارية وإمارة النمانمة. ويلاحظ قيام هاتين الإمارتيين بعد بداية الصراع بين المماليك وحلف أبناء الكنز الذي خاض معارك عديدة ضد المماليك في اسوان وقطع طرق صحراء عيذاب، وحارب مملكة المقرة التي كان قد اسلم ملوكها منذ نحو نصف قرن.

ويبدو أن المماليك أعادوا التراتيب الادارية في المنطقة، فقد اقطعوا اسوان لأحد قوادهم، وربماظهرت الامارات الجديدة لمساعدتهم على السيطرة على الأوضاع. فقامت إمارة الجوابرة الهكارية التي تناولها القلقشندي - على عادة المؤلفات العربية في ذلك الوقت - تحت عنوان إمارات العربان.

والجوابرة الهكارية ينتمون إلى هوارة القبيلة الصحراوية المغربية (الأمازيغية) الذين قال ابن خلدون عنهم: " يعرفون بنسبهم هكارة قَلَبت العُجْمة واوه كافا أعجمية

[1] نفس المصدر ج ٢ ص ٥٣ و ج ٣ ص ١٦١

تخرج بين الكاف العربية والقاف"[1] وقد سيطر هوارة منذ نهاية القرن الثامن - كما ذكرنا - على الصعيد وربما على طرق الصحراء الواقعة غربي النيل.

وقامت إلى جانب الجوابرة الهكارية إمارة النمانمة، ولم تحدد المصادر إلى أي قبيلة ينتمي النمامة ولكنهم على الراجح كانوا متعاونين مع المماليك وملوك النوبة في ذلك الوقت. أما إمارة دغيم فتنتمي إلى قبيلة جهينة التي اكترى منها ابن بطوطة وأصحابه الجمال في صحراء عيذاب.

وإلى جانب الامارات السابقة ذكر القلقشندي إمارة أخرى هي إمارة الحداربة، وحدد موقعها بأنها فوق أسوان وأميرها سمرة بن مالك ، وذكره مرة سميرة بن مالك. وذكر أنه كان على عهد ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م). ولم يحدد القلقشندي – الذي توفي بعد اثتين وسبعين سنة من وفاة العمري - ما إذا كانت هذه الإمارة قائمة حتى عصره أم انقرضت. ويبدو واضحا أن سمرة بن مالك هذا ليس هو سمرة بن كامل العامري الذي ذُكر في إمارات الطرق.

وقال القلقشندي عن سميرة بن مالك:

"ذو عدد جم وشوكة منكية[2]، يغزو الحبشة وأمم السودان ويأتي بالنهاب والسبايا، وله أثر محمودٌ وفضلٌ مأثور. وفد على السلطان فأكرم مثواه، وعقد له لواء و شرف بالتشريف وقلد. وكتب إلى ولاة الوجه القبلي عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغزو معه متى أراد. وكتب له منشور بما يفتحه من البلاد، وتقليدٌ بإمرة عربان القبلة مما يلي قوص إلى حيث تصل غايته، وتركز رايته."[3]

حدد الجزء الأخير من هذا النص مركز الولاية وهو "قوص." وتقع قوص على النيل فوق أسوان في صعيد مصر، ولم يحدد مناطق نفوذة بل أطلق يده "حيث تصل غايته" غير أن القلقشندي نقل عن العمري أيضاً أن سمرة بن مالك شيخ عرب الحداربة بسواكن، وذكر القلقشندي أن العمري لم يحدد إلى أي قبيلة عربية ينتمي

[1] ابن خلدون ج ٦ ج ١٤١.

[2] وردت كتابة الكلمة هكذا في الموضعين في الكتاب.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٣ و ج ٣ ص ١٦١.

الحداربة،[1] وأضاف في مكان آخر أن "صاحب سواكن في زمانه من العرب المعروفين بالحَدَاربة ... ويقال في تعريفه الحُدْرُبي"[2]

هل يمكن افتراض امتداد حدود إمارة سمرة من قوص في صعيد مصر وحتى سواكن؟ لا أعتقد أن هذا افتراضاً معقولاً لأننا رأينا أحداث هذه المنطقة والقبائل العربية التي ساهمت فيها مثل دغيم ورفاعة وبني كاهل وجهينة وأولاد الكنز والعكارمة، ولم يرد ذكر لعرب الحداربة في كل تلك الأحداث.

ومن جانب آخر فقد أتى وَصْف أمير عرب الحداربة بما يوضح أن الإمارة كانت قوية ومساهمة بفعالية في غزو "الحبشة وأمم السودان." وإمارة بهذا الوضع والقوة يفترض أن يكون لها دور في تطور العلاقات بين المماليك ومملكة المقرة خاصة وأنها كما ورد "فوق اسوان"، ولكن لم يرد ذكر للحداربة أو لأميرهم في تلك الأحداث.

هذا إلى جانب أن الحداربة قبيلة كبيرة كتب عنها المؤلفون المبكرون أمثال اليعقوبي و المسعودي و ابن حوقل و ابن بطوطة، وذكروا أنها من قبائل البجة الكبرى. وأنها تصاهرت مع قبيلة ربيعة منذ القرن الرابع الهجري. ولم يرد في المصادر العربية المبكرة أن قبيلة الحداربة قبيلة عربية كما جاء عند القلقشندي. وليس من المفترض أنه سار على نمط إطلاق صفة العروبة على القبائل غير العربية كما فعل مع قبيلة هوارة و لواتة لأن افراد تلك القبائل كانوا يتحدثون العربية بخلاف البجة الذين كانوا يتحدثون لغاتهم المحلية.

وكان هنالك أمير آخر للعربان أطلق عليه القلقشندى "آخر أمراء العربان بالوجه القبلي أمير عرك أبوبكر بن الأحدب "[3] وانتهت امارته في آخر القرن الثامن عندما انتقلت الامارة في الصعيدين الأدنى والأعلى لهوارة.

---

[1] القلقشندي، نهاية الأرب ج ١ ص ٤٦.

[2] المصدر السابق، ج ٢ ص ٣١٣.

[3] المصدر السابق ج ٣ ص ١٦١.

العربان في غزو مملكة المقرة:

ورد بين أسماء القبائل العربية التي ساهمت في غزوات النوبة في عصر المماليك ما أطلقت عليه المصادر عربان الإقليم. يقول النويري أن حملة عام ٦٨٦ هـ/١٢٨٧م تكونت من:

"متولي الأعمال القوصية، بعدته ومن عنده من المماليك السلطانية، المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص، وعربان الإقليم وهم: أولاد أبي بكر، وأولاد عمر، وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وجماعة من العربان الريسية وبني هلال."[1]

وجاء نفس النص عند ابن الفرات وابن خلدون والمقريزي. غير أن ابن خلدون والمقريزي لم يذكرا "الأعراب البرلسية" بينما ذكرهم ابن الفرات. وقد ورد اسم هؤلاء الأعراب في نسخة كتاب النويري المطبوع في مسعد "البرلسية"[2]

ولم توضح المصادر إلى أي القبائل ينتمي أولاد بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان والعربان الريسية أو البرلسية. والمصادر الأخرى المعاصرة لتلك الأحداث مثل مؤلفات للقلقشندي و ابن تغري بردي لم تذكر أسماء أولئك الأعراب المصاحبين للحملة.

وليس من السهل التعرف على تلك الجماعات العربية. فلو افترضنا أن أولاد أبي بكر هؤلاء ينتمون إلى سلالة أبي بكر الصديق الذين كانوا في الأشمونيين مع قريش نواجه بعض الصعوبات، فسلالة أبي بكر في الأشمونيين كانوا معروفين ببني طلحة وليس بأولاد أبي بكر. وإلى جانب ذلك فإن المقريزي يرى أن بني طلحة لا ينتسبون إلى أبي بكر الصديق بل إلى طلحة بن عمر التيمي .[3]ولذلك ليس من المقبول إرجاع أولاد أبي بكر الذين شاركوا في غزو مملكة المقرة إلى أبي بكر الصديق.

ونفس الموقف يتكرر مع أولاد شريف الذين لم يرد لهم تعريف في المصادر. فقد ورد ذكر بعض الأشراف مرتبطاً بالجعافرة، ولكن وردت هذه الصفة في كل الأحوال

---

[1] النويري، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٥.

[2] ابن خلدون، العبر ج ٥ ص ٤٠١ ، المقريزي، السلوك ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك في مسد ، المكتبة السودانية ص ٢٦٩.

[3] المقريزي، البيان والاعراب ص ٣٥.

مُعرّفة مثل أولاد الشريف حصن الدولة، ولم أعثر على أولاد شريف في المصادر المشار إليها في البحث.

وإذا افترضنا أن أولاد عمر الذين ورد ذكرهم في الحملة المراد بهم أولاد عمر بن الخطاب الذين ورد ذكرهم ضمن قبيلة قريش في منطقة الأشمونيين، فإن هذا الافتراض لا يجد ما يسنده أيضاً لأن أولاد عمر عرفوا بالعمريين ومنهم العمري الذي حارب البجة والنوبة. هذا إلى جانب أن العمريين في عصر تلك الفتوحات كان مشكوكا في نسبهم كما قال المقريزي "وهم [العمريون] يكذبون في ذلك لأن أنسابهم لا تتصل به. وقد رأيت جماعة منهم وعرّفتهم كذبهم بطريق علمته."[1]

وإذا افترضنا أن أولاد عمر ينتمون إلى فرع من قبيلة هوارة يعرف بهذا الاسم وقد كانوا أمراء جرجا وما والاها كما ذكر القلقشندي،[2] فإن هذا الافتراض لا يبدو مقبولاً أيضاً لأن هوارة أصبح لها السيادة والأغلبية في نهاية العقد الأخير من القرن الثامن الهجري أي بعد أكثر من عشر سنوات من تاريخ تلك الغزوة.

وهنالك فرضية أخرى وهي أن يكون أولاد عمر وأولاد شيبان من قبيلة قضاعة. وكما هو واضح في الشكل أدناه فإن لقضاعة ابن اسمه عمر، ولأسلم بن قضاعة ابن اسمه شيبان. فهل من الممكن أن يكون أولاد عمر وأولاد شيبان المذكورون في غزو المماليك لملكة المقرة هما أبناء قضاعة؟

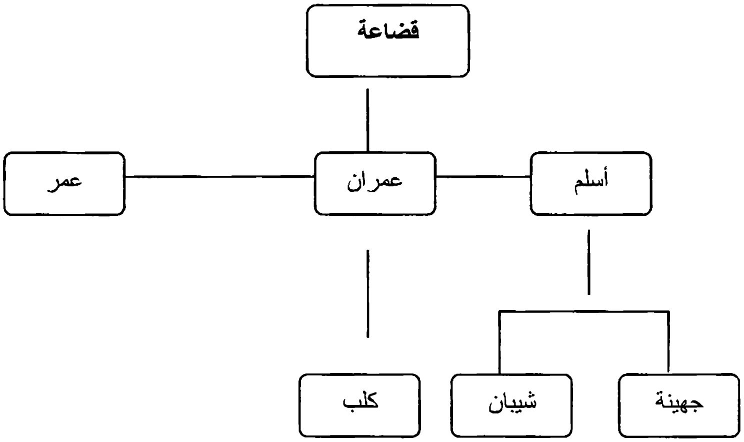

[1] نفس المصدر ص ٤١.

[2] القلقشندي، قلائد الجمان ج ١ ص ٤٩.

لا أرى هذا الافتراض مقبولاً لأن عمر هو والد قبيلة بلي ذات الحضور الواضح الذي تناولته المصادر العربية منذ أيام الفتح الأولى تحت اسم قبيلة بلي، ولم ترد الإشارة إليهم تحت اسم أولاد عمر. ولذلك فمن غير المقبول أن نفترض أن ابناء عمر قصد بهم قبيلة قضاعة.كما أنه من غير المقبول أيضاً افتراض أن أبناء شيبان المذكورين في الحملات ضد مملكة المقرة هما أبنا شيبان بن أسلم بن قضاعة إخوان جهينة لأنه لم يرد ذكر لهذا الفرع في مصر منذ أيام الفتح الأولى وحتى عصر المماليك. ولذا فمن المستبعد جداً أن يكون بنو شيبان القضاعيون قد اشتركوا في الحروب بين المماليك ومملكة المقرة.

وهكذا إذا استثنينا بني هلال وبني الكنز من تلك الحروب وجدنا أنه من الصعب جداً التعرف على بقية العربان في جيش المماليك. ومن المقبول جداً أن يكونوا فروعاً صغيرة غير مشهورة من القبائل العربية أو المغربية في المنطقة. ويعني ذلك أن أغلب العربان الذين اشتركوا في الحروب ضد مملكة المقرة كانوا فئات صغيرة وقليلة العدد، ويظل التعرف عليهم تحت الدراسة والبحث. والملاحظ أن بني جعد اللخميين والعكارمة الأنصار الذين شاركوا في الأحداث بعد اسلام ملوك مملكة المقرة لم يرد ذكرهم ضمن العربان الذين شاركوا في غزو مملكة المقرة.

DAWAYA
SUDANESE BOOKS

الفصل الرابع

تحركات السكان في الوسط والشمال والغرب

- تحركات السكان من الجنوب والغرب
- المجموعة الأولى: النوبا
- المجموعة الثانية: النوبا
- تحركات السكان قبل القرن الثالث الميلادي: النوبا
- تحركات السكان بعد القرن الثالث الميلادي البنوباديين

يرى الباحثون أن الضعف الذي أصاب دولة مروي - قبل انهيارها نهائياً على يد عيزانا ملك أكسوم - في القرن الرابع الميلادي كانت له أسباب داخلية وأخرى خارجية. وعلى رأس الأسباب الخارجية قيام دولة أكسوم ومنافستها لمملكة مروي كسوق هام للصادرات الإفريقية منذ القرن الميلادي الأول، وكان على رأس الأسباب الداخلية تحركات الشعوب السوداء التي اجتاحت دولة مروي من الجنوب والتي أطلقت عليها المصادر اليونانية والرومانية اسم Ethiopians أي السود.

والذي نحن بصدده هنا هو التحركات من مناطق الجنوب ومدى مساهمتها في التركيبة السكانية. بدأت تلك التحركات منذ قرون عديدة تشكل وتعيد تشكيل سكان مناطق السودان في الوسط والغرب والشمال. ويرى بعض الباحثين أن تلك التحركات بدأت منذ تكوين ثقافة الشهناب – شمال أم درمان – قبل بداية عصر الأسرات المصرية.[1]

توالت تلك التحركات طيلة العصور التاريخية اللاحقة، ووردت أخبارها في الآثار المصرية منذ بداية الألف الثالث ق.م. حينما بدأ حكام مصر يحصنون حدودهم جنوبي منطقة أسوان أمام تحركاتهم، وقد أطلقوا عليهم الشعوب السوداء. ولسنا الآن بصدد تكوين المجتمع السوداني في تلك الفترة – وسنعود إليها في بحث منفصل إن شاء الله – ومقصدنا هنا هو محاولة الربط بإيجاز بين تلك التحركات وبين تكوّن المجتمع السوداني في القرون الأخيرة التي واكبت ضعف وانهيار مملكة مروي وقيام الممالك المسيحية.

---

p 28. [1] A. J. Arkell, *A History of the Sudan, From the Earlies*

تحركات السكان من الجنوب

من خلال المعلومات المتوفرة حاليا - والتي تمكنت من الاطلاع عليها – يمكن تميز مجموعتين رئيستين تحركتا من الجنوب إلى الشمال داخل الحدود المروية أدّتا إلى ضعفها ثم انهيارها. وسنحاول التعرف على هاتين المجموعتين ومدى تأثيرهما على الأوضاع السياسية والسكانية وقيام الممالك المسيحية قبل نحو سبعة عقود من دخول العرب مصر.

تحركات المجموعة الأولى:

بدأت هذه المجموعة في التحرك شمالاً – منذ العصور القديمة – عبر النيل الأبيض والمناطق الواقعة شرقيه ألى المنطقة المعروفة اليوم بإقليم الجزيرة و أرض البطانة ، كما تحركت أيضا عبر وادي المقدم و وادي المِلك نحو نهر النيل. وسنحاول هنا – بإيجاز- التعرف على تلك التحركات التي استقرت على النيل وفي مناطق الجزيرة والبطانة الحاليتين، واللتان كانتا ضمن حدود دولة مروي.

ولم يكن الوافدون الجدد يختلفون عن سكان تلك المناطق، فهم نفس سلالة سكان الجزيرة السود – في الألف الثالث ق.م. - والذين وجدت بعض آثارهم في منطقة جبل مويا في الجزيرة غرب مدينة سنار، وهم نفس سلالة الشعب الأسود – كما يرى ماكمايكل - الذين هزمهم سيزستريس الثالث في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ق.م. في منطقة وادي حلفا ، والذي جعل سمنة التي تقع على بعد ٣٥ ميل شمال مدينة حلفا حداً فاصلاً يُمنَعون من تخطيه شمالاً.[١]

فقد ذكر ماكمايكل أن الدراسات الآثارية والأنثروبولوجية التي قام بها كل من Derry و Seligman وضحت أن سكان منطقة النيل في الشمال حتى وادي حلفا الذين وجدت صورهم في الآثار المصرية منذ القرن التاسع عشر ق.م.، والذين كونوا سكان المنطقة في العصوراللاحقة في دولة كوش و مروي هم نفس سلالة السكان الذين وجدت آثارهم في جبل مويا بالجزيرة في القرن الثاني ق.م..

---

[١] Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan*. Vol. 1,. p20.

وبناءً عليه فإن السلالة التي أطلق عليها قدماء المصريين منذ بداية الألف الثالث ق.م. "الشعب الأسود" هي السلالة التي كونت المجتمع السوداني في مناطق الجزيرة و البطانة والشمال في عصر كوش و مروي. وسنتناول سكان المنطقة الغربية في الحديث عن المجموعة الثانية التي هاجرت من الجنوب، أما سكان الشرق فسيأتي الحديث عنهم في نهاية هذا الفصل.

من هم أولئك السكان السود الذين كونوا سكان السودان في الوسط والشمال منذ الألف الثالث ق.م.؟ ساهم الباحثان السابقان Derry و Seligman بقدر كبير في الإجابة عن هذا السؤال. فعندما درسا بعض مخلفات أولئك السكان أظهرت نتائج أبحاثهما العملية لأحجامهم وجماجمهم وفكوكهم (جمع فك) أن أولئك السكان القدماء يشبهون بدرجة كبيرة سكان جبال النوبة الحاليين مما يشير إلى صلة القرابة بين السلالتين. فسكان السودان الأوسط والشمإلى القدماء هم من السلالة التي تعيش سلالتها اليوم في جبال النوبة.

ومما يزيد هذا الرأي قبولاً الآثار التي وجدت في معبد الملكة حتشبسوت في الدير البحري والتي ترجع إلى نهاية القرن السادس عشر ق.م.. فقد ظهرت أشكال ستة زعماء لقبائل أو لجماعات سودانية من بينهم ال Irm و Nimiu يقدمون الذهب إلى الملكة. وقد رأى ماكمايكل أنه من أسماء وأشكال الزعيمين من الممكن أن يكون Nimiu أسلاف ال Nyima الحاليين في جبال النوبة، وال Irm هم الذين أشارت إليهم المصادر المصرية القديمة في القرن الخامس عشر والقرن الرابع عشر ق.م. بأرض Irm التي تقع في منطقة الإستبس الواقعة غربيي النيل الأبيض والمعروفة اليوم بكردفان حيث لا يزال بعض فروع الميما يعرف ب: Armi .[1]

ويبدو مما جاء في الآثار المصرية أن المناطق الواقعة إلى الجنوب من حلفا كانت مأهولة بالسكان، فالحملات العسكرية التي دخلت شمال السودان منذ مطلع القرن العشرين ق.م. تشير إلى عدد كبير من المناطق المأهولة. فقد ورد في إحدى حملات

[1] Ibid. p 107>

سنوسرست الأول أسماء عشرة أقاليم أولها إقليم كوش. وورد في أثر آخر أسماء إثنتين وعشرين منطقة.[1]

وليس من الضروري أن تكون الحملات قد وصلت إلى كل تلك المناطق أو الأقاليم، إذ يبدو أنها بلغت منطقة الشلال الثالث فقط، ولكنها دونت أسماء المناطق الداخلية والتي بدأت ترتبط بعلاقات تجارية و سياسية بمصر. وقد يفسر ذلك صور الزعماء السودانيين الذين ظهرت صورهم يقدمون الذهب إلى الملكة حتشبوت ، فربما أتى أولئك الزعماء من مناطق مروي أو من كبوشية أو سنار أو فازوغلي أو الابيض أو الفاشر .

ونلاحظ ورود اسم كوش للدلالة على أقصى الجزء الشمالى من السودان في تلك الآثار المبكرة (القرن العشرين ق.م.)، وظل هذا الأسم يستخدم إلى جانب "السود". غير أن الأوضاع السياسية تغيرت في السودان في منتصف القرن الثامن عشر ق.م.، فقد ظهرت دولة كبيرة في كرمة عرفت بدولة كوش شاركت الهكسوس في الدلتا والمصريين في طيبة (الأقصر) السيادة على وادي النيل. وخاطب كل من الهكسوس وملوك طيبة السودانيين بملوك كوش طامعين في ودِّهم.[2]

ذكر آدمز أن "كوش المشار إليها كانت دولة قوية فرضت على ملك الهكسوس في أفاريس [بمنطقة الوجه البحري في مصر] أن يسعى إلى ملكها طالباً المساعدة والدعم له في حروبه ضد كامس." و كامس هو الملك المصري حاكم الصعيد. وقد سجل كامس محتوى رسالة ملك الهكسوس إلى ملك كرمة في نقش في الكرنك جاء فيه:

"إلتقَطُ رسالة في جنوبي الواحات أثناء صعود حاملها إلى بلاد كوش، واكتشفت أنه خطاب من ملك أفاريس بخط يده يقول فيه: عا أوسر رع أبيي بن رع يحيي إبنه ملك كوش. لم أعلنت نفسك ملكا دون أن تحيطني علماً؟ وهل بلغك ما فعلته مصر معي؟ فالعاهل القائم عليها كامس- فليوهب حياة وعمراً – يشن الهجمات على ممتلكاتي

---

[1] محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ٤٥ – ٤٨.

[2] وليام آدمز، "إختراع النوبة" ترجمة أسامة عبدالرحمن النور. مجلة الاثار السودانية ، عدد رقم ٢ (٢٠٠٠) ص ٩. محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ٥٣ – ٥٤.

رغم أنني لم أناصبه العداء. فقد عاملني كما عاملك تماما، لقد وقع اختياره على بلدينا لينشر فيهما الخراب، بلدي وبلدك وعاث فيهما فساداً. هيا احضر! لا تخف! إنه هنا في الوقت الحاضر حيث يتعقبني، فلا أحد يترقبك في مصر ولن أتركه يرحل قبل وصولك."[1]

واشتهر اسم كوش في الحقب التالية في مصر والشرق القديم، كما تردد في التراث العبري. وقد تلقب ملوك نبتا و مروي بملوك كوش وأطلقوا الاسم على بلادهم.[2]

إلى أي مدى امتدت حدود دولة كرمة جنوبا وغرباً عبر أودية هور و المقدم و الملك والنيل الأبيض؟ وإلى أي مدى امتدت شرقاً عبر نهر عطبرة و النيل الأزرق وغربا عبر وادي هوار ؟ تتطلب الإجابة الكثير من البحث والتنقيب، ولكن ما يمكن التوصل إليه هو أن المجتمع السوداني الذي أطلق عليه اسم الكوشيين في كل مراحله هو سلالة ذلك الجنس الأسود الذي ظهرت صوره في الآثار المصرية منذ القرن العشرين ق.م.، والذي وجدت آثاره في مقابر جبل موية في الجزيرة والذي توجد بقاياه الآن في جبال النوبة .

من هم النوبا ؟:

أريد أن أنوه في البداية أن "النوبا" هنا المقصود بهم السكان القدماء لغرب ووسط وشمال السودان. وقد جرت العادة الآن عندما نكتب كلمة "نوبة" بالتاء في آخر الكلمة نقصد بها السكان الحاليين لأقصى شمال السودان، وعندما نكتب "نوبا" بالألف في آخر الكلمة نقصد بها سكان جبال النوبا الحاليين.

ونعود إلى هجرات المجموعة الأولى التي اجتاحت مناطق الجزيرة والبطانة والمناطق الشمالية شرقي النيل والتي أدت إلى إضعاف مملكة مروي وتقلص حدودها إلى مناطق محدودة على نهر النيل شمالى الخرطوم بعد اجتياح المهاجرين الجدد تلك المناطق. يقول توروك:

---

[1] وليام آدمز، المرجع السابق ص ٩.

[2] نفسه، ص ٦.

"يمكن تصور أن تكون مجموعات نوباوية بحلول القرنين الأول والثاني الميلاديين قد استقرت في داخل حدود المملكة. وجود تلك المجموعات قد يكون ولّد عمليات اجتماعية وثقافية قادت بطريقة ما – وهو ما نعرفه في حالات معاصرة أخرى – إلى تفكك مملك مروي. النتيجة النهائية يمكن أن تكون – مثل حالات مماثلة لا حصر لها في الجزء الغربي للامبراطورية الرومانية – استمرارية سياسية قد تم الاحتفاظ بها عن طريق المصاهرة بين الأسرة القديمة وزعماء القبائل الجديدة الوافدة التي استقرت في المملكة."[1]

وهكذا يشبه توروك – وهو باحث مرموق في تاريخ تلك الحقبة – إجتياح قبائل النوبا لملكة مروي مثل إجتياح القبائل الجرمانية للامبرطورية الرومانية الغربية وكيف أدت في النهائية إلى تفتت الامبراطورية من الداخل. والجزء الآخر الهام فيما أورده توروك أن جماعات النوبة المهاجرين قد أسسوا مملكة علوة التي خلفت مملكة مروي في المناطق الوسطى من حدودها.

ويبدو إجتياح جماعات النوبا لملكة مروي واضحاً فيما ورد في لوحة عيزانا التي دون فيها انتصاراته على دولة مروي. وفيما يلي ترجمة لنص عيزان من كتاب آركل الذي نقله عن كيروان[2]. سأكتب بعض الأسماء بالانجليزية كما جاءت في ترجمة النص للمحافظة على طريقة نطقها بما في ذلك كلمة النوبا ، وما كُتِب خلال النص بين قوسين [ ] ليس جزءاً منه بل شرح للكلمة المكتوبة قبل القوسين.

ترجمة نقش عيزانا:

"أنا ملك الملوك عيزانا ابن ' Ella و ' Amida مواطن Halen ملك آكسوم و حمير و ريدان و Saha و Salhen و Seyamo و البجا و Kasu [كوش]. حاربت النوبا [Noba] لأنهم ثاروا وتباهوا بذلك، وقالوا إن الأكسوميين لن يعبروا نهر تكازى

[1] لازلو توروك، "تاريخ ما بعد مروي وآركيولوجيته" ترجمة أسامة عبد االرحمان لنور. أركاماني العدد الادس ٢٠٠٥ ص٢.

[2] Arkell, *A History of the Sudan* p 122; L. P. Kerwan, " A Survey on Nubian Origin" *S.N.R.* xx 1937 p 47-62

[نهر عطبرة]، ولأنهم كرروا الهجوم على Mangurto و الخاسا و الباري [منطقة كسلا الحالية] وعلى السود [قصد بهم سكان جزيرة مروي الوسطى] و الحمر [قصد بهم سكان شمال مروي] . لقد حنث النوبا [Noba]عن قسمهم مرتين وثلاث، وقتلوا جيرانهم بدون رحمة ، وهاجموا المبعوثين الذين أرسلتهم للتحقيق معهم بخصوص غاراتهم وسرقوهم وجردوهم من ممتلكاتهم. وقد حذرتهم لكنهم رفضوا الانصياع وتَرْك أعمالهم الشريرة وتهيئوا للحرب. فحاربتهم علي نهر تكازى عند مخاضة Kemalke فلم يصمدوا وفروا ، وطاردتهم ٢٣ يوما قتلت بعضهم وأسرت البعض الآخر، وأحرقت مدنهم المشيدة بالقصب والمشيدة بالطوب، وأخذت طعامهم ونحاسهم وحديدهم، وحطمت التماثيل في معابدهم وخربت مخازنهم وقطنهم وألقيت بكل ذلك في Seda [النيل]. ثم أتيت إلى Kasu وخضت معركة وأخذت أسرى عند إلتقاء نهري تكازى وسيدا. وفي اليوم التالي أرسلت جيش Damawa وPalha وSera للإغارة على القطر والمدن المشيدة بالطوب والقصب، المدن المشيدة بالطوب هي مدن علوة و Daro [ربما الكدرو الحالية]. ثم بعد ذلك أرسلت جيش Halen و Laken لمحاربة المدن الأربعة المشيدة بالقصب في أعالي نهر سيدا. والمدن المشيدة بالطوب والتي أخذها النوبا [Noba] هي Tabito و Fertoti . ووصل جيشي إلى حدود النوبة [Noba] الحمر وهزموهم بعون الإلاه ورجعوا بسلام، وعينت حاكما على ذلك القطر عند ملتقى نهر سيدا وتكازى."

يوضح النص أن مملكة مروي تعرضت لاضطرابات شديدة بسبب هجرات النوبا التي اجتاحت المملكة من الجنوب إلى الشمال. وكانت حروب عيذانا موجهة ضد هولاء النوبا. وقد سبقت هذه الحرب اتصالات ومراسلات تعدى فيها النوبا على رسل عيزانا وحنثوا عن أيمانهم وتمادوا واستعدوا للحرب كما وضّح النص.

خاض عيزان حروبه ضد النوبا على نهر عطبرة وعلى المناطق النيلية شمال وجنوب نهر عطبرة . كما حارب النوبة في منطقة البطانة و الجزيرة و علوة وجنوبيها وشماليها. وهو في ذلك كله يخاطب النوبة سواء أشار إلى الوافدين الجدد أو إلى السكان المحليين.

فالنوبا في نقش عيزانا هم الثوار الذين هددوا آكسوم على حدودها الغربية بغاراتهم المتكررة على سكان مناطق القاش و نهر عطبرة. والنوبا هم سكان جزيرة مروي الذين وصفهم عيزانا بالنوبا السود. فالنوبا هم كل سكان منطقة الجزيرة ما بين النيل الأبيض و الأزرق ومنطقة البطانة بين النيل الأزرق و نهر عطبرة . و النوبا أيضا في النقش هم سكان الشمال الذين وصفهم عيزانا بالنوبا الحمر، وهم سكان نهر النيل شمالي نهر عطبرة وحتى حدود السودان الشمالية.

النوبا في نقش عيزانا هم: أصحاب المدن المشيدة بالطوب والمشيدة بالقصب، "وأحرقت مدنهم المشيدة بالقصب والمشيدة بالطوب"، وهم أصحاب المزارع والنحاس والحديد والمعابد والتماثيل، "وأخذت طعامهم ونحاسهم وحديدهم، وحطمت التماثيل في معابدهم وخربت مخازنهم وقطنهم". وبناءً على ذلك وكما ورد في المصادر القديمة فـ"النوبا" هو الإسم الذي أطلق على سكان الوسط والشمال، و هو الهوية التي عرف جميع أولئك السكان.

ويبدو مفهوم وإطلاق اسم النوبا على كل السكان واضحاً أيضاً حتى بعد سقوط اكسوم. فقد جاء في كتابات الرحالة الأوربيين الذين زاروا الحبشة في القرن الخامس عشر الميلادي أن Nubi هي بلاد المملكتين المسيحيتين اللتين قضى عليهما الفونج . وجاء في كتاباتهم أن حدود مملكة علوة الجنوبية تمتد حتى Agaua جنوبي بحيرة تانا و Dembian شمالي بحيرة تانا ، وأن في إقليم النوبا خمسة أنهر تأتي من الجنوب والجنوب الشرقي والجنوب الغربي قصد بها نهر عطبرة و النيل الأزرق وفروعهما والنيل الأبيض.[1]

ونجد أيضاً نفس مفهوم النوبا الواسع عند المؤلفين المسلمين الذين دخلوا مصر بعد أقل من ثلاثة قرون من سقوط مروي حيث أطلق بعضهم اسم النوبا للدلالة على كل المناطق التي مر ذكرها عند عيزانا وفي المفهوم الاثيوبي.

فقد جعل كل من اليعقوبي الذي كتب في القرن الثالث الهجري (٩م)، و ابن حوقل و المسعودي في القرن الرابع الهجري مملكة علوة من بلاد النوبا حيث قال

[1] O. G. S. Crawford, (ed.) *Ethiopian Itineraries circa 1400 – 1524*Cambridge University Press 1955 p 104, 111.

اليعقوبي : "فأما من قصد العلاقي إلى بلاد النوبة الذين يقال لهم علوة"[1] وقال اليعقوبي عن النوبا : "وبلدهم أوسع من الحبشة في نواحيه، وعمارتهم أكثر مما بالحبشة ... ومن أعمر بلادهم نواحي علوة."[2]

وقال المسعودي:

"فأما النوبة فافترقت فرقتين في شرقي النيل وغربيه وأناخت على شطيه فاتصلت ديارها بديار القبط أرض صعيد مصر من بلاد أسوان وغيرها، واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعِّدة ولحقوا بقريب من أعاليه، وبنوا دار مملكة وهي مدينة تدعى دنقلة، والفريق الآخر من النوبة يقال له علوة، وبنو مدينة للملك سموها سرية ."[3] قال مسعد ربما المقصود بمدينة "سرية" سوبة .

وبعد عدة قرون من تلك الكتابات المبكرة نجد أن مناطق الجزيرة والبطانة ومناطق النيل الشمالية كانت لا تزال تعرف باسم النوبا. ففي القرن السابع عشر قال الشيخ إدريس ود الأرباب لملك الفونج عندما عرض عليه أن يقاسمه في مملكته: "هذه الدار دار النوبة وأنتم غصبتموها منهم."

وفي منتصف القرن الثامن عشر قال ود ضيف الله "أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر(١٦م)"[4] وكرر نفس المعنى كاتب الشونة حيث قال: "الفونج ملكت أرض النوبة"[5] فأرض النوبا إذاً كانت حتى وقت قريب تطلق إطلاقاً واسعاً وتعني كل حدود مملكة الفونج والنوبا هو الإسم الذي أطلق على سكان تلك المناطق.

---

[1] اليعقوبي، كتاب البلدان في مصطفى مسعد، المكتبة السودانية ص ١٧.

[2] ابن حوقل، صورة الأرض ص ٦١.

[3] المسعودي، مروج الذهب في مسعد، المكتية السودانية ص ٥٠.

[4] ود ضيف الله، كتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل جامعة الخرطوم: دار التأليف والترجمة والنشر ط ٣، ١٩٨٥ ٣٩، ٦٠.

[5] كاتل الشونة

وقد ذكر ترمنجهام أن النوبا قبل القرن السادس عشر كانوا يسكنون كل كردفان. ولازالت بقاياهم في شمال كردفان في الحرازة و أم درقة و أبو حديد و كنول و كاجا . كما توجد بقايا منهم في حوض نهر القاش .[1]

فهل ننظر إلى اسم النوبا باعتباره الهوية التي ربطت كل أولئك السكان، وبمعنى آخر هل ننظر إلى "النوبا" باعتبارها هوية سكان الغرب والوسط والشمال؟ أعتقد أن هذا ما أثبتته المصادر التي تعرضنا إليها. وإلى جانب ذلك كانت النوبا أيضا هوية المجموعة الثانية التى تحركت إلى مناطق غربي النيل ما سيلي.

_ تحركانت المجموعة الثانية:

طبيعة مناطق غربي النيل: كردفان و دارفور وشماليهما:

تحركت المجوعة الثانية من الجنوب في اتجاه الشمال في المنطقة الواقعة غربى النيل الأبيض و نهر النيل وهي مناطق كردفان و دافور الحاليتين و صحراء بيوضة والصحراء الواقعة غربي النيل حتى منطقة أسوان شمالاً. وقد كان المناخ والحياة البشرية والحيوانية والنباتية في هذه المناطق في عصورها القديمة يختلف اختلافا كليا عما هو عليه الآن. والتعرف على ذلك يساعد على فهم مواطن الاستقرار وتحركات السكان.

فعلى سبيل المثال كان حجم بحيرة تشاد أكبر اثنتي عشرة مرة من حجمها الحالي، وامتدت شمالا حتى فزان الأمر الذي أثر كثيراً على المناخ ونسبة الأمطار في المنطقة. وكانت هنالك أنهار دائمة الجريان وبحيرات في جنوب ليبيا والمناطق الواقعة إلى الشرق منها حتى جبل العوينات . كما كان أقليم السدود في جنوب السودان عبارة عن بحيرة تمتد شمالاً حتي منطقة الخرطوم الحالية.[2]

---

[1] J. S. Trimingham, *Islam in the Sudan* p 244.

[2] R. Said (1992) "Chronological Framework: African pluvial and glacial epoch " in J. Ki-Zerbo ed. *General History of Africa I: Methodology and African Prehistory.* (Oxford: Heinemann International Literature and Textbooks). 385-386; D. Olderogge (1992) "Migrations and ethnic and linguistic differentiations" in J. Ki-Zerbo ed. *General History of Africa I: Methodology and African Prehisto*

وكانت هنالك بحيرة في مرجا غربي دنقلا وفي نبتا بلايا ، وأودية مثل وادي هوار و Grassy valley ، ومياه دائمة وبرك ماء موسمية كما في واحات دنقل و الفرافرة ولقية أربين و سليمة و بير صحارى و بير طرفاوي و منطقة جبل عوينات و الجرف الكبير و الواحة الخارجة .[1] وكان معدل سقوط الأمطار في شمال ووسط السودان أعلى من معدل هبوطه في صعيد مصر ، وبلغ منسوب فيضان النيل الأزرق في تلك الأوقات ما بين أربعة إلى عشرة مرات أعلى من منسوبه الحالي.[2]

وقد تطورت ثقافات هذه المناطق في وقت مبكر، ويرجح بعض الباحثين أن ثقافة سكان منطقة مرتفعات تبستي شمال تشاد – قبل عصر الجفاف في الصحراء – قد امتدت حتى وادي النيل ووصلت منطقة الخرطوم الحالية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى صعيد مصر قبل قيام عصر الأسرات[3].

وتوجد الآن قناعة بين عدد كبير من الباحثين أن إنتاج الطعام واستئناس الحيوان في العصر الحجري الحديث بدأ في هذه المناطق الصحراوية غربي النيل قبل بدايته على ضفاف النيل سواء في مصر أو في السودان.[4] وقد وضح الباحثون أنه يمكن بسهولة ملاحظة الشبه الشديد بين الثقافات المبكرة على طول ضفاف النيل وثقافات الصحراء الغربية . فعلى سبيل المثال كانت أدوات الفخار وعمليات تزيينه وصناعة الخرز الأمزوني في منطقة تبستي شمال تشاد و الشهناب شمال الخرطوم تشابه بدرجة كبيرة.[5]

---

[1] Fred Wendorf,Rouald Scild (1994) "Are the early Holecene cattle in the western Sahara domestic or wild" *Journal of Anthropological Archeology*, 3 No. 4. Online.

[2] A. J. Arkell, *A History of the Sudan, From the Earliest Times to 1821* 25, 32; Michael A Hoffman (1991) *Egypt before the Pharos : The Prehistoric Foundations of Egyptian Civilization.* (Austin: University of Texas Press), p 152

[3] A. J. Arkell, *A History of the Sudan,* 34□

[4] F. Wendorf and R. Schild, (1980) *Prehistory of Eastern Sahara.* Quoted by Beatrix Midant-Reynes (2000) *The Prehistory of Egypt.* 149 Michael A. Hoffman, *Egypt before the Pharaohs.* 177; Fred Wendorf and Fekri A. Hassan, "Holocene ecology and prehistory in the Egyptian Sahara" 417□

[5] Jean Vercoutter, (1992) "Discovery and Diffusion of Metals and Development of Social Systems up to the Fifth Century Before Our Era" in J. Ki-Zerbo, ed. *General History of Africa I.* 721

وقد بدأ الجفاف التدريجي في هذه المناطق قبل قيام حضارات وادي النيل، واستغرق ذلك وقتا طويلاً. وظلت بعض مصادر المياه متوفرة في المنطقة لوقت طويل بعد بداية عصر الجفاف. فعلى سبيل المثال كانت واحة الخارجة لا تزال بحيرة حتى بعد عصر بناة الأهرام. وامتد إقليم السافنا على طول المنطقة الصحراوية الحالية حتى عصر قيام الحضارة المصرية.

وكانت الحياة الحيوانية غنية على طول المنطقة بما فيها الحيوانات الكبيرة مثل الأفيال والثيران التي وجدت عظامها في منطقة جبل العوينات. وامتدت مناطق الاستبس شمالي كرفان والمناطق المجاورة لها غرباً في دارفور. وسنأخذ نموذجين نتعرف من خلالهما على طبيعة تلك المناطق هما نبتا بلايا Nabta Playa و النيل الأصفر (وادي هوار) .

Napta Playa[1]

نتا هو إسم المكان وبلايا معناها - كما في دائرة العارف (Wikpedia on line) - حوض بحيرة جاف. فماذا يعني اسم النبتا وما هو مصدره؟ لم يناقش ذلك علماء الآثار الذين نقبوا وكتبوا كثيرًا عنها. والنبتا عبارة عن حوض بحيرة كبير جاف تبلغ مساحته نحو مائة كيلومتر مربع، وتقع على بعد نحو مائة كيلو متر غربي النيل في حدود مصر الجنوبية بالقرب من الحدود السودانية.[2]

ويلاحظ ظهور الاسم على ضفاف النيل بعد قرون كثيرة في "مملكة نبتا" ويتطلب ذلك البحث عن العلاقة بين ثقافة نبتا الصحراوية القديمة ومملكة نبتا النيلية، وهل هنالك علاقة ين نبتا بلايا والنوبا أو النوباديين؟

---

[1] توجد المزيد من المعلومات عن نبتا ووادي هواهر في موضوع مكتوب باللغة الانجليزية عنوانه: The Missing Links: Relations between Early Cultures of the Sudan and the Western Frontiers of the Nile before the End of the 4TH Millennium BC. قُدم لمؤتمر جمعية الدراسات السودانية الذي انعقد في جامعة جورج واشنطن في أغسطس ٢٠٠٣ واشنطون

[2] Fred Wondorf and Romuald Child, "Holocene Ecology and the Prehistory of the Egyptian Sahara" in Martin A. J. William and Hugues Faure eds, *The Sahara and the Nile: Quaternary Environment and prehistoric occupation in North Africa*. Rotterdam: A. A. Balkima 1980 p 408 Ibid.; Fred Wondorf and Fekri A. Hassan,

تعتبر نبتا بلايا من أهم المناطق الأثرية في الصحراء الغربية القريبة من النيل. وتتميز المناطق المجاورة لها بمصادر مياه غنية مثل واحة الخارجة في الشمال و بئري طرفاوي و صحارى في الغرب و واحات دنقل و لقية اربين و سليمة و النيل في الشرق والجنوب. ويرجح أن النبتيين سكان نبتا بلايا (ومن الممكن أن نقولالنوباديين أو النوباديين) الأوائل أتوا من منطقة أرجين بالقرب وادي حلفا للتشابة الشديد في الأدوات التي استخدمها كل من الفريقين كما لاحظ ذلك علماء الآثار.

أدى هذا الموقع الاستراتيجي مع وفرة المياه إلى تطور نبتا بلايا كأحد أهم المراكز العمرانية في المنطقة، وطورت وسائل انتاج الطعام مبكراً. يوضح ذلك ما عثر عليه من آثار ترجح استئناس الحيوان وزراعة الشعير في عصر مبكر سبق عصر الأسرات في مصر. ويرى الباحثون أن النبتيين ربما استأنسوا الحيوان في وقت مبكر ربما في الألف السابع قبل الميلاد أي عدة قرون قبل بداية الحضارة المصرية.[1]

كما نظر بعض الباحثين أيضاً لبداية زراعة الشعير في نبتا بلايا بأنها الأقدم في إفريقيا:

"The domestic barely is the earliest confirmed domestic plant of Africa."[2]

أدى كل ذلك إلى تطور انظمتها الاجتماعية التي وصفها ببعض الباحثين بأنها:

"Signs of social systems laying the foundation of organizational control not present in the contemporary Nile valley communities"[3]

واصلت نبتا بلايا نشاطها كمركز عمراني نحو ألفي سنة قبل أن تتغير أوضاعها المناخية، وتمكن النبتيون خلالها من تأسيس انظمتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية وربما السياسية. وقد تأثر تاريخ النبتاويين كثيراً - طيلة هذه الفترة - بالتذبذب المناخي بين الجفاف والرطوبة مما إدى إلى ارتباطهم القوي بمنطقة النيل. وربما تم ذلك الارتباط في منطقة حلفا للتشابه في الأدوات التي استخدمها كل منهم،

[1] Fred Wendorf and Romuald Schild 'Are the Early Holocene Cattle in the Eastern Sahara' 37

[2] Fred Wendorf, Fekri A. Hassan (1980) "Holocene ecology and prehistory". 417

[3] Brass, Mikey (2001) 'Tracing the development of cattle cult with regards to pre-dynastic and early dynastic Egypt.' www.antiquityofman.com

This paper was removed from the site in November 2001. It was updated and was presented at " Egyptology Conference, Birmingham University December 2001.

فقد كان النبتيون ينزحزن إليه في فترات الجفاف ثم يعودون إلى النبتا بلايا في الفترات المطيرة.

ويرى وندروف أن الأنظمة الاجتماعية وربما السياسية أيضا قد تطورت في نبتا قبيل قيام عصرالأسرات في مصر، وربما كان لنبتا بلايا دور هام في تطور المؤسسات الاجتماعية والسياسية على وادي النيل.[1] ويوجد الكثير من الشبه بين النبتيين وسكان وادي النيل في عصر ما قبل الأسرات، كما تتشابه الأواني الفخارية لسكان نبتا بالأواني الفخارية للسكان القدماء في منطقة الخرطوم.[2]

النيل الأصفر (وادي هوار):

سأكتفي عن وادي هوار بالفقرات التالية اللتي نقلتها من كوبر ترجمه اسامة عبدالرحمن النور بالقلؤيل من التصرف:[3]

"وادي هوار، وهو نهر جاف يمتد طوله إلى ١,٠٠٠ كيلومتر، كانت له أهمية خاصة كمنطقة للإقامة والتبادل التجاري. يتجه وادي هوار من جبال انيدى إلى بحيرة تشاد إلى النيل حيث يصب جنوبي دنقلا، واحتفظ بأهميته بلا شك كمنطقة اتصال بين دواخل إفريقيا و وادي النيل حتى أزمان قريبة. الإقليم الأسفل للوادي الذى يمتد قرابة ٤٠٠ كيلومتر من جبل رحيب شرقاً إلى النيل لم يظهر بعد حتى في أكثر الخرائط حداثة. والدليل على أن وادي هوار كان بمثابة سلسلة من البحيرات المرتبط بعضها بالأخرى حتى الألفية الثانية ق.م. تم الكشف عنه فقط خلال السنوات الأخيرة."

"وقد أعطى ذلك أساساً جديداً لكل الاحتمالات عن الصلات الثقافية بين النيل ودواخل إفريقيا. ولم يكن وادي هوار هاماً فحسب كخط شرقي غربي لربط التجارة، وكموقع للإقامة وفر موارد هائلة

[1] Fred Wendorf and others, "Megalithic and Neolithic in Southern Egypt" *Nature* 342, 1988 p 488-4922. quoted by Brass Ibid.
[2] Anne B. L. Stemler, 'Origin of Plant', 415.
[3] رودلف كوبر، "في أثر الرعاة المبكرين" *مجلة الآثار السودانية*، العدد الثالث، أغسطس ٢٠٠٢.

للصيد وصيد الأسماك خلال فترة الهولوسين المبكر فقط، لكنه وفي أزمان لاحقة أصبح منطقةً للاحتفاظ بالأبقار. وكان له أيضاً دور الوسيط في المرحلة الانتقالية للثقافة والتحركات السكانية التي حدث في الألفية الخامسة بفعل الجفاف الذى أصاب الصحراء. بهذه الوظيفة فقد فرض وادي هوار نفسه عتبةً ايكولوجية يمكن للناس ولثقافاتهم التوقف فيها وأن تتطور في وجه التوسع المخيف للصحراء التى هجمت عليهم."

"في هذا المسار طرح فروبينيوس الفرضية الجريئة التى مفادها أن وادي هوار هو النيل الأصفر الذى يجرى إلى الشمال الشرقي. وقد استخدمت مخلفات المواد الفخارية والحيوانية الهائلة خلال السنوات الأخيرة للإجابة عن أسئلة متعلقة بأركيولوجية الإقامة (الاستقرار). ومنذ أن بدأت جامعة كولون أبحاث الصحراء الشرقية[1] عام ١٩٨٠ أصبح ممكناً عن طريق أعمال المسح المنتظمة وبالاعتماد على كرونولوجية الفخار المفصلة تطوير الخطوط الأولى لمسار الاستقرار."

"وطبقاً لذلك انعكس رد فعل مباشر على الجفاف المتزايد بالتشديد على تحويل مواقع الإقامة من السهول المحيطة ومن أسفل وادي هور إلى وسط الوادي، ومن الأطراف إلى الأجزاء الواقعة إلى الأسفل. يصح الشئ نفسه بالنسبة للإفادات التى يمكن أن يتوصل إليها المرء بخصوص عظام الحيوانات المكتشفة. انخفضت نسبة تربية الأبقار ليحل محلها الرعي المتزايد للخراف والماعز والتي تجد حتى اليوم مرعاً فقيراً لها بعد الجمال الخاصة ببعض البدو الكبابيش."انتهى نص كوبر.

ولذلك كان وادى هوار منطقة استقرار لعدد كبير من السكان على منطقة واسعة أمتدت نحو ألف كيلوكتراً. ويعتبر وادي هوار بذلك من أكبر روافد النيل، ويمكن مقارنة الاستقرار عليه بالاستقرار على أي رافد من روافد النيل الكبيرة مثل

[1] يقصد بالصحراء الشرقية هنا الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى الوقع غربي نهر النيل.

النيل الأزرق. هذا إلى جانب تمتع المناطق الواقعة إلى الجنوب والشمال منه بقدر وافر من المياه والحياة النباتية هيأت تلك المناطق للاستقرار.

وفي نفس الوقت ربط سكان وادي النيل بسكان بحيرة تشاد ومناطق تبستي وسكان جنوبي الصحراء، ولذلك وُصِف بأنه كان بمثابة الرواق المؤدي إلى داخل إفريقيا.[1] كما توضح المعلومات المتوفرة أنه تم أيضاً استقرار بشري مبكر في جبل مرة كما تشير بقايا عظام السمك والصدف التي وجدت في المنطقة.[2]

ن هذا العرض يتضح أن المناطق الواقعة من كردفان ودارفور جنوبا حتى جبل العوينات والواحات المصرية شمالاً كانت مناطق مأهولة، بعض سكانها مستقرين يحترفون الزراعة والصيد على سواحل البحيرات والأنهار، وبعضهم رعاة يتجولون وراء ماشيتهم.

وحتى بعد بداية عصر الجفاف وتغير المناخ كان وادي هوار والمناطق الواقعة إلى شماليه لا تزال تتمتع بقدر معقول من المياه وفر استمرار الحياة البشرية. وكان رعاة البقر (البقارة) يرعون أبقارهم في هذه المناطق كما ذكر هيرودوت في القرن الخامس ق.م. ووصف ثيرانهم بأنها ذات قرون كبيرة تنموا إلى الأمام بحيث يتعذر على الثور التحرك إلى الأمام اثناء رعيه، ولذلك ترعى تلك الثيران وهي تتحرك إلى الخلف.[3]

وقد اثبتت المخلفات الأثرية أن الاستقرار السكاني كان مستمرّاً حتى قيام ثقافة كرمة المبكرة، وربما كان لهجرة بعض سكان وادي هوار بفعل الجفاف واستقرارهم على النيل دور في قيام ثقافة كرمة المبكرة. وحدث الاختلاط طيلة فترات العصور القديمة بين العناصر السكانية في كل مناطق الصحراء الغربية. وأصبحت الثقافات المبكرة في صعيد مصر ونبتا بلايا و تبستي وثقافة الشهناب مماثلة لبعضها البعض، وظلت تلك الصلات والعلاقات دائمة حتى الفترة التي تعالجها الدراسة.

---

[1] A.J. Arkell (1955) *A History of the Sudan* ,5

[2] J. Desmond Clark (1992) " Human populations and cultural adaptations in the Sahara and Nile. 541; Timothy Kendall, The Earliest People in Nubia.

[3] Herodotus, *The History of Herodotus* Robert G. Gwinn, 1990, p 156>

وسنحاول فيما يلي التعرف على سكان هذه المناطق في القرون الأخيرة من عمرمملكة مروي وما صاحب ذلك حتى قيام الممالك المسيحية. وسنتتبع تلك التحركات من خلال فترتين متميزتين، الأولى قبل القرن الثالث الميلادي والثانية بعده.

١- تحركات السكان قبل القرن الثالث الميلادي:

ذكرنا أن الباحثين يقولون بحدوث تحركات سكانية في شكل هجرات واسعة في القرون الأخيرة التي سبقت انهيار مملكة مروي. بدأت تلك التحركات من مواطنها الأصلية في كردفان – كما يرى كثير من المؤرخين - إلى الشمال نحو المناطق الواقعة إلى الغرب من النيل الأبيض و نهر النيل في مناطق شمال كردفان و صحراء بيوضة و شمال دارفور. وقد عرف أولئك المهاجرون باسم النوبا.[1] ويتطلب ذلك التعرف سريعاً على بداية ظهور هذا الاسم، وعلى من كان يطلق في القرون الأخيرة السابقة للميلاد ؟

إطلاق اسم (النوبة) بالتاء في اخر الكلمة سواء على منطقة شمال السودان أو على سكان الممالك المسيحية (نوباتيا و المقرة و علوة) اشتهر في المصادر العربية بعد دخول الإسلام مصر. وليس غرضنا هنا تتبع التفاصيل التي وردت حول أصل اسم نوبة أو نوبا، وسنكتفي فقط بتتبع ظهور الاسم في المصادر الكلاسيكية منذ القرن الثالث ق.م. وحتى وصول المجموعة المهاجرة الأخيرة التي دخلت شمال السودان من الصحراء الغربية فى القرن الثالث الميلادي. وسنكتب الاسم بالحروف اللاتينية كما ورد في الترجمات الانجليزية التي أخذنا عنها.

أول ذكر للنوبا – كما يرى المؤرخون - ورد عند إراتوستين Eratosthene (٢٧٦- ١٩٦ق م) الذي كان أمينا لمكتبة الاسكندرية. وعنه نقل سترابو(٦٣ق م – ٢٤م). وقد تمكن إراتوستين – بحكم عمله – من الاطلاع علي المؤلفات السابقه له

---

[1] كلايدي ونتر، "بينة مروية عن الأمبراطورية البليمية في الدوديكاسخيونس" (النوبة السفلى) ترجمة أسامة عبدالرحمن النور. *مجلة الآثار السودانية*، العدد الخامس، مارس ٢٠٠٤ ص١ يعمل ونتر في معهد عثمان دانفوديو بشيكاغو،وقد ساهم مساهمة فعالة في حل رموز اللغة المروية و نشر عدداً من الأبحاث عن البليمين ومروي ، محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١ ص١٧١ سنتعرض لسكان النيل والمناطق الشرقية القدماء في دراسة مستقلة.

والتي كتبت عن مروي والمناطق الواقعة جنوبي مصر مثل كتابات داليون و سيمونيد الذي يقال انه زار مروي ومكث فيها عدة سنوات. لذلك يمكن اعتبار ما كتبه إراتوستين عن الأوضاع في السودان راجعاً إلى ماقبل القرن الثالث ق.م.. وقد صلت إلينا كتاباته عبر ما نقل عنها كما فعل سترابو .

يقول إراتوستين: "ويسكن النوبا (Nubae) الضفة اليسرى من النيل في ليبيا وهم قبيلة كبيرة تمتد من مروي وحتى انحناءة النيل. وليسوا تحت حكم المرويين (Aethiopians) بل ينقسمون إلى ممالك مستقلة متعددة."[1]

وقد أطلق الكتاب اليونانيون اسم ليبيا على كل المناطق الواقعة غربي نهر النيل حتى المحيط الأطلسي، وفي الواقع فإن ليبيا في مفهومهم كانت تعني إفريقيا. وبناءً على ذلك فإن قبائل غربي نهر النيل "النوبا" كانت في القرن الثالث ق. م. قد خرجت عن طاعة مملكة مروي وكونت وحدات إدارية مستقلة عنها.

ولعل ذلك حدث بالتدريج حيث تكاثرت أعداد تلك القبائل، وربما تمكنوا من وضع يدهم على مسالك التجارة التقليدية بين مصر ومناطق الجنوب عبر الواحة الخارجة والواحات الواقعة جنوبيها منذ بداية عصر الأسرات في مصر. وهذا الطريق هو ما عرف في العصور اللاحقة بدرب الأربعين . وقد حرمت تلك القبائل دولة مروي من واحد من أهم مواردها التجارية مما ساهم في ضعفها.

وحافظت قبائل النوبا على مواقعها واستقلالها من مروي في المناطق الواقعة غربي االنيل، فعندما دخل سترابو اسوان عام ٢٤ ق.م. لم يغير ما كتبه إراتوستين عنهم. بل وتأكد ذلك عند الكتاب اللاحقين أيضا مثل بطليموس في القرن الثاني الميلادي الذي ذكر – كما نقل عنه اركل- أن النوبا "Nubei يسكنون الساحل الغربي للنيل والأراضي الداخلية"[2]

ويعتقد آركل أن ارتباط النوبا بغربي النيل يرجح أن موطنهم الأصلي امتد من كردفان جنوبا إلى مناطق غربي وادي حلفا شمالاً. وكانت كردفان كذلك مرتبطة ارتباطا قويا بالنيل شمالاً عبر واديي المقدم و الملك الذان يجريان من شمال كردفان

[1] Strabo, *Geography* Book xvii p 7 (online)
[2] Arkell, *A History of the Sudan* p 178.

ويصبان في النيل في منطقتي كورتي و الدبة على التوالى. ولم يكن الواديان طرقاً للاتصال فقط بل كانا مأهولين بالسكان الأمر الذي يوضح الصلات السكانية الدائمة بين مروي و كردفان.

ويرجع آركل التشابه بين لغة النوبة الحالية في شمال السودان وبين لغات الكثير من سكان شمال كردفان إلى تلك الصلات. ويرى أن مملكة مروي عندما سقطت في الشمال ظلت قائمة في كردفان و دارفور. واستدل بأن اسم كوش الذي لم يعد مستخدماً في الشمال بعد سقوط مروي ظل حيا بين سكان كردفان ودارفور كما في مناطق جبل ميدوب شمال كرفان و الكاجار أو البرقد في وسط دارفور.[1]

وكانت هذه المناطق مأهولة بالسكان لما كانت تتمتع به من موارد مائية وأمطار وبخاصة على مناطق الأودية مثل وادي هوار. وذكر أن اسم كوش كان لا يزال حيا في شمال كردفان حتى العصر المسيحي.

ويعتقد آركل أن الأسرة المروية الحاكمة بعد سقوط الدولة تحركت جنوبا وتمكنت من إحياء مملكتها في مناطق كردفان ودارفور. وربما توسعت غربا لارتباط تراث سكان كثير من تلك المناطق بالنيل. وربما انتشرت تلك المؤثرات غرباً حتى حوض النيجر حيث الشبه الكبير- كما يرى بعض الباحثين – بين نظام الملكية في بعض تلك المناطق وبين نظام الملكية المورية.

وربما ظل انتقال العاصمة إلى شمال كردفان حيا أيضا في مخيلة سكان الشمال كما يُلاحظ ذلك في مخطوطة داؤد كُبارا بن يوسف من أهالى وادي حلفا والتي كتبها عن تاريخ النوبة عام ١٩١١م. بدأ داؤد الفصل الأول من تاريخه تحت عنوان "عاصمة مملكة النوبة" قائلاً: "إن العاصمة كانت جبل عبد الهادي الذي يقع بين دنقلا و كردفان وعدد من الجبال"[2]

وإلى جانب إراتوستين و سترابو وفقد ذكر بطلميوس الذي عاش في القرن الثاني الميلادي مناطق النوبا في غربي النيل، ونقل عنه أيضا في القرن الثالث أجاثِمِرُس

---

[1] Ibid.

[2] لم اطلع على النص العربي للمخطوط وما ورد هنا ترجمة عن ماكمايكل Mac Michael, *A History of the Arabs In the Sudan* London:1967 col. 2 p324

Agathemerus الذي لخص كتاب جغرافية بطليموس باللغة اليونانية.[1] وهكذا فقد تواترت الاشارة حتى القرن الثالث الميلادي إلى إطلاق اسم النوبا على السكان الذين استقروا غربي النيل على طول المنطقة الوقعة من كرفان ودارفور جنوبا وحتى شمإلى السودان.

وربط الكتاب أصل هؤلاء النوبا بكردفان ودارفور وشمال السودن. أي أن هولاء النوبا يمثلون العنصر الأصلي للسكان في كل تلك المناطق قبل القرن الثالث كما يرى De Villard . وقد أيدت نتائج الأبحاث اللغوية ذلك، فقد توصلت إلى أن لغة النوبة في الشمال ولغة النوبا في الجبال أصلها شمال كردفان، ثم تفرعت بعد ذلك فاتجهت إلى الشمال وإلى الجنوب.[2]

ونخلص من ذلك إلى أن المجموعتين المهاجرتين قبل القرن الثالث الميلادي قد تحركتا من الجنوب، واستقرت المجموعة الأولى شرقي النيل واستقرت المجموعة الثانية غربي النيل، وساهمت المجموعتان في اضعاف مملكة مروي. وقد عرفت كلا الهجرتين باسم النوبا. فالنوبا إذاً هو الاسم الذي اطلق قبل القرن الثالث الميلادي على سكان مناطق كردفان ودارفور وشمال السودان والمناطق الوقعة بين النيلين الأبيض و الأزرق و نهر عطبرة .

وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً من أن اسم النوبا كان علماً على سكان السودان من مناطق الشعوب النيلية في الجنوب إلى مناطق حلفا شمالاً و نهر عطبرة و إقليم التاكا شرقاً إلى دارفور غرباً. وكان إسم النوبا هو الهوية التي ربطت أولئك السكان وبها عرفوا. أما سكان مناطق البحر الأحمر علاقتهم وتداخلهم مع النوبا فسنتاوله في الفصل القادم.

ويبدو أن مناطق الجنوب كانت ذات بحيرات ومستنقعات كثيرة لم تسهل عملية الاستقرار عليها، فقد رأينا أن اقليم السدود في العصور القديمة كان يمتد شمالاً حتى منطقة الخرطوم الحالية. ولذلك كانت منطقة الجنوب مصدر هجرات متتالية نحو

---

[1] ...istory of the Sudan. p 24.

[2] مصطفى محمد مسعد، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية

الشمال. ويرى البعض أن تحركات الشعوب النيلية قد بدأت منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ووصلوا شمالاً حتى وادي حلفا كما اتضح من الآثار المصرية.

فالشعوب النيلية قد ساهمت في تركيبة السكان منذ ذلك الوقت. ويرى بعض الدارسين أن تحركات النوبا قبيل انهيار مملكة مروي كانت بفعل ضغط القبائل النيلية أو هم أصلاً – كما يرى البعض - من القبائل النيلية.[1]

أما عن اسم النوبا وهل يرجع إلى Nebu في اللغة المصرية القديمة والتي تعني الذهب، أو Nebed التي استخدمها تحوتمس الأول (تقريبا ١٤٥٠ ق.م.) ووصف فيها سكان المنطقة بذوي الشعر المضفر ونطق هذه الكلمة في اللغة القبطية قريب جدا من نطق كلمة النوبا، أو يرجع أصل الاسم إلى نبتا عاصمة دولة دولة كوش، فهذا الأمر يحتاج إلى بحث منفصل. ولكنني لم أجد من يضع اسم نبتا بلايا التي تقع إلى الشمال الغربي من منطقة وادي حلفا من بين فرضيات أصل الكلمة، وأرى أن هذه أيضا فرضية وجيهة.

وقد ذكرنا أن أول ذكر لاسم النوبا في المصادر الكلاسيكية جاء عند إراتوستين في القرن الثالث ق.م.، وقد كتبه هكذا: Noûβoι وهو نفس الرسم عند بطلميوس والذي نقله أجاثِمِرس . وقد رسمه الذي كتب باللاتينية: Nubei .

وجاءت الإشارة إلى جماعات النوبا قبل القرن الثالث الميلادي في المؤلفات المكتوب باللغة الانجليزية كما في ترجمة جغرافية سترابو التي أخذت عن إراتوستين هكذا: Nubae واستخدم بعضها الآخر الرسم اللاتيني Nubei وجاء رسم الكلمة في ترجمة نص عيزانا Noba . وقد جاءت كل اشاراتنا في هذا الموضوع إلى سكان وادي النيل والمناطق الواقعة شرقيه وغربيه في السودان قبل القرن الثالث باسم "النوبا" بالألف في آخر الكلمة لأن اسم النوبة " بالتاء في آخر الكلمة" ارتبط بالهجرة إلى استقرت بعد القرن الثالث الهجري.

٢. تحركات السكان بعد القرن الثالث الميلادي:

[1] Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan*. Vol. 1, p 25

ارتبط اسم النوبا بعد القرن الثالث الميلادي بالقبائل التي كانت تتجول في المناطق الصحراوية الواقعة في مديريات كردفان و دارفور، كما ارتبط بالقبائل التي استقرت في مملكة البليميين التي امتدت حدودها على النيل في شمال السودان حتى منطقة أسوان. وقد ارتبطت تحركات النوبا بالحكم الروماني الذي امتد على طول الشمال الافريقي وتوغل إلى أطراف الصحراء الكبرى.

وخاض الرومان صراعات دائمة على حدودهم الجنوبية مع القبائل الصحراوية التي المشهورة باسم البربر . وقد استقدم الرومان الجمل إلى الصحراء الكبرى لمطاردة تلك القبائل، غير أن قبائل الصحراء بدأت أيضا استخدام الجمل الذي بدأ يحل محل الحصان وأصبح أهم وسائل الواصلات في الصحراء الكبرى، ثم استخدمته قبائل الصحراء للهجوم على الرومان.

و كان الرومان في مصر في القرن الثالث الميلادي يواجهون خطر القبائل الصحراوية على حدودهم الجنوبية في مناطق الواحات المصرية، وكذلك خطر البليميين على حدودهم جنوبي اسوان حيث خاضوا الكثير من المعارك. وللحد من خطر البليميين فكر الرومان في الاستعانة ببعض القبائل الصحرواية التي كانت تهدد حدودهم في مناطق الواحات، فقدموا لهم عرضا سخيا وهو السماح لهم بالاستقرار على النيل في منطقة الحدود الرومانية في جنوب مصر لكي يكونوا حاجزا بينهم وبين البليميين من جانب ويتخلصون من شر غاراتهم بعد الاستقرار من جانب آخر، فيضربون عصفورين بحجر واحد.

وبالطبع وافقت القبائل الصحراوية بهذا العرض. وذكر المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس (توفى حول ٥٦٥م) والذي كتب باليونابية أن الاتفاق تم بين الرومان وقبيلة النوبادي " Noβάται " في عام ٢٩٧م للقدوم من الواحة الخارجة والاستقرار على النيل جنوبي أسوان بينهم وبين البليميين.[1] وقد كُتِب اسم تلك القبيلة الصحراوية في

---

[1] Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan.* Vol. 1,. p24; Arkell, *A History of the Sudan.* p 178; J G. Milne, *A History of Egypt under the Roman Rule.* p 99. كلايدي ;محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص١٨٠ ; نقلا عن مسعد الاسلام والنوبة ص٣١ ونتر، بيتة مروية ص١

الترجمات الإنجليزية Nobatae وكتب بالعربية النوباديين أوالنوباديين أو النوباطيين. وسنشير إليهم هنا بالنوباديين.

واتفق المؤرخون أن النوباديين أتوا من الصحراء الغربية سواء من منطقة الواحة الخارجة أو من المناطق الصحراوية الواقعة جنوبيها. فنحن إذاً أمام مجموعتين عرفتا بنفس الاسم: المجموعة الأولي سكان غرب ووسط وشمال السودان قبل القرن الثالث الميلادي والذين عرفوا في القرن الثالث قبل الميلاد عند إراتوستين ب:Nubae، ثم عرفوا عند سترابو ب: Nubei وفي نص عيزان ب: Noba والمجموعة الثانية وهي التي دخلت منطقة شمال حلفا في نهاية القرن الثالث الميلادي والتي عرفت باسم النوباديين Nobatae.

ويرى بدج أن النوبادي قبيلة بدوية قوية، موطنها الأصلي كردفان ودارفور في القرن الثالث الميلادي، وعندما استدعاهم الرومان كانوا قد انتشروا شمالاً حتى الواح الخارجة.[1] ويبدو انتشار القبيلة على طول هذه المنطقة مقبولا، أولاً لأن المطقة كانت لا تزال تتمتع بقدر معقول من المطر والمياه الجوفية والسطحية مما وفر وسائل الحياة والتجول، وثانياً فإنه رغم الجفاف الذي ضرب هذه المنطقة في القرون السابقة إلا أن صلات سكانها بمناطق النيل كانت لا تزال قوية وواضحة في تراث وتحركات القبائل في المنطقة مثل قبائل القرعان والتبو والتنجر.

وقد رجح بعض المؤرخين أن يكون النوباديون هم نفس سلالة النوبا الذين هجموا على مروي وأضعفوها.[2] ويدل كل ذلك على أن سكان المناطق الواقعة غربي النيل من جنوبي دارفور وحتى مناطق الواحات و جبل العوينات شمالاً كانوا متداخلين وعلى صلة دائمة، وامتزج العنصر الوافد من الجنوب بالعنصر الوافد من الغرب مكونين بذلك ليس فقط سكان غرب وشمال السودان، بل وكذلك سكان وسط السودان ما بين نهر عطبرة و النيل الأزرق كما أثبتت المعطيات الآثارية التي تعرضنا لها سابقاً.

---

1 Mac Michael, vol. 1 p 25

2 Arkell, *A History of the Sudan.* p 179 ;

ومحمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ١٨٢.

ومن الجدير بالملاحظة أن المراجع الغربية التي كتبت عن علاقة الرومان في مصر بدولة مروي أشارت إلى كل سكان المنطقة جنوبي مصر – قبل القرن الثالث الميلادي – بالنوبا، وجعلت نباتا عاصمة النوبا. فاسخدام النوبا في تلك المراجع أتى مرادفا لكلمة المرويين الذين تشير إليهم - تلك المرجع – أيضا بكلمة الأثيوبيين، وعند تفاصيل الحديث عن سكان مروي تشير إلى: سكان المدن والمزارعين على النيل، والبدو الذين تعرف مجموعاتهم البدوية الرئيسة بـ: البليميين والترجلودايت (سيأتي الحديث عنهم) والنوباديين.

وعند الاشارة إلى النوباديين تسخدم الكلمات: Nobades وNubae وNobatae وNoba كمترادفات وصف بها سكان الصحراء الغربية.[1] وهذه هي نفس مرادفات كلمة النوبا التي ورد استخدامها - في الآثار المصرية والمروية والأكسومية والمصادر الكلاسيكية - لوصف كل سكان السودان الغربى والأوسط والشمالى منذ القرن العشرين ق.م.

واستخدامنا لكلمة النوباديين هنا ليس باعتبارهم سلالة مختلفة من سلالة النوبا أو النوباويين السكان السابقين في المنطقة، فهم كما استخلصنا أعلاه نفس السلالة التي كونت سكان السودان منذ القدم، بل استخدامنا لاسم النوباديين هنا فقط للإشارة إلى مجموعة النوبا التي استقرت أخيرا على النيل وقامت بدور بارز في تاريخ شمال السودان بعد القرن الثالث الميلادي.

ولا يبدوا دور النوباديين بارزا في الأحداث التي تعرضت لها المنطقة خلال القرن الرابع الميلاي رغم التطور في علاقات البليميين بصعيد مصر من جهة ونشوب الصراع بين البليميين والرومان من جهة أخرى. فالمعلومات المتاحة توضح أن سياسة الرومان التي هدفت إلى عزل البليميين بواسطة النوباديين لم تثمر. فبعد دخول النوباديين ذكر المؤرخ أُلمبيودورس Olympiodorus الذي زار المنطقة نحوعام ٤٢٠- ٤٢١ م أن كل المدن الواقعة إلى الجنوب من أسوان تحت سيطرة البليميين.[2]

---

[1] See John Wacher ed., *The Roman World* London: Rutledge, 2002 v0l. 1 p225-226.

[2] مصطفى مسعد، الايلام والنوبة ص ١٧.

وتبدو العلاقة بين البليميين والنوباديين في تلك المراحل الأولى غير واضحة، غير أنه في بداية القرن الخامس الميلادي وضح أُلمبيودورس أن النوباديين والبليميين كانوا على وفاق، ففي منتصف القرن الخامس الميلادي شنوا غارة مشتركة على أسقف اسوان الذي طلب – كما هو مدون في وثيقة بردية [1]– الحماية من الأمبراطور البيزنطي الذي دخلت مصر تحت حكمه في ذلك الوقت.

وقد أرسل الامبراطور Marcianus (٤٥٠- ٤٥٧ م) حملة كبيرة انتصرت على الحليفين ووقعت معهما معاهدة عدم اعتداء لمائة عام، وسمح لهم بمقتضاها زيارة آلهتهم في معبد جزيرة فيلة بجوار أسوان. وتورد المراجع أن البليميين انسحبوا جنوبا واتخذوا من كلابشة عاصمة لهم ، بينما انسحب النوباديون إلى الجنوب من البلميين متخذين من ابريم شمال وادي حلفا عاصمة لهم.[2] ويعني ذلك أن البليميين ما زالوا يجاورون الحدود الرومانية جنوبي مصر بخلاف خطط الرومان التي سعت إلى ابعادهم جنوباً.

غير أن دور النوباديين الهام في المنطقة بدأ منذ منتصف القرن السادس الميلادي عند بداية انتشار المسيحية في المنطقة. ويبدو أن المسيحية قد بدأت الدخول إلى المنطقة قبيل منتصف القرن السادس الميلادي، إذ ذكر كوزموس الذي كتب بين عامي ٥٣٧- ٥٤٧م أن هناك كنائس مسيحية وأساقفة ورهبان في بلاد الحبشة و آكسوم والمناطق المجاورة والنوباديين والجرمانتيين. بينما كتب بروكوبيوس حوإلى عام ٥٤٣م أن البليميين والنوباديين يعبدون إيزيس و أوزوريس و بريابوس و مندوليس .[3]

ويوضح ذلك أن المسيحية لم يكتمل انتشارها في شمال السودان قبل منتصف القرن السادس الميلادي. ويبدو أن التحول الكبير حدث بعد وصول بعثة الملكة تيودورا إلى نوباديا عام ٥٤٣م، وبعد ذلك اعتنق ملوك المقرة المسيحية نحو عام ٥٩٦م و علوة نحوعام ٥٧٨م. ويبدو أن العلاقات بين النوباديين والبيزنطيين قد تحسنت بعد عام ٥٤٣ م، وتمكن البيزنطيون من الحصول على تعاونهم ضد البليميين الذين لم يعتنقوا المسيحية حتى ذلك الوقت، وكانوا دائمي الاعتداء علي صعيد مصر. وتمكن سلكو

---

[1] المرجع السابق، ص٣٦.

[2] نفس المرجع ص٣٧.

[3] أبفس المرجع ص٥٥ و٢٤٢ حشية رقم ٣.

أحد زعماء النوباديين – بالتعاون مع أسقف فيلة والبيزنطيين – من تحقيق انتصارات متعددة على منافسيه في المنطقة بما فيهم البليميين ووحد كل المنطقة تحت حكمه.

وقد سجل سلكو تلك الانتصارات في نقش باللغة اليونانية في معبد كلابشة جاء فيه: "أنا سلكو رئيس النوباديين وجميع الاثيوبيين ... وحاربت البليميين ... ثم هاجمتهم للمرة الخامسة حتى توسلوا إلى ثم عدت إلى الجزء الأعلى من مملكتي [جنوب حلفا]، ولما تمت لي السيادة عليه لم أشأ أن أكون في مؤخرة ملوكه ، بل أصبحت في مقدمتهم ...أما عن أولئك الذين نازعوني الزعامة فإنني لم أسمح لهم بأن يعيشوا في بلدهم إلا إذا التمسوا مني المغفرة ...أما رؤساء الشعوب الذين نازعوني الرئاسة فإنني لم أدعهم يعيشون في الظل بل في الشمس ... ومن قاومني منهم قضيت على أولاده ونسائه"[1]

وقد لاحظ المؤرخون – كما ذكر مسعد - أن سلكو تلقب في هذا النص ب: Basilkos أي ملك صغير بخلاف ما ادعاه من أنه "رئيس" – كما وردت في ترجمة مسعد – النوباديين وجميع الاثيوبيين. وقد علل البعض ذلك بجهل سلكو باللغة اليونانية وعدم تمكنه من اختيار اللقب الصحيح. وإلى جانب ذلك فقد ورد في النص أن انتصاره على البليميين كان بعون من الله، مما أدى إلى القول بامكانية اعتناقه للدين المسيحي. إلا أن البعض يرى أن ظهور سلكو في النقش يرتدي زياً فرعونيا تزينه صورة الآله يدل على عدم اعتناقه المسيحية حتى ذلك الوقت.

ومن الواضح في النص أن سلكو خاض معارك متعددة لتوحيد المنطقة تحت حكمه، ونجح في تحقيق ذلك مكونا في منتصف القرن السادس الميلادي أول مملكة مسيحية "مملكة نوباديا" التي امتدت من جنوب وادي حلفا حتى منطقة أسوان شمالاً واتخذت فرس عاصمة لها.

وضح نقش سلكو أن حروبه كانت في المناطق الواقعة من جنوبى أسوان حتى جنوب وادي حلفا كما ذكر: " ثم عدت إلى الجزء الأعلى من مملكتي ولما تمت لي السيادة عليه لم أشأ أن أكون في مؤخرة ملوكه ". وإلى جانب هؤلاء الملوك في الجنوب

[1] النص الكامل في مسعد، الاسلام والنوبة الملحق الأول ص ٢٤١- ١٤٣.

خاطب سلكو أيضا: "أولئك الذين نازعوني الزعامة" و" رؤساء الشعوب الذين نازعوني الرئاسة "

ويبدو أن المنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والثالث – والتي أصبحت تحت حكم سلكو- كانت مأهولة بالسكان ومتعددة الزعامات، وكان البليميون في الجزء الشمإلى من المنطقة. يبدوا أن النوباديين أنفسهم كانوا تحت زعامات متعددة سيطر عليها سلكوا. وإلى جانب النوباديين والبليميين كانت هنالك جماعات أو قبائل أخرى هزمها سلكو وهي التي اندرجت تحت اسم الاثيوبيين.

والاثيوبيون هو الاسم الذي أطلقه اليونانيون – ومن جاء بعدهم – على كل السكان جنوبي أسوان. ويبدو أن سلكو أشار إلى النوباديين إشارة مستقلة باعتبارهم الطبقة الحاكمة التي تمثل المجموعة الجديدة التي استقرت في بلاد الاثيوبيين، ولا يعني أنهم عنصر أوجنس يختلف عن سكان المنطقة.

من هم النوبا إذاً ؟ لقد توصل علماء الآثار وعلماء الأجناس و المؤرخون استنادا إلى الكتابات المصرية القديمة وآثار المقابر التي عثر عليها في الجزيرة وشمال السودان، واستناداً إلى الدراسات الأنثربولوجية لبعض سكان جبال النوبا الحاليين أن سكان غرب ووسط وشمال السودان منذ القرن الألف الثالث قبل الميلاد ينتمون إلى نفس السلالة التي أطلقت عليها المصادر اليونانية واللاتينية (إراتوستين و سترابو و بليني) اثيوبيين ونوبا.

وأن النوباديين الذي وصلوا في القرن الثالث الميلادي هم نفس تلك السلالة. وقد رأى البعض أن أصول النوباديين من كردفان ودارفور أو ينتمون إلى النيليين، بينما رأى البعض الآخر أن أصولهم من الصحراء الغربية الوقعة ما بين صعيد مصر وشمال السودان.

ويقودنا هذا التواصل السكاني منذ الألف الثالث قبل الميلاد إلى ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أنه لايوجد فصل في ثقافات السودانيين المبكرة والتي رمز إليها بالحروف: مثل المجموعة أ، ب،ج A, B, C Groups وكأنها تشير إلى حقب أو تراث مجهول ومبهم مثل جهلنا بجذورنا وإبهام هويتنا.

ويرى آدمز أن ثقافاتنا القديمة منذ فجر التاريخ كانت متصلة وأن تواصلها كان دائماً، ويعلق على ذلك التواصل الموغل في القدم قائلاً "في النهاية يظهر أن التمييز المفترض بين المجموعة الأولى A والمجموعة الثانية B زائفا بكليته، وهنالك حلقات وصل وفيرة على حد سواء مع المجموعة الثالثة C "[1]

ولكي تكتمل محاولة إبراز صورة سكان السودان - أو الخريطة السكانية – ينبغي التعرف على سكان المنطقة الواقعة بين النيل و البحر الأحمر ، وسيتم ذلك من خلال تتبعنا لمجموعات المِجباري والتُرُجلُدايت والبليميين - وهم الذين نعرفهم الآن باسم قبائل البجة - في الفصل التالي.

[1] وليام آدمز، النوبة رواق افريقيا ص ١٢٩.

الفصل الخامس

سكان منطقة ما بين البحر الأحمر والنيل

- المجَباري
- التُرَجلُدايت
- البليميون

يهدف هذا الفصل إلى التعرُّف على سكان المنطقة الواقعة بين النيل و البحر الأحمر - منطقة قبائل البجة الحالية - عشية دخول المسلمين مصر في القرن السابع الميلادي. ونأمل أن يقودنا التعرف على سكان هذه المنطقة في عصورها السابقة عن الإجابة على سؤال هام هو: من هم أسلاف البجة؟ ولما كان مجال الدراسة هنا هو العصر الذي بدأت فيه دولة مروي في الضعف وماتلى ذلك من تحركات بشرية وتغيرات ثقافية وسياسية أدت إلى إعادة رسم خريطة المنطقة بقيام الممالك المسيحية في القرن السادس الميلادي، فتتبعنا لماضي سكان منطقة البجة لن يتوغل في البحث في العصورالقديمة بل سيتركز على القرون التي واكبت تلك الأحداث.

والتعرف علي أسلاف البجة ليس بالأمر السهل نسبة لشح المعلومات والمصادر خاصة فيما يتعلق بسكان المناطق الجنوبية من أراضيهم. ويتوفر قدر معقول من المادة عن السكان خاصة على مناطق النيل والأجزاء الشمالية من المنطقة في المصادر المصرية والمروية واليونانية- الرومانية يُمَكِّن من محاولة التعرف على أسلاف البجة الذين سكنوا على ساحل البحر الأحمر وعلى شواطئ النيل والمنطقة الواقعة بينهما.

ولم تكن المنطقة الصحراء الواقعة بين النيل و البحر الأحمر بهذا الجفاف الذي يسودها اليوم، بل كانت إلى وقت قريب من بداية الحضارة المصرية تتمتع بقدر وافر من المطر، وكانت الكثير من الأودية الجافة الآن أنهارًا جاريةً، والحياة النباتية والحيوانية غنية. فعلى سبيل المثال كانت مناطق خوري بركة و القاش حتى القرن الثاني عشر الميلادي تتمتع بقدر وافر من المياه والغابات والحيوانات بما في ذلك الأفيال كما يتضح من وصف جيوش المماليك التي دخلت المنطقة في ذلك الوقت

والشعب الذي سكن هذه المنطقة ينتمي إلى السلالة الأصيلة التي كونت سكان وادي النيل منذ فجر تاريخه. وهنالك بعض الآراء التي ربطت أسلاف أولئك السكان بهجرات أتت من شبه الجزيرة العربية في الألف الرابع قبل الميلاد. وقد ناقشنا ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب وخلصنا إلى أن كل الدلائل التاريخية والآثارية وضحت أن سكان الصحارى الواقعة شرقي النيل ينتمون إلى السلالة التي كونت السكان الأصليين للمناطق الوسطى والشمالية لنهر النيل . ولم يقبل الباحثون اليوم الفرضيات

التي تقول بارتباط نشأة حضارة وادي النيل بهجرات دخلت المنطقة من شبه الجزيرة العربية أو من بلاد ما بين النهرين.[1]

ومن المعروف في التاريخ أن سكان هذه المنطقة عرفوا عند قدماء المصريين واليونانيين والرومان بأسماء متعددة، سنتناول ثلاثة فقط من تلك الأسماء التي أطلقت على المجموعة المعروفة اليوم باسم البجة والتي اشتهرت في تلك الفترة وهي: المِجَباري والتُرُجلُدايت والبليميين.

وتتركز أغلب المادة القديمة التي وردت عن تلك المجموعات عن البليميين لنشاطهم ودورهم البارز في كل مناطق النيل الممتدة من حلفا حتى الاقصر شمالاً وما يقع شرقيها حتى البحر الأحمر في الفترة السابقة للقرن السابع الميلادي. ولذلك سيتركز حديثا عليهم بحكم توفر المادة عنهم، وباعتبارهم الممثل القديم لشعب البجة بينما نتعرف سريعاً على المِجباري و التُرُجلُدايت.

المِجَباري:

المِجَباري هو الاسم الذي أطلقته المصادر القديمة على السكان الأصليين القدماء على الساحل الغربي للبحر الأحمر[2] والذين تجولوا فى المناطق الشمالية ما بين البحر الأحمر و نهر النيل . وقد امتدت مناطق استيطان هذه الفئة من مواطن البجة الحالية في السودان وحتى المنطقة الواقعة بين الأقصر و البحر الأحمر في الحدود المصرية الحالية شمالاً.

وقد عرف المِجَباري قديما بالمازوي والمِجاي والمدجاي والمِجو والمِجا (Medjo و Medju و Medjay) وسنشير اليهم فيما يلي باسم المِجا لأنه أولاً الاسم الأقدم، فقد ورد في نقش أوني الذي يرجع إلى الأسرة الفرعونية السادسة (٢٤٢٣ – ٢٢٤٢ ق.م.): "أرسلني جلالة الملك مرنرع في حفر ترع في الجنوب [جنوب أسوان] وكان رؤساء أقطار ارتت و واوات و ايام و مجا يقدمون الخشب لهذا الغرض."[3] ولأنه ثانياً الاسم الأخف في النطق والأقرب إلى الاسم الحالى "البجة".

---

[1] Arkell *History of the Sudan* p 52; وراجع كذلك الفصل الأول ممن هذا الكتاب

[2] Http://www.africaresource,com

[3] انظر شوقي عطا الله الجمل، تاريخ سودان وادي النيل. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ج ١ ص٢٣.

ولا خلاف بين المؤرخين أن المِجا الذين ورد ذكرهم في الآثار المصرية القديمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد والذين عاشوا في الصحراء الواقعة إلى الشرق من إقليم واوات (العتباي) هم أسلاف البجة الحاليين. وقد ذكر بلايني الكبير[1] (في القرن الأول الميلادي) أن بعض الكتاب أطلق عليهم اسم أديَباري Adiabari وذكر العديد من جيرانهم في المنطقة.

ولما كان ملوك مصر منذ عصر الدولة القديمة في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد قد بدأوا استغلال مناجم الصحراء الشرقية فقد أدى ذلك إلى اشتغال الكثير من المِجا في المهن المتصلة بالتعدين فقاموا بتأمين تلك الأنشطة بالحراسة والخفارة وتولوا مهمة الأتصال وربط مناطق التعدين بالمدن المطلة على النيل.

ويبدو أن الأجزاء الشمالية من مواطن المِجا – الواقعة الآن في حدود مصر الجنوبية - قد تعرضت للجفاف أكثر من مناطق الجنوب مما أدى ببعض سكان تلك المناطق إلى النزوح بمواشيهم بالقرب من مصادر المياه على النيل كما أشارت إلى ذلك بعض الوثائق المصرية القديمة واليونانية[2].

كما نزح بعضهم إلى المدن المصرية على النيل حيث التحقوا بالكثير من الأعمال كالجندية والعمل في قوة البوليس. وهكذا أصبح المِجا جزء من مجتمع صعيد مصر سواء المجتمع البدوي في الصحراء أو المدني على النيل في المناطق الواقعة جنوب الأقصر. وقد تم الاختلاط والتزاوج بين المِجا وسكان صعيد مصر كما يتضح في الآثار المصرية القديمة[3]. وظل ذلك الارتباط قويا حتى عشية دخول العرب مصر كما سنلاحظ ذلك.

وقد تناولت المصادر الكلاسيكية المِجا – وكذلك التُرُجلُدايت والبليميين – باعتبارهم فروعا للشعوب الكوشية أو الاثيوبية أي الشعوب السوداء. ومن المعروف أن تلك المصادر أشارت إلى سكان كل المناطق الواقعة على النيل جنوب مصر والمناطق الواقعة غربي النيل وشرقيه بالكوشيين والاثيوبيين. فسكان المناطق الواقعة ما بين النيل والبحر الأحمر في المصادر القديمة هم جزء من الشعوب الكوشية أو الاثيوبية.

---

[1] Pliny the elder, *the Natural History,* Book xi, Chapter 35 online:

[2] Hans Bernard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes: A re-evaluation of Historical and Archaeological Data.* Clause no. 116, 136. (online)

[3] Ibid. Clause no. 113, 116,136.

كما ارتبط المِجا منذ فجر تاريخهم بإقليم واوات وقادوا مع الجماعات التي عاشوا معها في تلك المناطق مثل سكان ارتت و ايام و التمحو الثقافات المبكرة في المنطقة والتي تولدت عنها حضارات كرمة و نبتا ومروي. وقد ربط بعض الباحثين بين المِجا و المِلوها Meluhha الذين ورد ذكرهم في الآثار المصرية القديمة. ولا زال موضوع المِلوها قيد الدراسة والبحث، فقد رأى البعض ربطهم أيضاً بكوش باعتبارهم نفس السلالة.[1]

ووضحت الآثار القديمة أن المِجا - وفيما بعد التُرُجلُدايت والبليميين - كانو يمثلون قطاعاً هاماً من سكان مملكتي نبتا و مروي ، وساهموا بدور فاعل في النشاط التجاري عبر البحر الأحمر ونهر النيل، كما ساهموا في النشاط الدبلماسي مع القوى التي تعاقبت على حكم مصر في ذلك الوقت كما سنوضحة فيما يلي في هذا الفصل. وكان من الطبيعي أن تأتي الاشارات إلى مواطن المِجا باعتبارها جزءاً من مروي، أو الاشارة اليهم باعتبارههم جزءا من الكوشيين[2].

وظل اسم المِجا عَلماً على سكان الصحراء الشرقية للنيل حتى القرون الأخيرة السابقة للميلادي حيث بدأ ظهور اسمي التُرُجلُدايت والبليميين. فقد ذكر سترابو الذي نقل عن اراتوستين (Eratosthenes) في القرن الثالث قبل الميلاد أنه: "على جانبي الجزء الأسفل (lower) من مروي على طول النيل في اتجاه البحر الأحمر يسكن المِجَباريون والبليميون، وهم تابعين للاثيوبين [يقصد المرويين] ويجاورون المصريين. وعلى ساحل البحر يسكن التُرُجلُدايت."[3] وهكذا أصبح سكان المنطقة يعرفون بثلاث أسماء: المِجا والتُرُجلُدايت والبليميون.

وسيتضح فيما يلي أن البليمين كانوا يتركزون على مناطق النيل والمِجا يتركزون في المناطق الواقعة بين النيل و البحر الأحمر بجوار التُرُجلُدايت. وعند حديثه عن التُرُجلُدايت قارن سترابو بين اسلحتهم وأسلحة المِجا، فذكر أن عِصي المِجا تنتهي

[1] http:www.listhost.uchicago.edu; http:/www.ancientlibrary.com
[2] Ibid.
[3] Strabo, *Geography*, Book xviii, p 340.

بمقابض من حديد وأنهم يستخدمون في قتالهم الحراب والدرق المصنوع من الجلد غير المدبوغ، بينما يستخدم الآخرون الحراب والسهم والنشاب.[1]

التُرُجلُدايت:

أصل كلمة التُرُجلُدايت Troglodyte يوناني استخدمها الكتاب اليونانيين لوصف سكان الكهوف في كثير من بقاع العالم كما في حوض الدانوب و القوقاز و إفريقيا. وفي إفريقيا ذكرت المصادر الكلاسيكية وجود التُرُجلُدايت في تونس و ليبيا و أعالي النيل و البحر الأحمر. وأشار هيرودوت إلى تُرُجلُدايت منطقة فزان الذين يطاردهم الجرمانتيون على عرباتهم التي تجرها الخيول، ووصفهم بأنهم أسرع البشر عدواً[2]، ويرى المؤرخون أنهم أسلاف التبو الحاليين.

وليس كل التُرُجلُدايت سكان كهوف بل منهم سكان منازل محفورة تحت الأرض، وكانت بعض هذه المنازل لا تزال موجودة في مدينة غريان بجبل نفوسة جنوبي طرابلس بليبيا، وقد رأيت أحد هذه المنازل عبارة عن فتحة كبيرة مستطيلة أو مربعة نحو ٣X ٤ أو ٤ X ٤ امتار وعمقها نحو ثلاثة أمتار. وتتفرع منها في الداخل غرف تحت الأرض. ويرى المؤرخون أن مثل هذه المنازل تناسب جو الصحراء الشديد الحرارة صيفاً وشديد البرودة شتاءً.

وقد جعلت encyclopedia.org[3] تُرُجلُدايت البحر الأحمر من أشهر هذه المجموعات، ربما لنشاطهم السياسي والتجاري على سواحل البحر الأحمر السودانية. فقد أطلق بليني[4] على ساحل البحر الأحمر "ساحل التُرُجلُدايت" وذكر إنهم كانوا نشطين في تجارة اللبان في مواني البحر الأحمر.

ولم ينحصر إطلاق اسم التُرُجلُدايت على سكان البحر الأحمر فقط بل اطلق كذلك على سكان المناطق الداخلية، إذ ذكر بلايني أن التُرُجلُدايت يحيطون

---

[1] Ibid. Book xvi p 33p.

[2] Herodotus, *The History of Herodotus* London: Robert P. Gwinn, 2nd ed. 1990 p 156

[3] http://www.1911encyclopedia.org/Troglodytes (online)

[4] Pliny the elder, *the Natural History*, Book xi, Chapter 33, 34. Online

بالمناطق المجاورة لمروي حتى ساحل البحر الأحمر .[1] وبناءً على هذا الاطلاق فإن كل سكان مناطق البجة الحالية أُطلِق عليهم التُرُجلُدايت.

وفي واقع الأمر فإن سكان مناطق ما بين النيل و البحر الأحمر قد عرفوا في المصادر اليونانية والرومانية بالتُرُجلُدايت والمَجا والبليميون. وقد استخدمت هذه الأسماء أحيانا للاشارة إلى سكان منطقة بعينها في بلاد البجة الحالية وأحيانا استخدمت كمترادفات للدلالة على سكان كل المنطقة، ويرى الباحثون أن هذه الجماعات هي نفسها التي أطلقت عليها المصادر العربية فيما بعد اسم البجة[2].

ومن أقدم النصوص عن التُرُجلُدايت ما جاء في الآثار المصرية القديمة التي ترجع إلى الاسرة السادسة والعشرين في عصر الفرعون نكاو الثاني أو Necho II (٦١٠-٥٩٥ ق.م.) الذي كان شديد الاهتمام بتجارة البحر الأحمر لدرجة فكر فيها بحفر قناة تربط النيل بالبحر الأحمر وشرع بالفعل في تنفيذ الفكرة.

وورد في النصوص القديمة والتي جمعها Eide وآخرون[3] عن منطقة النوبة بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي أن الملك نكاو الثاني أرسل حملة نيلية ضد التُرُجلُدايت.[4] ويبدو أن التُرُجلُدايت كانوا منتشرين على مناطق صعيد مصر الأعلى بين النيل و البحر الأحمر، وربما كانت تلك الحملة ضد التُرُجلُدايت على إحدى الطرق الرابطة بين النيل – من منطقة الأقصر - و البحر الأحمر أو قد تكون الحملة مرسلة مباشرة من الصعيد إلى سواحل البحر الأحمر.

---

[1] Ibid.

[2] أنظر http://www.sahara.it/bm/saharaThree/culture/approfondimenti/le-tre-citta-di-berenice-2.shtml; MachMichel, *A History of the Arabs in the Sudan* Frank Cass & Co. Ltd. 1967 vol. 1 p38; Hans Barnard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes: A re-evaluation of Historical and Archaeological Data.* (online)

مصطفى محمد مسعد، الاسلام والنوبة في العصورالوسطى مكتبة الانجلو المصرية ب.ت. ص ٢٩ حاشية رقم ٢٢ محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم مكتبة الانجلو المصرية ب. ت. ص ٤٦ و ١٨١

[3] Eide et al, (eds) *Fontes Historiae Nubiorum* 4 volumes, University of Bergen 1994-2000

[4] Hans Barnard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes: A re-evaluation of Historical and Archaeological Data.* (online)

ساهم التُرُجلُدايت في النشاط التجاري على سواحل البحر الأحمر كما ذكر بليني،[1] وتشير الوثائق إلى علاقاتهم المباشرة مع دولة البطالمة بمصر، فقد ذكر بلوتارخ "أن الملكة كليوباترة السابعة لم تكن تحتاج إلى مترجمين عندما يخاطبها مناديب الشعوب المجاورة لملكتها مثل مناديب الاثيوبيين والتُرُجلُدايت واليهود والسوريين والميديين."[2]

ويدل ذلك على أن التُرُجلُدايت كانت لهم كيانات سياسية متطورة مكنتهم من تنظيم نشاطهم التجاري وعلاقاتهم الخارجية، ورغم أنه لم يرد ذكر لملكة ترجلوداتية في الصحراء الشرقية أو البحر الأحمر في المصادر اليونانية الرومانية – كما حدث للبلبميين - إلا أن قيام مثل ذلك الكيان السياسي يعتبر أمراً لا بد منه خاصة إذا كانت للتروجلودايت علاقات خارجية مثل تلك التي مع البطالمة.[3]

وإذا افترضنا أن حملة الفرعون نكاو كان هدفها مناطق الطرق التي ربطت منطقة الأقصر على النيل بسواحل البحر الأحمر - وهي أقصر المسافات بين النيل و البحر الأحمر في مناطق الصعيد – فيعني ذلك أن امتداد مناطق نفوذ التُرُجلُدايت كان لا يزال يمتد حتى القرن الخامس قبل الميلاد من سواحل البحر متوغلاً في الصحراء غربا.

وربما كان انتشار التُرُجلُدايت لا يزال ممتدّاً إلى مناطق النيل كما يفهم من نص بلوتارخ[4] في أول القرن الثاني اليلادى، إلا أن سترابو في القرن الميلادي الأول - والذي اعتمد أيضاً على اراتوستين في القرن الثالث ق.م. – حدد مناطقهم على سواحل البحر الأحمر فقط.[5]

---

[1] Ibid. clause no. 189

[2] Ibid. p.11

[3] تحضرني وأنا أدون هذه المعلومات ما كتبه مرة أخونا بامكار الباحث في تاريخ وتراث البجة مرة على صفحات سودانايل أن البجة كانوا أمة بدوية ولم تكن لهم مملكة أو ممالك. وأرى أن أسلاف البجة كانوا بدوٍإ وحضرا وكانت لهم ممالك وأنظمة سياسية واقتصادية واجتماعية متطورة كما سيتضح من خلال العرض والذي ينبغي علينا هو العمل على ربط ذلك التراث بالحاضر..

[4] Ibid. clause no. 218

[5] Strabo, *Geography*, Book xviii, p ٧.

وقد يفهم مما ذكره سترابو عن مواطن التُرُجلُدايت أنها نركزت داخل حدود مروى فقط ولم تمتد شمالاً، ربما لأن المناطق الواقعة جنوب وشمال نهر عطبرة وفرت لهم في ذلك الوقت قدراً معقولاً من المياه والحياة النباتية. وقد ورد في نقش أحد ملوك مروي (٤١٨- ٣٩٨ ق.م.) أن القبائل من تلك المناطق كانت تغير علي النيل وورد اسم واحدة منها Meded التي أغارت على منطقة كورتي الحالية بين مروي و دنقلا . ويرجح آركل (ص٥٢) "أن هؤلاء ربما كانو Medju المجا أسلاف البجا الحاليين"

أما في الجزء الشمإلى فيبدو أن بعض المجا كانوا لا يزالون منتشرين في صعيد مصر بين النيل و البحر الأحمر، وكان بعضهم بدوا يتجولون في الصحراء وبعضهم مستقر بجوار النيل. ويتفق هذا مع ما ورد أيضا في العصور التالية من ان التُرُجلُدايت والبليمين كان لهم وجود واضح حول مناطق الأقصر حتى القرن السادس الميلادي كما سيتضح لاحقاً.

وفيما يلي ملخص لما ورد عن وصف التُرُجلُدايتة أخذته من كتاب الجغرافيا لسترابو (ومن دائرة المعارف encyclopedia.org التي أشرنا إليها أعلاه:

"التُرُجلُدايت قبائل متعددة تحت حكم رؤسائهم [their tyrants كما ورد في نَص سترابو] ولا يحمل الأطفال أسماء آبائهم لأن الزواج غير ممارس بين عامتهم بل يمارسه رؤساؤهم فقط، فالأطفال مشاعين بينهم، ومن أعتدى على زوجة الرئيس يغرم خروفاً. ويفسر هذا نظام المجتمع الأمومي (maternal) الذي عرف بينهم في الأزمنة اللاحقة."

"و تزين النساء عيونهن وحواجبهن ويلبسن عقوداً وبعض التمائم في رقابهن. والحرب تنشب بينهم على المراعي، يتقاتلون بالأيدي أولاً ثم بالحجارة وإذا أشتد الصراع استخدمون الخناجر والسهام. وغالباً ما تتدخل النساء لوقف القتال فيفصلن بين المجموعتين المتحاربتين حتى يتوصلوا إلى اتفاق."

"ويعتمدون على اللحم في طعامهم إلى جانب اللبن، ويذبحون المسنة أو المريضة فقط. ولهم مشروب يعدونه من نبات محلي buckthorn بينما يشرب الرؤساء الماء مخلوطا بالعسل. وهم شبه عراة يلبسون فقط الجلود ويتفصدون ويختتنون. يحمل

التُرُجلُدايت العِصِي ذات المقابض الحديدية ويستخدمون الحراب والدرق المصنوع من الجلود ولكن الآخرون يستخدمون السهم والنشاب والحراب."

"ويحل فصل الشتاء عندما تهب الرياح الممطرة أما باقي السنة فصيف. ويربط بعض التُرُجلُدايت رقبة الميت برجليه، وتتم عملية الدفن بمرح وسرور حيث يرمون الميت بالحجارة حتى تختفي الجثة فيضعون على القبر قرن كبش ويذهبون. ويسافر التُرُجلُدايت بالليل، ويضعون أجراساً في رقاب الثيران لكي تطرد أصواتها الحيوانات المفترسة، كما يستخدمون لذلك النار أيضاً. ويقومون بالحراسة أثناء الليل ويجلسون حول النارحيث يقوم بعضهم بالغناء، ويقتلون المسنين الذين لا يستطيعون التنقل مع أفراد القبيلة "[1]

ويلاحظ أن المصادر الكلاسيكية أوردت بعض الأساطير والخرافات عن بعض القبائل الإفريقية مثل كون البليميين بلا رؤوس وأن عيونهم وأفواههم على صدورهم، وأن التُرُجلُدايت يشربون دم الحيوانات المذبوحة وغيرها، وبالطبع فإنني لم أورد مثل تلك الأخبار ولعل فيما ورد بعض المبالغات التي لا تفوت على فطنة القارئ.

وقد ورد في النص أعلاه ما بفهم منه تميز زعماء التُرُجلُدايت عن بقية الأفراد الأمر الذي يشير إلى النظام الطبقى الذي عرف بين البجة في العصور اللاحقة، وبالطبع فإن ما أوردته المصادر عن حياة وعادات التُرُجلُدايت لم يغط كل الجوانب ولكن ما ذكر يشير إلى التميز الواضح بين طبقتي الحكام والمحكومين. ويؤيد هذا التنظيم القبلي ما افترضناه سابقا من أن التُرُجلُدايت طوروا أوضاعهم السياسية بالقدر الذي مكنهم من القيام بمهامهم التجارية وعلاقاتهم الخارجية مثل علاقاتهم مع مملكة البطالمة.

كما يلاحظ أيضا أن النصوص أشارت إلى الثيران والخراف ولم تشر إلى الجمال، ومن المعروف أن الجمل أساسه وسط آسيا، ولم ينتشر استخدامه في إفريقيا إلا مع الغزو الفارسي لمصر في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد.[2] وربما بدأ التوسع في استخدامه في مناطق الصحراوية بين نهر النيل و البحر الأحمر مع بداية العصر

[1] Ibid. Book 17 p 339.
[2] Oric Bates, *The Eastern Libyans*. London: Frank Cass & Co. 1970 p28

المسيحي الذي شهد نشاط الأنباط التجاري في الأجزاء الشمالية من هذه المنطقة، وقد توسعت أعمالهم بدرجة كبيرة منذ القرن الثاني الميلادي عندما سقطت دولتهم على أيدي الرومان في سوريا.

فقد هاجرت جماعات من الأنباط إلى صحراء مصر الشرقية وقاموا بدور هام في نقل السلع على إبلهم من سواحل البحر الأحمر إلى النيل. وشجعهم الرومان على القدوم والمشاركة في هذه المهمة، فكانوا يستخدمون الطرق والمحطات الرومانية على طول المنطقة. وفي نفس الوقت زاد الرومان من استخدام الجمال في الصحراء الكبري ليطاردوا بها القبائل الصحراوية التى كانت تهدد حدودهم المطلة علي الصحراء الكبرى. وبدأت القبائل الصحراية منذ ذلك الوقت تتوسع في استخدام الجمل. ولذلك فإن انتشار استخدام الجمل بين قبائل المِجا و التُرُجلُدايت قد بدأ متأخراً ربما في نهاية القرن الثاني الميلادي.

البليميون:

البليميون هو الاسم الذي أطلقته الآثار الفرعونية والكوشية والمصادر اليونانية والرومانية على سكان منطقة النيل الواقعة جنوبي أسوان. وبالرغم من بعض الآراء أرجعت استقرار البليميين في هذه المنطقة إلى الفترة التي واكبت ضعف وانهيار دولة مروي في القرون الميلاية الأولى.

إلا أن نتائج الأبحاث الجدية مثل أعمال كلايدي و نترز عالم اللغة المروية المشهور والذي نشر نص نقش كلابشة المروي[1] و هانس بَرنارد[2] الذي اعتمد على الآثار والوثائق التي جمعت عن منطقة شمال السودان ما بين القرنين الثامن قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي ونشرتها جامعة بيرقن[3] ووثائق الجبلين المنشورة في كتاب مصطفى

---

[1] كلايدي ونترز، "بينة مروية عن الأمبراطورية البليمية في الدوديكاسخيونس" ترجمة أسامة عب الرحمان النور *مجلة الآثار السودانية* العدد الخامس مارس ٢٠٠٤.

[2] Hans Barnard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes: A re-evaluation of Historical and Archaeological Data.* (online)

[3] Eide et a, (eds) *Fontes Historiae Nubiorum* 4 volumes, University of Bergen 1994-2000

محمد مسد "الإسلام والنوبة في العصور الوسطى" في الملحق رقم ٣ وغيرها من المصادر الكلاسيكية التي أرجعت وجود البليميين إلى القرون السابقة للميلاد وأمدتنا ببعض المعلومات عنهم حتى القرن السادس الميلادي.

يرى أوبديجراف[1] أن اسم البليميين ربما ورد ذكره في قائمة - Imn-m-ip - أسماء الجماعات أوالقبائل التي دونتها كتابات الدولة المصرية الحديثة. ولو صح ذلك فربماكان البليميون ضمن سكان منطقة جنوب أسوان منذ بداية عصورها التاريخية. وبدأت الآثار المصرية و الكوشية تشير إلى وجود البليميين في مناطق جنوبي اسوان منذ القرن السابع قبل الميلاد، فقد ورد في نقش في معبد الكوة أن الملك الكوشي أنلاماني شن في القرن السابع قبل الميلاد حروبا على منطقة البُلهاو Bulahau وقد عرِّفت البُلهاو بمنطقة البليميين، كما ورد أن البُلهاو في اللغة المصرية القديمة تعني البليميين.[2]

وإذا كانت البُلهار تصدق على منطقة جنوب أسوان أو على المنطقة الواقعة بين النيل و البحر الأحمر فإن البليميون كانوا في ذلك الوقت جزءاً من سكان المنطقة ولكن لم يتردد ذكرهم تحت هذا الاسم. وقد رأينا كيف أن المِجا كانوا مستقرين في المنطقة الواقعة بين النيل و البحر الأحمر، وذكرنا أن المِجا هم أسلاف البجا الحاليين.

وقد ربط الباحثون بين البليميين والمِجا مما يرجح أنهم كانو عائشين معا في نفس المنطقة أو ربما كان وجود البليميين أكثر تركيزاً على منطقة النيل والمِجا تجاه البحر الأحمر. فالآثار وضحت أن البليميين دخلوا منطقة النيل جنوبي أسوان في القرن السابع ق.م.، وأن اسمهم بدأ يتردد منذ القرن السادس قبل الميلاد في الاثار المصرية والكوشية.[3]

ولم تتضح أسباب حروب الملك الكوشي للبليميين في القرن السابع ق.م.. ربما كان هدف الحملة اخضاع الوافدين الجدد في المنطقة تحت السلطة المركزية. وقد

[1] انظر كلايدي ونترز، "بينة مروية عن الأمبراطورية البليمية" ص١.

[2] Hans Bernard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes.* Clause no. 34 ومقال لبروفسور محمد في سودانايل نشرت في اكتوبر ١٩٧٠.

[3] كلايدي ونترز، المرجع السابق ص٢

ذكر ونترز أن النقوش المروية توضح أن البليميين اعترفوا بالسيادة المروية.[1] ويبدو أن حدود المرويين الشمالية الشرقية قد تأثرت باضراب الأحوال في مصر وبذل ملوك مروي جهدا كبيراً للسيطرة على تلك المناطق.

وفي واقع الأمر فقد عاشت كل منطقة صعيد مصر – التي كانت تعرف بإقليم طيبة – وجنوب أسوان اضطرابات متكررة في القرون الثلاثة التي اعقبت نهاية الحكم الكوشي (الاسرة الخامسة والعسرين) لمصر فقد تعرضت المنطقة للغزو الأشوري ثم الغزو الفارسي وتخللت هاتين الفترتين ثورات ونضال المصريين ضد كلتا القوتين، ولم تستقر الأوضـــــاع إلا بدخول الاسكندر المقدوني مصر في الربع الأخير من القرن الرابع ق.م..

فقد ورد في نقش لأحد ملوك مروي (٤١٨- ٣٩٨ ق.م.) وضح فيه حروبه ضد ال Rehrehs(ربما كانوا فرعاً من المجا أو البليميين) الذين أغاروا على المنطقة الواقعة بين النيل و نهر عطبرة ، كما صد غارة أخرى قام بها ال Meded (المجا) علي منطقة كورتي بالقرب من مروي الحالية. وعلى مسلة الملك المروي هَرسيوتف Harsiotef (٣٩٧- ٣٦٢ ق.م.) وضح أنه قام بعدة غزوات ضد (Rehrehs) و (Medju) المجا، كما قام بغارة على إحدى المواقع جنوبي أسوان.[2]

وعلى مسلته سجل الملك المروي نَستاسن Nastasen (٣٣٥- ٣١٠ ق.م.) انتصاره على الأمير Khambes-wten الثائر في شمال السودان. واستناداً على العلومات التي وردت في اهرامات مروي و نوري فقد رأى Hintze [3] أن هذا الأمير هو الملك المصري Khababash الذي حكم مدة قصيرة (٣٣٨- ٣٣٥ق م) قبل غزو الاسكندر المقدوني مصر ولا زالت شخصية هذا الملك تثير جدلاً بين دارسي التاريخ المصري القديم،

فقد اعتبره بعضهم آخر ملوك مصر الفراعنة، كما اعتبره البعض الآخر مصري وطني ثائر في وجه الغزو الفارسي وأنه سيطر على الدلتا واعترف به كهنة منف وبعض

---

[1] نفس المكان

[2] Arkell, *History of the Sudan* p 153 – 154.

[3] http://www.homestead.com/wysinger/nastasen.html

أهل الصعيد ملكاً.[1] بينما رأى البعض الآخر أن خباباش كان حاكماً على شمال السودان جنوبي اسوان مناهضاً لملك مروي نَستاسن. وذكر الملك نَستاسن بخصوص هزيمة ذلك الأمير كما ورد عند محمد ابراهيم بك٧: " وعندما أقبل (الأمير النوبي) خميس - وتن (خباباش) أرسلت إليه جيشا من دارو هزم قواته. ونهبت مراكبه وماشيته وقطعانه وكل ما يمكن أن يعيش عليه الناس" وأضاف بكر أن هذا الأمير قد انتهز فرصة ثورة المصريين على الفرس فأعلن نفسه ملكا.[2]

وإذا أخذنا بالرأي الذي يقول بأن خباباش كان ملكاً على مصر – وهو الرأي السائد بين المؤرخين – وليس أميراً ثائراً على السلطة المروية، يمكن أن يكون قد تقهقرجنوبا أمام الغزو اليوناني لمصر ، واضطر أخيراً أن يلجأ إلى شمال السودان لأنه ورد أنه كان مصحوباً برفاقٍ كثيرين وكان معه عدد كبير من الماشية والمال الأمر الذي يوحي ببحـــــــث عن مكان يلجأ إليه، غير أن الملك نَستاسن هزمه واستولى على ثروته.

ولكن يلاحظ أن اسم هذا الملك أو الثائر أو الأمير "خبابَش" يشبه أسما الحكام البليميين الذين اشتهروا في المنطقة الواقعة بين الأقصر شمالاً ووادي حلفا جنوباً – والذين سنتناولهم لاحقاً - مثل " خراخن و خراخت و خراباتخور " فهل من الممكن أن نفترض أن هذا الشخص هو أمير بليمي ثار على السلطة المروية، علماً بأن كل سكان المنطقة من البليميين وغيرهم كان يطلق عليهم نوبا أو اثيوبيين ؟ من الجائز أم يكون أميراً بليمياً ولو صح ذلك لأكد وجود البليميين بأعداد كبيرة منذ الرابع قبل الميلاد.

وتوضح السجلات المروية أن البليميين قد استقروا منذ القرن الخامس قبل الميلاد على طول المنطقة الواقعة من اسوان حتى منطقة دنقلا (كلايدي و نترز ، بينة مروية ص٢) وفي خلال القرون التي سبقت احتلال الرومان مصر في نهاية القرن الأول قبل الميلاد. وذكرت المصادر اليونانية السابقة للميلاد (انظر Mac Michael, *A History of the Arabs In the Sudan* vol.1 p 38) أن المناطق الواقعة حول

---

[1] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم الجزء الأول: مصر والعراق. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٩٠ ص ٣٥١.

[2] محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ١٤٥.

أسوان هي مواطن البليميين الرئيسة، وينتشرون جنوباً وشرقاً نحو حدود اكسوم و ميناء أدولس على البحر الأحمر.[1] وهذا الوصف يتطابق مع مواطن البجة الحالية.

فالمصادر القديمة - السابقة للميلاد- تناولت كل سكان المنطقة المعروفة الآن ببلاد البجة تحت اسم البليميين مما يؤكد أن شعوب هذه المنطقة أُشير إليها في المصادر القديمة مرة تحت اسم البليميين وأخرى تحت اسم المِجا ومرة أخرى تحت اسم التُرُجلُدايت. وقد ذكر ماكمايكل (نفس المكان السابق) أن الكتاب المسيحيين المبكرين أطلقوا اسم البليميين على البجة.

ويبدو أن استقرار البليميين في القرون السابقة للميلاد قد ازداد في منطقة جنوبي اسوان، حتى شيد ملك مروي أركاماني (٢٠٦- ١٨٦ ق.م.) معبداً في كلابشة لإلاههم مندوليس. ويعتقد كثير من المؤرخين "أن البليميين كانوا السكان النوبيين الأساسيين الذين عاشوا فيا لجزء الأكبر من النوبة السفلى[جنوب اسوان] في القرن الميلادي الأول."[2]

ولم يكن استقرار وامتزاج البليميين بالسكان السابقين في جنوبي أسوان فقط، بل توضح الآثار الراجعة إلى فترة ما قبل الميلاد (بَرنارد فقرات 136 ,123 ,116) أن استقرارهم امتد شمالاً في منطقة طيبة في صعيد مصر. وقد رأينا كيف كان للمِجا علاقات قوية بمصر بصورة عامة وبإقليم طيبة بصورة خاصة، فلم يكونوا فقط بدواً متجولين في الصحراء المطلة على الأقليم بل كانوا مستقرين في المدن. واحترفوا الكثير من المهن مثل العمل في الجيش والبوليس. ويبدو أن علاقة البليميين – الاسم المرادف أحيانا للمِجا – كانت أيضا قوية بالمنطقة بحكم الامتداد والاتصال الطبيعي بين منطقة شمال السودان و إقليم طيبة .

ويبو أن منطقة السودان الشمإلى قد استقرت تحت حكم المرويين بعد الحملة التي قادها الملك نَستاسن، فقد أوضح سترابو الذي نقل عن اراتوسطين في القرن الثالث ق.م. أن البليميين والمِجابوريين يعيشون في المنطقة الواقعة بين النيل و البحر الأحمر وخاضعين

[1] Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* Vol. 1 p 38.

[2] كلايدي ونترز، "بينة مروية عن الأمبراطورية البليمية في الدوديكاسخيونس ص ١.

لسلطة مروي.[1] وبدت العلاقات طيبة بين ملوك مروي والبليميين حيث شيد الملك أركاماني معبداً لإلاههم مندولس في كلابشة.

وتمثل فترة حكم البطالمة لمصر منذ الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد وحتي بداية العصر الروماني في الثلث الأخير من القرن الأول قبل الميلاد فترة هدوء واستقرار في اقليم طيبة والمناطق الجنوبية. وقد اهتم البطالمة بالتجارة سواء عبر سواحل البحر الأحمر أو النيل أو عبرالصحراء الشرقية والصحراء الغربية، وكان عهدهم بالمقارنة إلى العصر الروماني اللاحق عصر سلم وازدهار. وتوصف إدارة مناطق جنوبي مصر وشمال السودان في بعض المرات بالإدارة الثنائية بين البطالمة والمرويين[2] وأحيانا ترد كإدارة مستقلة محايدة بين الدولتين المروية والبطلمية[3]

لم يتردد ذكر البليميين كثيراً في مصادر القرنين الميلاديين الأول والثاني كما يتضح من النصوص التي جمعها بَرنارد والتي أشرنا إليها سابقاً.، بعكس القرون التالية - من الثالث وحتى السادس الميلادي - والتي شهدت لهم حضوراً دائما ومؤثراً على الأحداث في مصر والسودان. فقد كانت دولة مروي – التي كان البليميون جزءاً منها - على رأس الأحداث فى المنطقة، وقادت الصراع مع الرومان. فقد احتلت مملكة مروي المناطق الشمالية بعد نهاية حكم البطالمة، وهي المناطق التي شرع الرومان منذ دخولهم مصر في التوسع عليها.

ويبدو أن هدف الرومان الأول كان الاشراف المباشر على مداخل وطرق التجارة إلى دواخل إفريقيا عبر البحر الأحمر ووادي النيل والصحارى الجنوبية. شرعوا في التدخل في شؤون مناطق شمال السودان ولذلك منذ احتلالهم مصر عام ٣٠ ق.م. ويذكر شارلس دانيالز[4] أن المرويين اشتركوا مع المصريين في صد الرومان عن أقليم طيبة، الا أنهم هزموا وأتخذ الرومان من الفنتين المجاورة لاسوان نقطة لحدودهم الجنوبية مع

---

1 Strabo, Book xvii, p 7

٢ وليام آدمز، النوبة رواق افريقيا ص ٣١٩.

٣ مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٢٥، محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ١٥١.

4 Charles Daniels, "Africa" in John Wacher ed. *The Roman World.* London and New York: Routledge 2002 vol. 1 p225>

السودان. وفرض الرمان على زعماء شمال السودان - والذين كانوا تابعين لملكة المروي - الاعتراف بالسلطة الرومانية.

وبعد سنوات قليلة من الاحتلال الروماني ثار اقليم طيبة وامتدت الثورة إلى شمال السودان. وقد شجع الثوار غياب عدد كبير من الجنود الرومان في حملته على اليمن من أجل السيطرة على تجارة البحر الأحمر ووصول الأخبار بفشلها. هاجمت ملكة مروي جنود الرومان في اسوان وأغارت على صعيد مصر فاحتلت طيبة عام ٢٣ ق.م. وتمكن الرومان سريعا من هزيمة الثوار وهاهموا مروي وتوغلت جيوشهم كما تذكر المراجع حتي منطقة كريمة الحالية حيث دمروا عاصمة المرويين نبتا.

وأقام الرومان سلسلة من الحصون ما بين الفنتين و المحرقة شمإلى وادي حلفا واطلق عليها اسم Dodekaschios تكتب باللغة العربي بصور مختلفة مثل دوديكاشينوس ودوديكاسخيون ودوديكاسخوينوس. وتسهيلاً للنطق سنشير إليها دوديكاس . وأطلقوا على المنطقة الواقعة بين المحرقة و الشلال الثاني باسم Teriakontaschchoinos وكتبت هي أيضا باللغة بالعربي بصور مختلفة سنشير اليها ترياكونتاس . واستمر الصراع بين مروي والرومان لمدة ثلاث سنوات تقريباً انتهى بعقد صلح بين الطرفين.[1]

وقد شهدت فترة القرنين ونصف (من الأول حتي منتصف الثالث الميلادي) التي تلت الغزو الروماني هدوءاً نسبيا في مناطق شمال السودان. ويميل المؤرخون إلى أن الرومان والمرويين قد اشتركوا في الاشراف على إدارة مناطق شمال السودان، ويبدو أن الرومان اكتفوا بالسلطة الرمزية على الترياكونتاس بينما اشتركوا فعليا في إدارة الدوديكاس .

يرى آدمز أن الشؤون العسكرية وشؤون الطرق كانت بيد الرومان، بينما أشرف المرويون على الشؤون الدينية والمالية. وقد شهدت هذه الفتره تطوراً ملحوظاً في النشاط التجارى - كما يرى مسعد – بين مصر و كردفان و دارفور ونشطت أعمال التعدين صاحب ذلك القيام ببعض المنشآت المعمارية مثل المعابد التي شيدت في فيلة و كلابشة .

[1] Charles Daniels, “Africa” p 333.

وهدف الرومان إلى كسب ثقة وود السكان المحليين من أجل تنشيط الحركة التجارية.[1]

ورغم أن السلام كان الطابع المميز لهذه الفترة إلا أن الوثائق الرومانية حملت بعض أخبار حملتين احداهما في أواخر القرن الأول والثانية في منتصف القرن الثاني الميلادي شنتهما القوات الرومانية على سواحل البحر الأحمر ضد التُرُجلُدايت. ويبدو أن الوئام لم يتم بين الطرفين إذ بدأ التُرُجلُدايت في تهديد مواني وسلامة تجارة الرومان البحرية.

كما شنت القوات الرومانية أيضا غارات أخرى في النصف الأخير من القرن الثاني في الصحراء الشرقية كان الهدف منها تأمين الطرق البرية التي ربطت سواحل البحر الأحمر باقليم طيبة، فقد ورد في الوثائق أن الجنود الرومان طاردوا بعض الجماعات التي أطلقوا عليها Agriophages الذين أتوا من أقصى الجنوب وأغاروا وتوغلوا في غاراتهم حتى وصلوا طيبة.[2]

وقد أتاحت فترة الهدوء والرخاء الذي عاشته منطقة جنوبي أسوان نمو وتطور سكانها، ويبدو أن البليميين قد استفادو من ذلك كثيرا خاصة وأن القسم الآخر من على حركة التجارة ما بين النيل و البحر الأحمر الآخر أو أبناء عمومتهم يسيطر عليه أبناء عمومتهم. وليس ببعيد أن يكون البليميون والمِجا والتُرُجلُدايت قد حققوا الكثير من المكاسب في هذه الفترة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إلى أي مدى طورت هذه الجماعة انظمتها القبلية والسياسية؟

لا سبيل الآن إلى الاجابة عن هذا السؤال ولكن الذي يمكن الاشارة إليه هنا أن البلبميين قد ازداد عددهم منذ القرن الأول الميلادي كما ذكر المؤرخون. ويبدو أنهم أصبحوا القوة الرئيسة بين الزعامات المحلية تشربوا بالثقافة المروية. ويرى البعض أن فخار منتصف القرن الثالث في كلابشة قد يكون من عمل البليميين الذين تثقفوا

---

[1] وليام آمز، رواق افريقيا ص ٣١٩ ومصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٢٨.

[2] Charles Daniels, "Africa" p 337.

وكتبوا نقوشاً مروية واغريقية عثر عليها في معبد كلابشة.[1] وهكذا تهيأ البليميون منذ منتصف القرن الثالث الميلادي للقيام بدورهم القيادي في المنطقة.

ففي ذلك الوقت خفضت روما عدد جنودها في مصر إلى النصف، فأصبحوا نحو أحد عشر ألفاً أو ينقصون قليلاً،[2] ويبدو أن البليمين – وقد بدأوا يشعرون بقوتهم – استغلوا ذلك فبدأوا حروبهم ضد الرومان التي لم تنته إلا بقيام مملكة نوباديا المسحية في منتصف القرن السادس الميلادي.

نقل مسعد عن مصادره أن اليليميين بدأوا هجومهم على الرومان عام ٢٥٠م.[3] ويبدو أن ذلك الهجوم كان على المعاقل الرومانية في المنطقة إذ يتضح من الوثائق أن منطقة الدوديكاس كانت مضطربة في عام ٢٥٣م.[4] وورد أن البليميين استولوا على المنطقة كلها . وفي نفس الوقت ورد في نص عثر عليه في فيلة لملك مروي تقردماني Teqeridamani ٢٤٦- ٢٦٦م أرسل سفارة إلى الأمبراطور الروماني حاملاً إليه الهدايا.

ويرى بكر أن السبب وراء تلك السفارة ربما كان طلب المساعدة من البيزنطيين لصد هجمات النوبا الذين كانوا يهددون حدود المملكة الجنوبية. وينقل بكر أن السبب وراء تلك السفارة ربما كان طلب المساعدة من البيزنطيين لصد هجمات النوبا الذين كانوا يهددون حدود المملكة الجنوبية.[5]

ويذكر ترمنجهام أن السفارة كانت بقيادة أمير بليمي يدعى Pa-smun Ibn Paesi وهو نفس الاسم الذي ورد في النص عند بكر، ويصف الأمير نفسه بأنه السفير العظيم إلى روما.[6] والبحث عن سبب السفارة أو سبب إعتداءات البليميين على الرومان يتطلب المزيد من البحث، ولكن لا يبدوا وجيهاً أن يكون سبب السفارة طلب مملكة

---

[1] كلايدي ونترز، "بينة مروية عن الأمبراطورية البليمية ص ١، ٧.

[2] Charles Daniels, "Africa" p 326.

[3] مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٢٩.

[4] Hans Bernard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes*. Clause no. 260, 261 and 272.

[5] محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ١٧٩ و ١٧٥.

[6] J. S. Trimingham, *Islam in the Sudan*. London: Frank Cass & Co.1983 p 44>

مروي المساعدة من الرومان الذين أثبتت الوثائق – كما رأينا أعلاه - اضطراب الأوضاع في مناطق حدودهم مع مروي.

ويبدو معقولاً أن يكون سبب السفارة مناقشة الأوضاع المضطربة ومحاولة إعادة الأمور إلى مجاريها. وتشير رئاسة أمير بليمي للسفارة إلى أن البليميين كانوا على درجة متقدمة من التنظيم. ويبدو أن السفارة لم تحقق اهدافها لأن البلبيميين جددوا غاراتهم على الرومان بعد سنوات قليلة حتى لم يعد بمقدورجنود الرومان المنتشرين على النسل صد غارات البليميين.[1]

وتحالف البليميون مع زنوبيا (الزباء) ملكة (تدمر) في سوريا عندما هاجمت الرومان في مصر. وتحرك الرومان سريعا فهزموا قوات زنوبيا وقضو على الثوار في طيبة وهزموا البليميين وأجلوهم إلى ما وراء أسوان. غير أن البليميين عاودوا واحتلوا ما بين مدينتي Ptolemais & Coptos في منطقة طيبة.[2]

ومرة أخرى إنتصر الرومان ودام الصراع سجالاً بين الطرفين. وعندما زار الامبراطور دقلديانوس Diocletian حدود مصر الجنوبية عام ٢٩٨م قرر الانسحاب من النوبة السفلى، وجعل جزيرة الفنتين نقطة الحدود ترابط بها فرقة رومانية. وعقد اتفاقاً مع قبيلة النوباديين في الصحراء الغربية على القدوم والاستقرار على النيل جنوبي فيلة ليكونوا حاجزاً بين الرومان والبليميين، وقرر دفع أتاوة سنوية لكلا الطرفين على أن لا يقوموا بأي عمل عدائي ضد الرومان.[3]

وشهد القرن الرابع الميلادي تحولات كبيرة بدأت بقيام عاصمة جديدة للإمبراطرية في الشرق وهي القسطنطينية ، وأصبحت الدولة تعرف بالإمبراطورية الرومانية الشرقية التي اشتهرت باسم الامبراطورية البيزنطية فيما بعد. وقد عرفت في المصادر العربية باسم إمبرطورية الروم وهو الاسم الذي ورد في القرآن الكريم في سورة الروم. فأصبح الروم علماً على البيزنطيين، بينما أُطلق لفظ الفرنجة أو الافرنجة على

---

[1] Alan K. Bowan, et al (ed.) *The Cambridge Ancient History* Vol. xxii p 230.

[2] Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 336; Alan K. Bowan, et al (ed.) *The Cambridge Ancient History* Vol. xxii p 230.

[3] Alan K. Bowan, et al (ed.) *The Cambridge Ancient History* Vol. xxii p ٢١٦.

سكان غرب أوربا، ربما لأن الـ franks كانوا القوة الأوربية المسيطرة على تلك المناطق عندما دخل المسلمون الأندلس.

ويبدو أن مروي كانت حتى العقد الرابع من القرن الرابع الميلادي تتمتع باعتراف الحكام المحليين في شمإلى البلاد بسيادتها، ورغم تعدد أولئك الحكام إلا أن البليميين قد أصبحوا القوة المسيطرة. وقد أوفد المرويون والبليميون سفارة مشتركة إلى مصر عام ٣٣٦ م، وقدّم البليميون "تيجان بلانا للأمبراطور البيزنطي"[1] وهذا يعني أن مقر زعامتهم كانت في بلانا .

وقد لا يعني تقديم التاج أن البليميين كانوا مملكة مستقلة بل كانوا - كما أصبحت عليه الأوضاع في الفترة الأخيرة من عمر الدولة المروية – يعترفون إسمياً بالسيادة المروية. وعلاقة مملكة مروي بالزعامات المحلية في هذة الفترة تتطلب المزيد من الدراسة.

مملكة البليميين:

وبعد نحو عقدين من السفارة المروية البليمية للبيزنطيين انهارت مملكة مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي تحت ضربات عيزانا ملك أكسوم. ويبدو أن مولد مملكة البليميين المستقلة قد بدأ بذلك الحدث. فكما رأينا من تسلسل الأحداث منذ القرن الثالث الميلادي أصبح البليميون هم القوة المهيمنة علي حدود مروي الشمالية، وكان من الطبيعي أن يكونوا ورثتها في الحكم على الأقل في مناطق نفوذهم في الشمال. ولم يصبح البليميون - كما ذكر ونترز - جنرالات النهر فقط بل اعترف بهم كحكام يديرون شؤون بلادهم بحرية تامة.[2]

ويبدو أن البليميين قد بدأوا بسط نفوذهم في المنطقة حتى سواحل البحر الأحمر، لأن إحدى الوثائق الرومانية تحدثت عن تعرض بعض القواعد الرومانية على البحر الأحمر لغارة من سفن البليميين عام ٣٧٨ م. وربما بدأ اسم البليميين ينتشر بعد امتداد

[1] كلايدي ونترز، "بينة مروية عن الأمبراطورية البليمية ص ٣ و ٩.

[2] نفس المرجع ص ٧.

نفوذهم شرقاً فأطلق الرومان إسمهم على سكان المنطقة التُرُجلُدايت. وقد يؤيد ذلك أيضا ما تردد في المصادر عن ترادف استخدام البليم والمِجا والتُرُجلُدايت.[1]

وقد أدى قرار الامبراطور تاوداسيوس الأول عام ٣٨٥ م بإبطال جميع مظاهر الوثنية في الإمبراطورية إلى تجدد الصراع في المنطقة، لأنه يعني فقدان البليميين والنوباديين لمركزهم الديني ولآلهتهم في فيلة. وفي مطلع القرن الخامس الميلادي بدأت هجمات البليميين، وفرضوا سيطرتهم داخل الإقليم وخارجه. فقد أوضح اولمبيودورس في بداية القرن الخامس أن المنطقة ما بين أسوان وحتى حلفا تقع تحت حكم البليميين المباشر حيث يسيطرون على المدن الخمسة الرئيسية ما بين فيلة و ابريم .[2] ويشير شارلس دانيال إلى نفوذهم في الصحراء الشرقية وإلى استقرارهم المبكر في فيلة .[3]

وقام البليميون في عام ٤٢٩ م بغارات على منطقة طيبة و الواحة الخارجة التي كانت مركزا رومانيا يطل على حدودهم الصحراوية، ونهبوا الواحة وأسروا بعض سكانها ومن بينهم نسطورس القس المسيحي المشهور الذي كان الرومان قد نفوه هنالك. ولكن أطلق البليميون سراح القس بعد مفاوضات مع قبيلة mazici الأمازيغ الصحراية (ربما طوارق اليوم المعروفين باسم Imashagh). وكانت هذه القبيلة تتجول في الصحراء حتى المنطقة الواقعة بين أسوان والواحة الخارجة.[4]

ويبدو أن الود قد ساد العلاقات بين النوباديين والبليميين بعكس ما خطط له الرومان الذين استقدموهم لمساعدتهم ضد البليميين. فقد ورد في بردية[5] ترجع إلى الربع الثاني من القرن الخامس الميلادي كما أن أسقف فيلة وجه نداء للإمبراطور البيزنطي لحماية كنائسة من غارات البليميين والنوباديين.

وفي بداية النصف الثاني من القرن الخامس ذكرت المراجع أن القائد الروماني ماكسمينيوس ألحق بالبليميين والنوباتيين هزائم متكررة. وانسحب البليميون إلى

[1] Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* Vol. 1 p 37.

[2] Ibid. مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ١٧.

[3] Charles Daniels, “Africa” p 230.

[4] Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 337; Arkell, *History of the Sudan* p 179; ومصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٧.

[5] انظر مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ١٣.

جنوبي أسوان حيث مركزهم في كلابشة، بينما انسحب النوباديين جنوبيهم إلى ابريم. ووقعوا معاهدة صلح لمدة مائة عام لم تكن كل شروطها في مصلحة الرومان.

وافق البليميون على رد أسرى الرومان ودفع تعويضات لما أصاب الممتلكات والأفراد من الأضرار وأن يرسلوا عدداً من الرهائن. وللمحافظة على هذه الشروط وافق الرومان على السماح لهم بالحج إلى فيلة وسمح لهم بنقل تمثال معبودهم إيزيس إلى بلادهم. كما وافق الرومان على الاستمرار في دفع الأتاوة التي كانوا يدفعونها للبليميين والنوباديين.

غير أن السلم لم يدم طويلا بين الطرفين، فقد هاجم البليميون الحدود الرومانية واستخلصوا رهائنهم بالقوة، وقاموا بشن غارات على إقليم طيبة وسواحل البحر الأحمر، وتمكنوا من فرض سيادتهم على المنطقة بما في ذلك إقليم طيبة.[1] وأعقب ذلك تغيّراً في سياسة البيزنطيين المعادية للمسيحية واعترفوا بها ديناً للدولة. ونشط الأباطرة في نشر المسيحية بين القبائل الصحراوية ومناطق البليميين وسواحل البحر الأحمر الإفريقية ومملكة اكسوم، وكانت المصالح التجارية والإشراف على المواقع الاستراتيجية على رأس أجندة ذلك النشاط. وقامت مملكة اكسوم بحملتها المشهورة ضد مملكة مروي.

وكان انتشار المسيحية قد بدأ في مصر في زمن مبكر، لكن القرن الرابع الميلادي شهد تحولاً كبيراً في العالم المسيحي عندما أظهر الامبراطور قسطنطين الأكبر (٣١٣ – ٣٣٧) ميله للمسيحية، وانتهى اضطهاد وتعذيب المسيحيين وتمتعت المسيحية برعاية الدولة. وساهمت الاسكندرية – كأحد أهم المراكز المسيحية – في تطور الفكر المسيحي المبكر ونشر المسيحية. وكان من أكبر انجازاتها نشر المسيحية في الحبشة في عهد الإمبراطور قنسطنطين الأكبر.

وكانت المسيحية منذ وقت مبكر قد بدأت تنتشر في صعيد مصر وتحولت الكثير من المعابد إلى كنائس في إقليم طيبة، كما تم إنشاء عدد من الكنائس. وفي القرن الرابع الميلادي أُنسست أسقفية في فيلة. كما انتشرت المسيحية في أكسوم

[1] Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* Vol. 1 p 37.

شرقاً وفي واحات الصحراء الغربية مثل الواحة الخارجة. أما في شمال السودان وشرقه المتاخم للحدود المصرية فقد تأخر انشار المسيحية بالمقارنة إلى انتشارها في إقليم طيبة واكسوم والواحات، ربما يرجع السبب إلى الاضطرابات التي عاشها الإقليم منذ بداية الحكم الروماني لمصر.

وكانت صلات السودان بالمسحية قد بدأت في وقت مبكر، فقد تم تعميد وصيف كنداكة ملكة مروي في القرن الثاني للميلاد. وكان بطريرك الاسكندرية منذ عصر المسيحية الأولي يحمل لقب "بطريرك الاسكندرية والديار المصرية والنوبة والحبشة والخمس مدن" كما هو واضح على نقش خاتمه. ويدل ذلك على تسرب الدعوة للمسيحية في أزمان مبكرة إلى شمال السودان.[1]

وتشير بعض الدلائل على أن الدعوة المسيحية قد وجدت قبولاً من بعض البليميين والنوباديين منذ القرن الرابع، غير أنها لم تنتشر سريعاً فى السودان في القرون المبكرة. فعندما أغلق معبد فيلة الوثني في النصف الأول من القرن السادس الميلادي بأمر من الامبراطور البيزنطي تجددت غارات البليميين على مصر.

ويبدو أن قوة النوباديين قد نمت في المنطقة إلى جانب البليميين وأسس سلكو مملكته منذ عام ٥٣٠م. إلا أن إحدى الوثائق اليونانية (٥٣٥- ٥٣٧ م) وضحت أن البليميين والنوباديين كانوا لايزالوان حلفاء. كما ذكر بروكوبيوس نحو نهاية النصف الأول من القرن السادس الميلادي أن البليميين والنوباديين لازالوا وثنيين. غير أن نشاط البعثات التبشيرية وصلات البيزنطيين بالنوباديين قد حول موقفهم المعادي للوثنية، بينما واصل البليميون سياستهم المعادية للمسيحية. وكان ذلك إيذاناً بنهاية الود والتحالف بين البليميين والنوباديين وبداية الصراع الذي أدى إلى نهاية مملكة البليميين.[2]

ونتوقف قليلاً مع مملكة البليميين قبل الحديث عن نهايتها في محاولة لتتبع بعض أحداث تاريخها، وامتداد نفوذها وبخاصة في إقليم طيبة بصعيد مصر. وقد اعتمدنا في

---

[1] مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٥٠.

[2] نفس المرجع ص ٥٥.

ذلك على ما ورد في نقش كلابشة الذي كتب باللغة المروية المتأخرة تخليداً لأعمال الملك البليمي خارامادويه والذي ترجمه عن المروية كلايدي و نترز في مقال بعنوان "بينة مروية عن الامبراطورية البليمية"، وقد رجعنا إليه عدة مرات سابقاً.

وإلى جانب ذلك اعتمدنا أيضاً على المادة التي جمعها هانز بَرنارد عن البليميين والبجا والمِجا والتُرُجلُدايت من الكتاب القيم الذي نشره Eide وآخرون والذي يحتوي على ثلاثة أجزاء جَمعت كمّاً هائلاً من المادة ما بين القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي، وجاءت الملاحق في الجزء الرابع. وقد رجعنا إليه كثيراً فيما سبق. كما اعتمدنا أيضاً على وثائق الجبلين.

يرى الباحثون أن نقش كلابشة يرجع إلى القرن السادس الميلادي. وناقش و نترز ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن خارامادويه ملك نوبادي وليس بليمياً، ووضح أن أغلب الباحثين يرون أنه ملك بليمي. فاسمه مشابها لأسماء ملوك بليميين وردت أسماؤهم في مصادر أخرى مثل الملك خاراخن وولديه خاراهايت و خاراباتكور و الملك باراخيا .[1] وورد في النص أن باتاكاية والد خارامادوية هو مؤسس الامبراطرية وورثه في الحكم ابنه يسامينه الذي قدم له والده – في النص – بعض النصائح لينمكن من المحافظه على الانجازات التي تمت على يديه.

واللقب الذي اتخذه خارامادويه كما ورد في النص ترجمه و نترز : " the monark and chief" وجاءت ترجمة أسامة عبدالرحمن النور العربيه للقّب "العاهل والزعيم"[2] ولكن ورد نعته بلقب الملك في أكثر من موضع في النص كما في سطر رقم ٦ ورقم ١١. ولم يقترن اسم الملك خارمادوية في النص بأسماء المناطق الواقعة تحت حكمه ولكنه ورد في داخل النص (سطر٣) أنه "العاهل وقائد نيتة العظيمة" النص ملحق في آخر الكتاب.

---

[1] Hans Bernard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes*. Clause no. ٢٠٠, 319.

[2] انظر النص ملحق في آخر الكتاب.

وجاء في سطر ٧ عن عاصمته "كلابشة ترفع عالياً اسم نبتا الخيرة" مما يوحي أن البليميين كانوا يرون أنفسهم ورثة مروي وبالتإلى ملوك نبتا حتى ولو لم يمتد نفوذهم الفعلى جنوبا على تلك المناطق. وقد ورد في النص أسماء الجماعات التي انتصر عليها خارامادوية وهم: اللاك و الشاق و النسادوكا و التاميا و الناخبار . ولم تتضح مواقع هذه المناطق، لكن نفوذهم امتد حتى ساحل البحر الأحمر شرقا كما يفهم مما ذكر أعلاه.

وقد ذكر ونترز في تعليقه على النص أن " باتابوتكاية – والد خارمادوية – كان مؤسس الامبراطورية البليمية" وما ورد عن باتابوتكاية في النص (سطر٩) كلآتي: " باتابوتكاية الأب الخير (لـ) القائد خلف شرفاً حياً (لخارمادوية). فليقف عالياً الخير الذي سيترك ميراثاً الذي سيعمل ليحفز ويعطي شكلاً للخير..." وفي سطر ١٧ ورد: "باتابوتكاية عـــليه واجب والتزام الشــــرف وطلب الإذن لاعـــادة مولد خارمادوية ليفتح ويكسيها".

ولا توجد في النص إشارة إلى ملك أو أبٍ سابق، وليس من الضرورة أن يشير ذلك إلى أن باتابوتكاية هو مؤسس المملكة. ولم يشرح ونترز كيف أن النص يشير إلى تأسيس باتابوتيكة للمملكة لأن ما ورد في النص لا يوضح ذلك.

وقد أرخ كل من ونترز وبَرنارد لنقش كلابشة بالقرن السادس الميلادي. وإذا جعلنا باتابوتيكة المؤسس لمملكة البليميين يكون تأسيس المملكة قد تم في القرن السادس أي بعد نحو قرن ونصف من انهيار مروي. وقد رأينا أن البليميين كانوا سادة المنطقة، ورغم اعترافهم بسلطة مروي والتي افترضنا أنها كانت سلطة اسمية. وأن البليميين كانوا يتمتعون بقوة أزعجت الرومان وجعلتهم يبحثون عن حليف لصد غاراتهم، وتوسعوا على سواحل البحر الأحمر، وبلغ نشاطهم العسكري الواحة الخارجة، واشتركوا مع المرويين في البعثات الدبلوماسية لمصر وأهدوا للإمبراطور البيزنطي تاج بلانة .

كل ذلك يشير إلى حقيقتين هامتين: الأولى أن البليميين أصبحوا قبل انهيار مروي بوقت طويل سادة المنطقة وجنرالات النهر، وثانياً يؤكد ذلك تطور نظام حكمهم مما

يجعل قيام مملكتهم – تحت ظل المرويين – أمراً مقبولاً. هذه الدلائل تشير إلى أنه من المقبول جداً أن يسعى البليميون إلى وراثة مملكة مروي بعد سقوطها.

ويزيد ذلك تأكيداً نقش كلابشة الذي تضمن في موضعين الإشارة إلى كونهم ورثة مروي. فقد وصف خارمادوية (سطر٤) أنه "عاهل وقائد نبتا العظيمة" ووصف عاصمته (سطر٧) كلابشة "ترفع عالياً اسم نبتا الخيرة" ثم السؤال لهام هو ماذا أضحى عليه الوضع السياسي في المنطقة بعد انهيار مروي؟

يرى الباحثون أن مملكة النوباديين قد تأست في وقت لاحق لسقوط مملكة مروي عام ٥٣٠ م. أي بعد قرنين من انهيار مروي. ولا تذكر المصادر المعاصرة أي قوة سياسية أخرى في المنطقة إلى جانب البليميين الذين كانوا على رأس الأحداث – كما رأينا – ليس في شمال السودان بل وعلى سواحل البحر الأحمر وصعيد مصر والصحراء الغربية. وهذا الوضع يجعل قيام مملكة البليميين بعد سقوط مملكة مروي مباشرة عندما غزاها عيزانا نحو ٣٥٠ م أمراً مقبولاً.[1]

وإذا انتقلنا إلى نصوص بَرنارد نجده قد جمع نحو ٧٣ نصا عن البليميين والمِجا والتُرجُلدايت والبجة ما بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي. وبلغ عدد النصوص التي ذكرت البليميين بالاسم مباشرة أوالتي تضمنت الإشارة إليهم ٤٧ نصاً. ويشير ذلك إلى أن البليميين كانوا القوة المسيطرة في المنطقة وأن اسمهم أصبح أكثر انتشاراً في الوثائق والآثارمن أسماء أبناء عمومتهم المِجا والتُرجُلدايت، وأصبح علماً عليها في بعض الأحيان. أما اسم البجا فقد اشتهركعلمٍ على كل المجموعات الأخرى منذ القرن السابع الميلادي.

ومن بين السبعة والأربعين نصاً جاءت سبعة منها قبل القرن الثالث الميلادي. وبلغت النصوص في القرن الثالث ثمانية نصوص، وفي القرنين الرابع والخامس عشرين نصا، وفي القرن السادس اثنتا عشر نصاً. ويدل ذلك بوضوح أن البليميين كانوا موجودين في المنطقة منذ القرن السابع قبل الميلاد إلا أن قوتهم برزت منذ القرن الثالث، وأصبحوا

[1] مصطفى مسعد، الاسلام والموبة ص ٧٣.

عنصراً فاعلاً في أحداث كل المنطقة الواقعة ما بين الواحة الخارجة غرباً والبحر الأحمر شرقاً حيث امتدت غاراتهم في القرون التالية حتى أطراف البحر الأحمر الشمالية. أما في الشمال فرغم كون حدودهم في أسوان إلا أن امتداد نفوذهم تعدى ذلك في القرون التالية إلى منطقة طيبة في صعيد مصر.

وقد بلغت نصوص القرنين الثالث والرابع الميلادين عشرين نصاً الأمر الذي يوضح ازدياد نفوذ البليميين في المنطقة. وقد رجحنا فيما سبق قيام مملكة البليميين المستقلة داخل مملكة مروي في القرن الرابع الميلادي، ولعل ما ورد عن ملوك البليميين يؤيد ذلك. فقد وردت اسماء ستة ملوك بليميين فيما جمعه بَرنارد من نصوص، ثلاث منهم قدرت تواريخ حكمهم في القرن الخامس الميلادي والثلاث الباقين في القرن السادس وهو القرن الذي افترضه الباحثون تاريخاً لنقش كلابشة مما يشير إلى تأسيس مملكة البليميين في ذلك القرن.

غير أن الملك خارمادوية قد ورد اسمه أيضاً في نقش مكتوب باللغة المروية في معبد كلابشة وقدر تاريخ هذا النقش بالقرن الخامس الميلادي،[1] بينما قدر نقش كلابشة الذي يحمل اسم الملك خارمادوية ثاني ملوك البليميين - كما يرى ونترز - بالقرن السادس الميلادي، وأشار إلى أن النص غير كامل الترجمة.

وفي واقع الأمر فإنني لم أطلع علي أصل النص في الكتاب بل رأيته فقط في مقال برنارد، فهل رجع كلا الكاتبين برنارد و ونتر لنفس النص؟ لا أعتقد ذلك، خاصة وأن برنارد لم يشر إلى كتاب Eide رغم أنه كتب موضوعه بعد ظهور الجزء الثالث منه والذي تضمن نصوص بين القرنين الأول والسادس الميلادي.

وبالطبع فإن قضية تحقيق تاريخ النصين تحتاج إلى بحث، إن لم يكن قد تم ذلك ولم اطلع عليه. وهنالك أيضاً شئ آخرى يحتاج إلى المراجعة في نصوص برنارد وهو عبارة عن خطاب للملك فونين مكتوب باللغة اليونانية وُصِف فيه بأنه ملك البليميين الأكثر شهرة، وورد أن هـذا الملك طلب من الملك النوبادي أبورتي الذي خلف سلكو الانسحاب.[2]

---

[1] Hans Bernard, *Sire, il n'y a pas de Blemmyes*. Clause no. ٣٠٠.

[2] Ibid. clause no. 319.

وقد قدر تاريخ هذه الأحداث بالقرن الخامس. ومن المعروف أن الملك النوبادي سلكو هو الذي هزم البليميين وقضى – كما يقال – على مملكتهم وحدث ذلك في منتصف القرن السادس الميلادي. وهذا الخلط أيضا يحتاج إلى الدراسة، ولعل في مثل هذه الموضوعات ما يشجع طلبة الدراسات العليا على ولوج أبوابها.

والملك البليمي الآخر الذي ورد اسمه مرتبطاً بالقرن الخامس هو تامال ٣٩٤ – ٤٥٣ (فقرة رقم ٣١٠). ولم ترد في المقال معلومات عنه ما عدا ارتباطه بأحداث القرن الخامس الميلادي.[1] ولعل في هذا، وما ذكر أعلاه دلالة على أن مملكة البليميين قامت قبل القرن السادس وهو التاريخ الذي قدر لنقش الملك خارمادوية ، خاصة وأن أسماء الملوك البليميين التي وردت في نصوص برنارد أرقام ٣٣٤، ٣٣٦ و٣٣٩ النص الأول والثاني مكتوبان باللغة اليونانية والثالث باللغتين اليونانية والقبطية. وقدر رجوع الوثائق الثلاثة للقرن السادس الميلادي. وجاءت كلها مرتبطة بإقليم طيبة في صعيد مصر.

والوثائق الأخرى المرتبطة بالبليميين هي ثلاث وثائق مكتوبة على جلد غزال باللغة اليونانية عثر عليها فلاح مصري في منطقة الجبلين على بعد ٢٥ ميلاً جنوب مدينة الأقصر. وقد ترجمها إلى الانجليزية كراون و إمري ، ونقلها إلى العربية وضمنها كملاحق مصطفى مسعد في كتابه الإسلام والنوبة تحت عنوان "الوثائق الدالة على استقرار البليميين في منطقة طيبة" وقد أشار برنارد إلى الوثيقتين الأولى والثانية فقرات رقم ٣٣٦ و٣٣٤.

الوثيقة الأولى – وهي عند بَرنارد رقم ٣٣٦ – يعهـــد فيها الملك البليمي خاراخِن (Kharakhen) حكم جزيرة تتاري لابنائه الثلاث: خاراخن (Kharakhen) و خاراباتخور (kharapatkhur) و خاراخيت (kharahiet)، كما تضمنت الوثيقة ما يفهم منه أن المواطنين الرومان ربما لا يريدون دفع الضريبة للبليميين. . واعتبر موقع

[1] Ibid. clause no. 3··.

بَرنارد أن جزيرة تتاري غير معروفة. لكن مسعد ذكر بأنها تقع مقابل الجبلين وعلى نحو أربعين كيلومتراً جنوبي الأقصر، و٢٤٠ كم شمال أسوان.[١]

جاءت ترجمة الوثيقة (بَرنارد رقم ٣٣٦) كالآتي:

"أنا شاراشن ملك البليميين، أكتب إلى أولادي شاراشن و شاراتكور و شاراهيت ، أنه طبقاً لأمري هذا قد منحتكم حكم الجزيرة المعروفة باسم تتاري، وألا يقف في سبيلكم أحد، وإذا أثار الرومان مشاكل وامتنعوا عن دفع الأتاوة العادية لكم فإنه لا الفيلارك ولا الهيبوتيرانوس يمنعانكم من إرغام الرومان على دفع العطايا العادية عن جزيرتي."

"شاراشن الملك"

" تتكنا : أمير القصر – شاهد"

"كتبه سانسانوس في اليوم الرابع والعشرين من شهر ....."

وجاءت ترجمة الوثيقة الثانية – عند بَرنارد رق ٣٣٤ - كالآتي:

"أنا باكتمن أشهر الملوك، قد عينت باو القسيس المعروف لإدارة جزيرة تمسير المعروفة باسم تتاري. وقد سلتها إليك من هذا اليوم فصاعداً، وأوافق على ما سطرته عاليه."

"كتبه الكاتب أجاثانوس في اليوم الثالث والعشرين من السنة الحادية عشر...."

ولم يورد مسعد نص الوثيقة الثالثة التي ذكرها من ضمن ما عثر عليه الفلاح المصري، ولكنها أنها عبارة عن إيصال باستلام نقود دون تحديد جهتها.[٢]

وهنالك وثيقة أخرى – رقم أربعة - ذكرها بَرناد clause no. 339، وهي عبارة عن أمر ملكي أصدره الملك باراخيا (Barakhia) إلى صوفيا يشير إلى وضعها أو إقامتها في مكان ما، وقد ورد أن هذا الملك خلف الملك خاراخِن - أو شاراشن كما كتبه مسعد - في الحكم.

---

[١] مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٥٣.

[٢] نفس المكان.

فنحن أمام أربعة نصوص تتعلق كلها بحكم البليميين منطقة في صعيد مصر. وتسوق هذة الوثائق العديد من الأسئلة مثل: ما هي علاقة البليميين بصعيد مصر أو إقليم طيبة؟ وإلى أى مدى امتد نفوذ البليميين على صعيد مصر؟ هل حكم البليميون مناطق أخرى غير جزيرة تتاري ولم يصل إلينا ما يوضح ذلك؟ ومتى حكم البليميون جزيرة تتاري؟

علنا نجد بعض الاجابة في تعليق كل من كيروان و إمري الذين درسا الوثائق إلى جانب تعليق مسعد. اتفق مسعد مع كيروان أن البيزنطين كانوا يسعون إلى كسب ود البليميين ويجندوهم في جيشهم لمساعدتهم في الحد من نفوذ الحميرين في اليمن، وبالتإلى السيطرة على تجارة المحيط الهندي عبرالبحر الأحمر. ولذلك أقطع البيزنطيون بعض الاقطاعات للبليميين بمنطقة طيبة، وبالتإلى يبرر ذلك حكم البليميين لجزيرة تتاري.[1]

اختلف تفسير إمري الذي رأى أن الحكم البليمي في إقليم طيبة نتج عن ضعف السلطة البيزنطية لإقليم طيبة، فاحتل البليميون تلك المناطق. ويؤيد ذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين - كما نقل مسعد -"أن البليميين لم يكونوا مجرد غزاة بل أنهم استقروا في منطقة طيبة حيث أقاموا حكومة مدنية. وأن القوات البيزنطية خضعت لهم واتخذوا من بطليمى قاعدة لهم يرسلون منها قواتهم لإثارة الرعب في المنطقة التي تقع إلى الشمال من طيبة."[2]

وبناءً على ذلك فإن مجالات توسع البليميين لم تنحصر في منطقة طيبة - جنوبي الأقصر فقط - بل تعدتها إلى شمال الأقصر. وقد تعرضنا فيما سبق لعلاقة وإقامة قبائل شرق السودان منذ العصور الفرعونية المبكرة بإقليم طيبة. يقول بُتلر أنه منذ عصر الملك المروي أركاماني Ergamenes في القرن الثالث قبل الميلاد - والذي تلقى

[1] المرجع السابق ص ٢٥٠.

[2] نفسه، ص ٥١.

تعليما يونانياً – تحسنت علاقات الكوشيين مع دولة البطالمة في مصر، وأصبح البليميون المولودون في مصر يتمتعون بنفس حقوق اليونانيين المولودين في مصر.[1]

ويضيف بتلر أن استقرار البليميين في إقليم طيبة بدا واضحاً منذ عام ٢٥٠ م بعد هزيمتهم للرومان. وعندما تمكن الرومان من هزيمتهم عام ٢٦١ م واصطروا لإخلاء منطقة طيبة عادوا إليها سريعاً واحتلوا Coptos و Ptolemy واستقروا حتى أجلاهم الرومان عام ٢٦٧م. وبعد سنوات قليلة – في القرن الرابع الميلادي وعندما أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس أمره بإبطال جميع مظاهر الوثنية في الإمبراطورية اتحد البليميون والنوباديون – الذين كانوا وثنيين – وهاجموا في منتصف القرن الخامس الميلادي - المسيحيين في شمالي إقليم طيبة.

ولم يكن البليميون في ذلك الوقت مجرد مغيرين بل كانوا – كما عبر بتلر – "بالتأكيد مستقرين وتولوا مهام الإدارة المدنية. وأصبح الجنود الرومان المنوط بهم حراسة الحدود سجناء تحت أيديهم.."[2] ولعل ذلك يذكرنا بملوك نبتة الذين بدأوا تدخلهم في شؤون مصر بضم الملك كاشتا في القرن الثامن قبل الميلاد لإقليم طيبة و Shabak أخو بعانخي وخلفه Shbataka . وأعتقد أنه يمكن أيضاً ملاحظة الشبه بين أسماء ملوك مملكة نبتة وملوك البليميين مثل: Kharakhen و Barakhia و kharapatkhur و kharahiet .

ونخلص من ذلك إلى أن البليميين ارتبطوا بالمنطقة الواقعة إلى الجنوب من أسوان منذ القرن السادس قبل الميلاد، وبدأوا يساهمون في أحداث المنطقة منذ القرن الثاني قبل الميلاد فأصبحوا القوة الرئيسة في المنطقة معترفين بسيادة مروي، وتوسعوا على سواحل البحر الأحمر والصحراء الغربية ومنطقة طيبة. وأسس البليميون مملكتهم المستقلة – كما رجحنا – في منتصف القرن الرابع الميلادي.

ويرى المؤرخون أن نهاية مملكة البليميين أتت على يد الملك النوبادي سلكو في منتصف القرن السادس الميلادي. وقبل الانتقال إلى مناقشة تاريخ سقوطها نتناول ما

[1] Alfred J. Butler, "The Treaty of Misr in Tabari" in his book *The Arab Conquest of Egypt* Oxford University Press 2nd ed. 1978 p 41-42
[2] Ibid.

عرف بين المؤرخين بثقافة المجموعة المجهولة (x-group) ٢٥٠ – ٥٥٠ م ومدى ارتباط البليميين بها.

لا زالت أغلب دراساتنا لتاريخ السودان تهتدي بما وضعه رايزنر (Reisner) عام ١٩٠٧ لتقسيم حقب تاريخنا وهي الحروف (A, B, C, X) المجموعة أ والمجموعة ب والمجموعة س. ورغم المعلومات الكثيرة التي توصل إليها الباحثون - آثاريون ومؤرخون – عن المجموعة x فإنها لا زالت توصف بالمجهولة. ولم يقبل وليم آدمز هذا الاسم وفضل أن تنسب إلى اسم المكان الذي يحتوي على أكثر آثارها فأطلق عليها ثقافة بلانة، وهذا ما سنتبعه هنا.

عثر على آثار ثقافة بلانة في مناطق متعددة بين أسوان شمالاً ومروي الحالية جنوباً، ويرى آركل أن المقابر الكثيرة المنتشرة في المنطقة الواقعة غربي الخرطوم ربما ترجع إلى ثقافة مشابهة لها. تعود ثقافة بلانة إلى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين، وقد اتفق الباحثون على أن مكوني هذه الثقافة يتميزون بوضح الأثر الزنجي أكثر من العناصر السابقة لهم وبوضوح الثقافة المروية على مخلفاتها.[1]

والمخلفات التي عثر عليها في مقابر أصحاب ثقافة بلانة تحتوي على بقايا ضحايا بشرية دفنت مع الملوك، وأدوات أكل مصنوعة من الفضة وأزيار كبيرة ومقاعد وعلاقات مصابيح برنزية وصناديق خشبية كبيرة مزخرفة. ويبدو الأثر المسيحي على بعض الأدوات البرونزية. وقد وجدت في القبور بعض الأدوات المصرية والبيزنطية مما يشير إلى العلاقات التجارية، كما عثر على التاج (*atef*) الذي كان يلبسه ملوك مروي مما يوضح أنهم كانوا يلبسون التاج وشارات الملك المروية. ولم يستخدم أصحاب هذه الثقافة الكتابة. وقد مارسوا الزراعة كحرفة أساسية إلى جانب الرعي.

وقد اختلف الباحثون في من هم أصحاب هذه الثقافة؟ يرى الباحثون – مثل فرث Firth – أن محتويات قبور أصحاب ثقافة بلانة تشير إلى أن الأثر الزنجي يبدو واضحاً

[1] Arkell, *History of the Sudan* p ١٨١.

عليها، وبالتإلى فإن هذه الجماعة عبارة عن هجرة زنجية أتت من الجنوب واستقرت في المنطقة واختلطت بسكانها.[1]

وقد رأى فرث الذي فحص محتويات القبور في العقد الأول من القرن العشرين أن مؤسسي هذه الثقافة هم النوباديون الذين استقدمهم الأمبرطور الروماني دقلديانوس عام ٢٩٧ ليستقروا على النيل جنوبي اسوان. وتبعه في هذا الرأي آركل وسارعليه كثير من المؤرخين مثل محمد ابراهيم بكر ومصطفى مسعد.

وأبعد آركل ومن تبعه أي أثر للبليميين في هذه الآثار لأنهم – كما يرون – رعاة متجولون في الصحراء الشرقية، ولم يسيطروا على تلك المناطق لفترات طويلة، وإنتاج مثل تلك الثقافة يتطلب استيطانا طويل المدى.[2] ويبدو أن آركل الذي كتب في منتصف القرن العشرين لم تتح له فرصة الاصطلاع على الوثائق التي توفرت عن البليميين في النصف الأخير من القرن العشرين.

فقد وضحت تلك المصادر أن البليميين بدؤوا الاستقرار في مناطق جنوبي أسوان منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبدأت أعدادهم تزداد في المنطقة حتى أصبحوا منذ بداية العصر المسيحي القوه المسيطرة على المنطقة حتي القرن السادس الميلادي كما وضحنا أعلاه. ويعنى هذا ارتباط البليميين بمنطقة ثقافة بلانة يبلغ نحو ١٢٠٠ سنة. فكيف يكون وجودهم في المنطقة كما عبر مسعد وجوداً مؤقتاً؟.

ولم يستخدم آركل المصادر المبكرة مثل بلايني و سترابو و أولبميودورس وغيرهم والذين ظهر البليميون في كتاباتهم أنهم كانوا مستقرين في المنطقة منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي أي نحو ٩٠٠ سنة. ويكفي ما ذكره أولبميودورس الذي زار البليميين في كلابشة في أول القرن الخامس الميلادي من أنهم سادة المنطقة وأن المدن الرئيسة ما بين اسوان و حلفا تحت سيادتهم.

الأدلة كلها تشير إلى أنه من غير المقبول بل ومن المستحيل إبعاد البليميين من ثقافة بلانة وهم الذين قدموا تاج بلانة – كما ذكر ونترز - هدية

[1] انظر مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ١٩.

[2] Arkell, *History of the Sudan* p 1٨١.

للأمبراطورقسطنطين عندما كانوا في سفارة مشتركة مع المرويين عام ٣٣٦ م.[١] ولذلك رأى كثير من الباحثين أن المقابر الملكية التي تم كشفها في المنطقة هي مقابر ملوك بليميين . وأرى أن تفسير وليام آدمز لظهور هذه الثقافة ومؤسسيها يمثل الرأي المنطقي المقبول.

لم يعتبر آدمز (ص٣٥٨ - ٣٥٩) أن ثقافة بلانه ثمثل ثقافة منفصلة ومستقلة عما قبلها كما ذهب إلى ذلك الرواد الأوائل من الآثاريين. وفيما يلي ملخص لبعض ما كتبه آدمز:

لم تكن نظريات رايزنر و إليوت سميث خاطئة على الإطلاق بالنسبة إلى محتوى زمانها ، لقد كانت أول مسح آثاري للنوباديين محصوراً في الدوديكا سخيون في أقصى الشمال حيث مقابر البطالمة والرومان الذين حكموا المنطقة أو شاركوا في حكمها منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد.

لذا فإن مؤسسي ثقافة بلانة قد جرت مقارنتهم بأسلافهم البطالمة والرومان في هذه المنطقة ، ولذلك كان هنالك ما يبرر افتراض أن مقابر مجموعة بلانة تمثل وافدين جدد يعتبرون عرقياً وثقافياً مختلفين عن أسلافهم في المنطقة. لكن البحث الآثاري الحديث – ولازال الملخص من آدمز – لم يؤيد هذه الفرضية خاصة وبعد امتداد المسح الآثاري إلى مناطق جنوبى الدوديكاسخيون ما بين حلفا ومروي الحالية.

وبالرغم من أن الدارسين المعاصرين أيدوا وجود الخلطة الزنجية في مجموعة ثقافة بلانة أقوى منها في المجموعات المروية السابقة لها ، إلا أنها ليست كبيرة بحيث تشكل تميزًا عرقياً وثقافيا. فهي اختلافات بين مجموعة سكانية واحدةً ، فلم يكن هنالك انقطاع في الإقامة بين الفترات المروية وما بعد المروية ، وأن ثقافة مروي وثقافة بلانة ليست سوى فصول متعاقبة من نفس الثقافة.[٢]

ونخلص من ذلك أن ثقافة مجموعة بلانا هي ثقافة السكان النوبا وهم:

١) مجموعات السكان المحليين في المنطقة.

---

[١] كلايدي ونترز، "بينة مروية عن الأمبراطورية البليمية ص ٣، ٢.

[٢] وليام أدمز، النوبة رواق افريقية ص ٣٥٨ – ٣٥٩.

٢) وجماعات المهاجرين النوبا الذين وفدوا من الجنوب والذين بدأوا يتوغلون في أراضي مملكة مروي وأدوا إلى ضعفها وانهيارها، وهم المجموعة التي قال عنها الآثاريون "الزنوج الذين دخلوا المنطقة وتركوا آثارهم على جماعة ثقافة بلانة."

٣) وجماعات البليميين وغيرهم من سكان الصحراء الشرقية الذين حلوا بالمنطقة منذ القرن السابع قبل الميلاد

٤) وجماعات النوباديين الذين جاءوا إلى المنطقة عام ٢٩٧ ميلادية.

فالبليميون إذاً كانوا العنصر الفاعل في ثقافة جماعة بلانة وتطورت تلك الثقافة تحت ظل مملكتهم.

متى سقطت مملكة البليميين؟:

وننتقل الآن إلى السؤال الهام: متى سقطت مملكة البليميين؟ الرأي السائد هو أن مملكة البليميين أسقطتها مملكة النوباديين التي تأسست عام ٥٣٠ م. فقد شهد الربع الثاني من القرن السادس الميلادي تحركات نشطة من جانب البيزنطيين، حيث كان الامبراطور جستنيان ٥٢٥ – ٥٢٧ م يخوض حرباً مع الفرس في شمال غربي آسيا، وكان لا يسعى فقط لاستتباب الأمن على حدوده مع البليميين بل كان يهدف إلى تسخير تجارة البحر الأحمر والصحراء لدعم جهوده الحربية.

وجدت بيزنطة ضالتها في ثيودور أسقف فيلة و أسوان (٥٢٦ – ٥٨١م) بخبرته بأحوال البلاد وأهلها وزياراته المتعددة لبلادهم. وقد قام بدور هام في التمهيد لدخول النوبيين جميعاً في الدين المسيحي. ويبدو أنه قام بدور الوسيط بين النوباديين وبين الدولة البيزنطية. فقد أورد مسعد[1] تفاصيل اتصالات البيزنطيين بالمنطقة نقلاً عن يوحنا الأفسي الذي كتب في القرن السادس الميلادي. صحب ثيودور مبعوث الامبراطورة ثيودورا إلى ملك النوباديين عام ٥٤٣ م حيث قابلهم رسل الملك على الحدود وخفروهم حتى عاصمة النوباديين باخورس (فرس).

[1] مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٥٧ - ٦٢

وحسب رواية يوحنا الأفسي فإن ملك النوباديين سلكو اعتنق المسيحية. ولكن يرى الباحثون أن الدلائل الأثرية تشير إلى أنه لم يتنصر على الأقل حتى وقت حروبه مع البليميين في منتصف القرن السادس، لكنه تصدى للبليميين عندما ثاروا على البيزنطيين بعد اغلاق معبد فيلا الوثني.

ودارت الحرب بين النوباديين وبين البليميين حيث كان الجيش البيزنطي كما ذكر بوري مستعدا على الحدود للتدخل إذا اقتضى الأمر، [1] وانتصر سلكو على البليميين وغيرهم من منافسيه على الزعامة كما اتضح من نقشه الذي دون فيه تلك الانتصارات باللغة اليونانية علي جدران معبد كلابشة.

وقد أورد مسعد ترجمة عربية لذلك النقش في الملحق رقم (١) في كتابه الإسلام والنوبة نقلا عن بدج بعد مقارنته مع كيروان. كما أورد محمد ابراهيم بكر أيضا ترجمة له لم يذكر مصدرها ولا تختلف في محتواها عما جاء عند مسعد . وسننقل النص كما جاء عند بكر كالآتي:

"أنا سلكو ملك النوباديين وكل الإثيوبيين، ذهبت إلى تالمس [كلابشة] و تافة ، وحاربت البليميين مرتين، وأعطاني الإله النصر، وبعد الثلاث مرات انتصرت مرة أخرى (عليهم) واحتللت مدنهم. وثبت نفسي هناك مع جيوشي. وفي المرة الأولى هزمتهم وعقدت معهم سلاماً، وحلفوا لي بأوثانهم، وصدقت إيمانهم لأني اعتقدت أنهم رجال أمناء، ثم عدت إلى أقاليمي العليا، وعندما أصبحت ملكاً لم أتخلف عن الملوك الآخرين، ولكني كنت في مقدمتهم (بأعمالي) فأولئك الذين يبحثون عن القتال معي فإنني لم أتركهم يقعدون في بلادهم إلا بعد أن يخضعوا لي، لأنني أسد في البلد الأسفل (وغزال ؟) في البلد العلوي. وحاربت البليميين من ابريم حتى Telelmis[كلابشة] مرة. ثم حاربت النباطيين [النوباديين] الآخرين في البلد العلوي [الجنوبي] واكتسحت بلادهم لأنهم سعوا إلى القتال معي."

[1] J. B. Bury, *History of the Late Roman Empire.* NEW York: Dover Publication, 1958 vol. 2 p 330

"أما سادة البلاد الأخرى الذين تقاتلوا معي فأنا لم أتركهم يقعدون في الظل، بل في الخارج تحت الشمس بدون أن يشربوا قطرة ماء في داخل بيوتهم، لأنهم كأعداء لي، فإنني أخذت نساءهم وأطفالهم."[1]

يلاحظ أن سلكو لقب نفسه بملك كل الأثيوبيين مما يتضمن الاشارة إلى أن النوباديين أيضاً عند قيام مللكتهم اعتبروا أنفسهم ورثة لمملكة مروي التي كانت تحكم كل الاثيوبيين. ولعل ملوك مملكتي المقرة و علوة اللتان تأسستا أيضا على أنقاض مملكة مروي قد تلقبا بنفس الألقاب.

وكما يتضح من النص فإنه في منتصف القرن السادس الميلادي – وهو الزمن الذي قُدِّر لحروب سلكو– كانت هنالك قوى متصارعة - إلى جانب البليميين والنوباديين – تسعى كل منها إلى بسط نفوذها على المنطقة. وانتصر سلكو على كل منافسيه البليميين في الشمال حتى الشلال الأول، وانتصر على منافسيه على الزعامة من النوباديين، وعلى حكام المناطق العليا من بلاده أي منطقة الشلال الثاني.

ويرى بعض المؤرخين أن سلكو عندما خاض تلك الحروب لم يعتنق المسيحية رغم استقباله للبعثة المسيحية البيزنطية. فقد ظهر سلكو في النقش في زي فرعوني تزينه صور الآلهة. إلا أن المسيحية انتشرت سريعاً بين النوباديين حيث أصبحت مملكة نوباديا مسيحةً ساعدت على انتشار الدين المسيحي في المنطقة.

ويتضح من أخبار انتشار المسيحية أن هنالك مملكتين أخريتين، الأولى إلى الجنوب من النوباديين وهي مملكة المَقُرة وعاصمتها دنقلا، والثانية إلى الجنوب من المَقُرة وهي مملكة علوة وعاصمتها سوبا . وبناءً على ما ورد في المصادر المسيحية المبكرة فإن كلا المملكتين اعتنقتا المسيحية في الربع الثاني من القرن السادس الميلادي[2] أي قبل نحو ستين سنة من دخول الإسلام مصر.

---

[1] محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم ص ١٨١.

[2] انظر آدمز وليام، النوبة رواق افريقيا ص ٣٠٧ – ٣٩٨ و مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٦٠ – ٦١.

ماذا حدث للبليميين ولملكتهم بعد هزيمة سلكو؟ يرى بعض المؤرخين مثل آركل[1] و مسعد[2] الذي نقل عن كيروان و دي فلارد أن تلك الهزيمة أدت إلى نتيجتين: الأولى نهاية المملكة والثانية طرد البليميين نهائياً من على النيل.

ويبدو واضحاً أنه لم يرد في نص نقش سلكو أنه طردهم من على النيل. فالنص يشير إلى أن سلكو هزمهم أكثر من مرة واحتل مدنهم وعقد معهم "سلاما"، وفي ترجمة مسعد عقد معهم "صلحاً ووثقت من إيمانهم هذه لأنهم رجال شرفاء." وقد علق مسعد في الحاشية على أن ما ورد في النقش "لا يشير صراحةً إلى طردهم من المنطقة."[3]

وفي واقع الأمر فإن النص لايشير صراحة ولا ضمناً إلى طردهم. وقد علق بوري Bury على هزيمة البليميين قائلاً "إن تنصير البليميين ساعد الامبراطور جستنيان على إنهاء كل مظاهر الوثنية."[4] ولم يقل إنه طرد البليميين بل ذكر تنصيرهم.

غير أن أخبار البليميين انقطعت من المصادر حتى دخول المسلمين مصر حيث بدأت تظهر بعض أخبارهم في المؤلفات العربية. لكن هنالك بعض الأخبار التي وردت عنهم في وثائق الجبلين والنصوص التي جمعها بَرنارد والتي ارتبطت بإقليم طيبة بصعيد مصر وأرخ لها بالقرن السادس الميلادي.

فقد ورد في وثيقة الجبلين – المذكورة أعلاه - أن الملك شراشن منح حكم جزيرة تناري لأبنائه الثلاث، وقد خول لهم حق جمع الضرائب حتى من المواطنين الذين يتمتعون بحق المواطنة الرومانية. وأغلب الظن أن الإشارة هنا إلى الرعايا اليهود أو غيرهم الذين منحوا حقوق المواطنة الرومانية. وقد ورد أعلاه أن بعض البليميين قد تمتعوا بهذا الامتياز في نفس هذا الإقليم.

وفي فقرة رقم ٣٣٩ عبد بَرنارد جاء أن الملك باراخي خَلَفَ الملك خاراخن (أو شراشن) في الحكم. ولم يرد فيما ذكره برنارد شي عن حكم الجزير، ولكن ورد في النص الثاني المترجم أعلاه أن الملك باكتمن قد عين القسيس باو على الجزيرة.

[1] Arkell, *History of the Sudan* p ١٨٤.

[2] الاسلام والنوبة ص ١٨، ١٤٢.

[3] نفس المرجع، ص ٢٤٣ حاشية رقم ٨.

[4] Bury, *History of the Late Roman Empire* p 330.

ويعلق مسعد على النص قائلاً "ليس من المعروف تماماً تاريخ تحرير هذه الوثيقة، وربما كانت لاحقة للوثيقة السابقة [وثيقة شراشن] أي أواخر القرن السادس الميلادى."

وإذا أخذنا بهذا التاريخ يكون حكم البليميين قد استمر في منطقة طيبة حتى نهاية القرن السادس الميلادي، ويعني هذا أنهم كانوا لا يزالون ملوكاً بعد هزيمتهم على يد سلكو فن منتصف القرن السادس الميلادي. وهذا الأفتراض يقود إلى كثير من الأسئلة مثل أين كان مركز حكمهم؟ وما هي المناطق التي كانوا يسيطرون عليها؟ وكيف كانت علاقتهم بالممالك الأخرى في المنطقة وبالبزنطيين ؟ وهل كانت مملكة البليميين لا تزال موجــودة عند دخول المسلمين مصر أي بعد نحو سبعة عقود من حروب سلكو؟.

في الواقع فإن هذا افتراض بقاء مملكة البليميين بعد منصف القرن السادس يبدو مقبولاً، وربما كان ذلك هو السبب الذي جعل مسعد يبحث عن تبرير لوجود حكم بليمي على أرض مصرية تحت الحكم البيزنطي. فذكر أنه "من الوسائل التي لجأ إليها البيزنطيون لترغيب البليميين في المسيحية، أنهم أقطعوهم إقطاعاً بمنطقة طيبة" وأضاف بأن هذا العمل "كان جزءاً من سياسة البيزنطيين في البحر الأحمر للقضاء على نفوذ الحميريين التجاري في هذا البحر بالتعاون مع دولة اكسوم المسيحية، فضلاً عن إغراء البليميين بالدخول في المسيحية والسيطرة علي أوطانهم الممتدة جنوب شرقي مصر إلى حدود اكسوم."[1]

ويبدو منطقياً أن يسعى البيزنطيون لكسب ولاء البليميين لإنهاء هجومهم المتكرر على صعيد مصر وفي البحر الأحمر، وربما كسب مساندتهم في البحر الأحمر ضد الحميريين. ولكن لا أعتقد أن ذلك يعني اعطاءهم بعض المناطق على نهر النيل خاصة وأن مناطق طيبة كانت تتحكم في طرق تجارة النيل الوافدة من الجنوب كما تتحكم في الطريق التجاري الذي يربط البحر الأحمر بالنيل وكذلك طرق تجارة الصحراء الغربية.

[1] مصطفى مسعد، الاسلام والنوبة ص ٥٣.

لهذا لا أرى أن البيزنطيين يمكن أن يفرطوا في تلك المناطق أو بعضها. ونحن لا ندرى امتداد حدود الملوك البليميين في منطقة طيبة، هل كانت في صعيد مصر فقط أم تضمنت جزءاً من شمال السودان؟ فإن الملك باكتمن لقب نفسه بـ"أشهر الملوك" مما يوحي بامتداد حدود مملكته.

ومن الممكن أيضاً افتراض أن الملوك البليميين حكموا جزيرة تاري وغيرها من المناطق في إقليم طيبة قبل انهيار مملكتهم في الجنوب. فقد رأينا كيف كانت قوة البليميين حتى عجز الرومان ثم البيزنطيين عن صدهم، وأنهم سيطروا على إقليم طيبة بما فيها منطقة الجبلين. ويؤيد ذلك ما رجحه بوري من أن وثائق الجلين تتناول أحداث ما قبل القرن السادس الميلادي.

وتظل بقايا من السؤال هي: هل سقطت مملكة البليميين نهائياً أم كانت أو كان جزء منها قائماً إلى جانب أو تحت سلطة مملكة نوباديا؟

من المؤكد كما ورد في الوثائق أن مملكة النوباديين كانت لا تزال قائمة في المنطقة إلى جانب مملكة النوباديين و المقرة و علوة، بل ويفهم من مجرى الأحداث أنها اعتنقت المسيحية قبل مملكة علوة. ويستند هذا الرأي على نفس الوثيقة التي وضحت اعتناق مملكة علوى المسيحية . ووردت هذه الوثيقة في أغلب المراجع التي تناولت اعتناق ملك علوة المسيحية .

من المعروف أن مملكة النوباديين اعتنقت المسيحية على المذهب اليعقوبي بخلاف مملكة المقرة التي اعتنقته على المذهب الملكاني. وقد تنافس اتباع المذهبين على تنصير ملك علوة الذي فضل اتباع المذهب اليعقوبى . فأرسل رسله إلى ملك نوباديا يطلب منه إرسال القس لونجينوس ليتم ذلك على يديه. وقد روي يوحنا الأفسوسي تلك الأحداث ونرجع إليها هنا فيما ذكره وليمز بهذا الصدد.

دبر ملك المقرة الملكاني خطة لإعاقة وصول لونجينوس إلى مملكة علوة لأن طريقه إلى علوة يمر عبر أرضيهم. ولكي يتفادى الوفد هذا الخطر أتصل ملك النوباديين بملك البليميين لكي يساعد البعثة على الوصول لعلوة. وجاء في رسالة ملك

نوباتدا: "ولكن بسبب المكيدة الخبيثة التي دبرها ذلك الذي يقيم بيننا [ملك المقرة] فقد أرسلت أبي البار إلى ملك البليميين ليوصله إلى داخل البلاد"[1].

يدل هذا على أن مملكة البليميين كانت لا تزال قائمة، وأنها اعتنقت المسيحية ربما في نفس الوقت الذي تم فيه تنصير مملكة نوباديا بصورة شاملة، وأن البليميين اعتنقوا المسيحية على المذهب اليعقوبي قبل مملكة علوة. ويبقى السؤال أيضاً: اين كان مقر ملوك البليميين بعد هزيمة سلكو؟ وإلى أي مدى امتدت حدودهم أو سلطاتهم؟

[1] آدم وليامز، النوبة رواق افريقيا ص ٣٩٨.

الفصل السادس

سكان الصحراء غربي النيل

- السكان قبل دخول العرب شمال إفريقيا
- التمحو والجرمانت والقبائل الليبية/ المصرية
- السكان بعد دخول العرب شمال إفريقيا
- سكان منطقة كوار، الزغاوة، لواتة، سدراتة
- أزقار، بركامي، أهل بنتة، أهل نوبية

السكان قبل دخول العرب شمال إفريقيا

أطلقت المصادر اليونانية اسم "ليبيا" على كل المنطقة الصحراوية الواقعة بين نهر النيل و المحيط الأطلسي ، وأطلقت كذلك " صحراء ليبيا " اطلاقاً واسعاً شمال كل المناطق الصحراوية التي يحدها النيل شرقاً ، وتشمل كل الصحارى الواقعة غربي النيل داخل حدود السودان و مصر و الصحارى في دولة ليبيا و تشاد . وعندما تتحدث تلك المصادر عن القبائل الليبية قد تكون الإشارة إلى أية قبيلة في تلك الصحارى داخل الحدود الحالية للسودان أو مصر أو ليبيا أو تشاد. فالحديث عن سكان القدماء للصحراء الغربية هنا قد يشير إلى أي منطقة من تلك المناطق.

و أود قبل الشروع في الحديث عن الصحراء الليبية أو الصحراء الغربية للنيل الاشارة إلى نقطة هامة ينبغى على كل من يتناول تاريخ السودان ملاحظتها تلك هي دور الصحراء الهام والمؤثر على الأحداث في السودان منذ فجر تاريخه وحتى الوقت الحاضر. تمثل ذلك الدور في العلاقة الطبيعية بين المناطق الجافة والرطبة أو بين المناطق ذات الموارد المائية المتوفرة وتلك التي تعانى من شح أو عدم توفر المياه.

ويبدو دور العلاقة بين المناطق الصحراوية والمناطق التي تتمتع بوفرة المياه واضحا عندما ندرس تاريخ بلاد ما بين النهرين و سوريا أو الهلال الخصيب. فتاريخ تلك المنطقة تأثر بدرجة واضحة بالعلاقة بين هجرات الصحراء واستقرارها في الهلال الخصيب مثل ما هو معروف في التارخ بالهجرات السامية ، ولا يمكن دراسة تاريخ بلاد الهلال الخصيب بمعزل عن تلك الهجرات.

فالصحراء الكبرى الإفريقية أكبر من الصحراء العربية ، وما يمكن أن يخرج منها من هجرات إن لم يكن أكبر عدداً من ذلك الذي خرج من الصحراء العربية لا يكون أقل منه. والصحراء الكبرى أيضا محاطة بهلال خصيب وهو النيل شرقاً وشمال إفريقيا – الخصيب - المطل على البحر الأبيض شمالاً. فالصحراء الغربية – لا البحر الأحمر أو مصر - هي المؤثر الأكبر على تاريخ السودان في كل مراحله. ومن المستحيل دراسة وفهم تاريخ السودان فهماً مؤسساً إذا لم تكن الصحراء الغربية على رأس قائمة حساباتنا. وقد لاحظت المدارس الغربية ذلك منذ أواخر القرن الماضي وبدأت تركز أعمالها البحثية في تلك المناطق.

ولا بد لدارس تاريخ السودان في كل مراحله من التعرف على أوضاع سكان الصحراء غربي النيل الأبيض و نهر النيل أى سكان كردفان و دارفور والمناطق الواقعة إلى الغرب من أقصى شمال السودان. والشيء الذي أسعى إليه هنا هو محاولة التعرف على التركيبة السكانية في تلك المناطق قبل دخول العرب شمال إفريقيا لأن ذلك يساعدنا على رسم صورة لسكان المنطقة في القرون اللاحقة.

فنحن دائما عند الحديث عن تاريخ السودان بعد دخول الإسلام مصر في القرن السابع الميلادي نتناول التاريخ من جانب واحد وهو ما نسميه دخول واستقرار وتزاوج القبائل العربية الوافدة، ولا نعطى السكان المحليين إبان تلك الهجرات الانتباه المطلوب. مثلاً من هم سكان كردفان و دارفور قبل دول العرب مصر؟ وما هو دور سكان تلك المناطق على الأحداث بعد دخول العرب مصر؟ كيف كانت العلاقة بين سكان تلك المناطق وسكان النيل؟

العديد من مثل هذه الأسئلة تتطلب الإجابة، وما سنحاوله هنا هو التعرف السريع بقدر ما تسمح به المصادر المتاحة. وسنبدأ سريعاً بما دونته المصادر المصرية ثم نعرج على المصادر الكلاسيكية والمروية وأخيراً نتناول المصادر العربية.

ورغم أن هذه الأخيرة دونت بعد الفترة التى نحاول دراستها إلا أن شح المصادر يدعونا إلى النظر فيها وبخاصة ما كتب في القرون الهجرية المبكرة عن أوضاع المنطقة لأنه قد يعكس الأوضـــاع في القرون السابقة لكتابة تلك المصادر كما سنبين ذلك في موضعه.

وينبغي كذلك الإشارة إلى ما سبق أن أوضحناه بخصوص مناخ الصحراء الغربية، ونود هنا أن نذكر القارئ الكريم بأن المنطقة الواقعة ما بين جنوب ليبيا ومصر شمالاً وحتى تشاد و دارفور و كردفان جنوباً و النيل غرباً كان مناخها رطباً وتمتعت بقدر وافرة من المياه والحياة الحيوانية والنباتية، وتحرك السكان وتداخلوا بسهولة ويسر في كل نواحي هذه المنطقة.

ويعتبر ما دونه القائد المصري حرخوف في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد من أقدم المعلومات عن سكان الصحارى الغربية القريبة من النيل. وقد قام

حرخوف بعدة رحلات إلى الجنوب سلك في إحداها طريق الواحة الخارجة. ويرى عبد العزيز صالح أن ذلك الطريق يحتمل أن يكون الجزء الشمالي للطريق الذي عرف فيما بعد بدرب الأربعين والذي يصل بين منطقة دارفور و الواحة الخارجة . ووجد حرخوف نزاعاً بين قبائل يام التي تسكن جنوبي اسوان وبين قبائل التمحو الذين ينتشرون على الطريق جنوبى الواحات الغربية المصرية.[1]

التمِحو Temehu:

اتفقت الآراء أن التمحوا كانو يعيشون في المنطقة الصحراوية الواقعة الآن على الحدود المصرية السودانية[2] ولكن إلى أي مدى إمتدت حدودهم في هذه المنطقة؟ لا توجد معلومات دقيقة عن ذلك. فقد رأى بعض المؤرخين أن التمحو كانوا سكان المنطقة الممتدة من الواحة الخارجة شمالاً وحتى دارفور و كردفان جنوباً، وينتشرون بين النيل و الشلال الأول و الشلال الثاني حتى منطقة البوركو- شمال تشاد - غرباً.[3]

فالتمحو من أوائل القبائل الصحراوية التي أوردت المصادر صلاتها وارتباطها القديم بالنيل. ويبدو أن التمحو في الصحراء الغربية كانوا مثل الِجا في الصحراء الشرقية، فيخدمون كجنود في جيش الفراعنة منذ النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت هنالك فرق من النحسي (Nehesi) من مناطق إرتت و ويام و واوات ، وشارك الجنود التمحو الجيش المصري في صد غارات البدو على الحدود الشرقية.[4] كما كان التمحو من القبائل النشطة في تجارة الصحراء الغربية حتى اشتهرت بعض الأحجار الكريمة في مصر القديمة و كوش بحجر التمح.

ونسبة للصلة القوية بين التمحو وسكان النيل فقد أتى الربط بينهم وبين الجماعة التي كونت ثقافة المجموعة ج C Group نحو نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. إذ رجح بعض المؤرخين أن مؤسسي ثقافة المجموعة ج عبارة عن خليط من العناصر أتوا من

---

[1] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ١٤٩..

[2] Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 44.

[3] Mac Michael, *A history of the Arabs in the Sudan* Vol., p 16 – 17.

[4] Akrell, *A history of the Sudan* p 42.

مكان قريب من غربي النيل، ويبدو معقولاً ان يكونوا الفرع الجنوبي لقبائل التمحو. وقد ارتبطت آثار المجموعة ج بالنيل و الصحراء ، فأدواتهم الفخارية تشبه تلك التي استخدمها سكان منطقة الخرطوم.

كما وجدت أدوات المجموعة ج الفخارية في وادى هوار الذي يرجح أنه كان مقراً للفرع الجنوبي من التمحو. ومما يزيد ارتباط المجموعة ج بالصحراء هو أن بعض مراسم دفنهم قد ارتبطت بقرن الثور ومدى فاعليته في جلب اللبن للميت وهو نفس المفهوم والتقليد الذي ساد بين بعض قبائل الصحراء الغربية.

ورغم أن اسم التمحو لم يعد له ظهور في القرون اللاحقة وبخاصة في المصادر اليونانية، إلا أن بعض المؤرخين يرى أن سلالات التمحو لازالت آثارها موجودة في المنطقة ممثلة في التبو سكان منطقة تبستي الذين يشبهون التمحو. كما يُرجّح أن التاما الحاليون ربما كانوا أيضا سلالة التمحو لأن تزيين أدواتهم الفخارية يماثل تزيين أدوات المجموعة ج التي كان التمحو أحد مكونيها. ولذلك يرجح أن التمحو ربما استقروا في وقت ما على وادي هوار.[1]

وتسجل الآثار المصرية ازدياداً ملحوظاً في عدد السكان والثورات المتكررة ضد القلاع المصرية في المناطق النيلية الواقعة شمإلى الخرطوم منذ نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد. ويبدو أن جماعات مهاجرة من سكان الصحراء – التمحو – وجماعات من الجنوب قد استقرت في تلك الأوقات على النيل في المناطق الشمالية، وأصبحت سمة السواد واضحة على السكان. وتكون من ذلك الخليط الكوشيون الذين أسسوا حضارة كرمة.

ولم يذكر هيرودوت في منتصف الألف الأخير قبل الميلاد اسم التمحو عندما تعرض لقبائل الصحراء الليبية. وقد زار هيرودوت منطقة ليبيا الحالية حيث جمع معلوماته عن قبائل الصحراء. وبالطبع فإن قبائل التمحو لم تتقرض، وأغلب الظن أن التمحو كان الفرع القوي من القبائل الصحراوية قبل عصر هيرودوت ، وفي القرون التالية حلت فروع أخرى من قبائل الصحراء محل التمحو وتقدمت إلى مراكز القيادة

[1] Ibid. p 44 – 50.

فاشتهرت أسماؤها. وسنلاحظ ظهور واختفاء أسماء القبائل المتكرر في المصادر اليونانية والرومانية السابقة لدخول العرب إفريقيا.

الجرمانت:

ذكر هيرودوت أسماء خمسة قبائل أو جماعات في المنطقة الواقعة بين النيل ومنطقة فزان جنوب ليبيا الحالية، ويبدأ بأقربها إلى النيل وهم الأمونيين سكان الواحات ثم أوجيلي جنوب منطقة برقة الحالية ثم الجرمانت في منطقة فزان وإلى جانبهم اللوتوفاجي و الترُجلُدايت .

وقد زودنا هيرودوت بمعلومات قليلة عن الجرمانت والترُجلُدايت، فذكر أن الجرمانت يطاردون الترُجلُدايت علي ظهر عرباتهم التي تجرها الخيول. وأن الترُجلُدايت أسرع البشر عدواً، وأنهم يأكلون لحوم الثعابين والزواحف، وأصوات لغاتهم تختلف عن أصوات لغات البشر فهي مثل أصوات الوطاويط. وبالطبع هذا ما سمعه المؤرخ المشهور عندما زار منطقة برقة عن سكان الداخل.[1]

وأضاف هيرودوت أنه توجد ببلاد الجرمانت الثيران التي ترعى وهي تتحرك إلى الخلف. ويلاحظ أن قبائل المنطقة الواقعة بين جنوب ليبيا وتشاد حتى النيل شرقاً منذ العصور القديمة كانت ترعى البقر أي قبائل "بقّارة" إلى جانب الخيل والماشية. فالجمل لم ينتشر في الصحراء الكبرى إلا في العصر الروماني حيث أصبحت بعض القبائل "أبّالة" وحافظت القبائل الأخري على أنشطتها القديمة فظلت "بقارة". وحتى القبائل التي استقرت على النيل في شمال السودان كانت أيضاً بقارة.

وقد زودتنا المصادر إلى جانب الآثار التي تركها الجرمانت بنشاطهم التجاري الواسع من مملكتهم جرمة في فزان في داخل الصحراء الكبرى وشمالاً نحو سواحل البحر المتوسط وجنوباً نحو مناطق السافنا. ويقول ماكمايكل إن المعلومات التي ذكرتها المصادر الكلاسيكية وضحت أن الجرمانت كانوا يصلون في تجوالهم في الصحراء الكبرى حتى منطقة الخرطوم الحالية والمناطق الواقعة شمالها.[2]

---

[1] Herodotus, *the History of Herodotus* p 156.
[2] Mac Michael, *A history of the Arabs in the Sudan* Vol. 1, p 33

وقد اعتبر Keane التبو الحاليين في شمالي تشاد سلالة مباشرة من الجرمانت. كما يُعتبر القرعان فرعاً من التبو ويتحدثون لهجة التبو التي أطلق عليها (تبو/قرعان)[1]. وقد أدت صلة التبو بالجرمانت وصلة القرعان بالتبو إلى إرجاع أصل القرعان للجرمانت.[2]

وقد أشار الحسن الوزان (ليو الافريقي) في القرن السادس عشر الميلادي إلى صحراء بيوضة باعتبارها صحراء القرعان ، فقال عن مملكة النوبة: "تمتد مملكة النوبة على طول النيل متاخمة قفر القرعان جنوباً وأراضي مصر شمالاً."[3]

يوضح هذا أن القرعان حتى مطلع القرن السادس عشر كانوا يقطنون صحراء بيوضة التي كانت أمطارها - حتى ذلك الوقت – توفر وسائل الحياة. وأذكر أنه حتى عقود قليلة مضت كنا نلاحظ اخضرار أودية صحراء بيوضة في طريقنا بالعربات من أمدرمان إلى مناطق الشمال. ويؤكد ذلك ارتباط قبيلة القرعان منذ قرون عديدة قبل دخول الإسلام بالنيل من ناحية وبالصحراء الغربية من ناحية أخرى.

ولا يصدق ذلك على القرعان فقط بل على كل القبائل التي عاشت بين حدود ليبيا و تشاد و السودان. ولذلك ينبغي التركيز على دراسة قبائل هذه المناطق لأنها تساعد على التعرف على سكان المنطقة في العصور اللاحقة. أما عن صلة القرعان بقبيلة القرعان العربية في الأردن و شمال شبه الجزيرة العربية ، وعلاقة القرعان بالزغاوة وعلاقة الزغاوة بالتبو وغيرها من قبائل المنطقة فسوف نتناوله بالتفصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

[1] A. H. Keane, *Man past and present* Cambridge 1899. Cited by Mac Michael, *A history of the Arabs in the Sudan* Vol. 1, p 31.
[2] Mac Michael, *A history of the Arabs in the Sudan* Vol. 1, p ٥٤.
[3] وصف افريقيا للحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر ط ٢ دار الغرب الاسلامي ١٩٨٣ (كتب مذكراته في روما ١٥٢٦)

وقد تردد اسم الجرمانت فقط في المصادر الكلاسيكية حتى بداية العصر المسيحي. فقد أورد بلايني الذي جمع أخباره من القادة العسكريين الرومان الذين خدموا في المنطقة بعض التفاصيل عن السكان[1] فذكر:

- الأوجيلي Aujilae : وحدّد مواطنهم بين خليج سرت والأثيوبيين، وعلق بيتس أن بلايني ربما أراد المنطقة الواقعة بين خليج سرت و جبل العوينات . فالأثيوبيين هنا تشير إلى أن سكان هذه المناطق ينتمون إلى نفس سلالة المرويين المعروفين في تلك المصادر بالاثيوبيين.
- الجرمانت: وضعهم على خريطته إلى الجنوب الغربي من الأوجيلي وذكر أن عاصمتهم جَرَما
- الفزّانيين Phazanii في إقليم فزاني ووضعه إلى الشمال من الجرمانت، وذكر من مدنهم Alele و Gellaba و غدامس ، وموقع المدينة الأخيرة جنوب غربي مدينة طرابلس الحالية على الحدود الجنوبية بين ليبيا و تونس و الجزائر، وقد استمر نشاطها كمركز تجاري حتى العصر الحديث. ويلاحظ ذكر الفزانيين كمجموعة منفصلة إلى جانب الجرمانت مما يشير إلى تميزهم كمجموعة قبلية، لأن الفزانيين اعتبروا في العصور اللاحقة ممثلين أو ورثة الجرمانت
- الليبيون/المصريون وهو الاسم الذي أطلقته المصادر في ذلك الوقت على سكان الصحراء الغربية للنيل (مناطق الواحات المصرية) وهم المجموعة التي أطلق عليها هيرودوت اسم الأمونيين.
- الأثيوبيون البيض (كما أطلق عليهم) وضعهم إلى الجنوب من الليبيين/المصريين، ويقول بيتس أنه أراد بهم ليبيو النيل النوبي.

ويتضح من ذلك أن سكان المنطقة الواقعة بين جنوب ليبيا غرباً و الواحات المصرية وشمال السودان شرقاً كانوا يتكونون من الجرمانت والفزانيين والأوجيلي والليبيون/المصريون والاثيوبيين البيض. ولم يوضح بلينى امتداد هولاء السكان جنوباً، كما لم يذكر التُرجلُدايت الاثيوبيين الذين وضعهم هيرودوت بجانب الجرمانت.

[1] Cited by Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 57 – 59.

ويمكن أن نتصور امتداد الترجلودايت جنوباً نحو بحيرة تشاد ، وامتداد الجرمانت – كما جاء في المصادر الكلاسيكية – شرقا حتى منطقة النيل شمالي السودان.[1]

ويبقى التساؤل هل انحصرت مواقع الاثيوبيين البيض على النيل فقط أم كانوا يسكنون الصحراء الغربية في منطقة شمال دارفور وكردفان الحالية؟ ربما ساعد سترابو الذي زار منطقة اسوان عام ٢٤ق.م. على تسليط بعض الضوء على امتداد انتشار تلك القبائل حيث ذكر: "في أعالي مروي توجد الجزيرة Psebo الكبيرة والمأهولة بالسكان، ولما كان الليبيون يعيشون على شطها الغربي والمرويون على شطها الشرقي فهم دائمي النزاع على ملكيتها وملكية شواطئ النيل."[2]

ويبدو معقولاً أن تكون الجزيرة الكبيرة والمأهولة بالسكان التي تقع في أعالي (جنوب) مروي قصد بها مناطق شرقي النيل وربما بالتحديد منطقة الجزيرة الحالية. وبالتالي فإن القبائل الصحراوية كانت تقطن المنطقة الواقعة غربي النيل، وكانت أحياناً تنازع المرويين في مناطق الجزيرة شرقي النيل الأبيض. وربما أيد ذلك ما ذهب عليه بعض المؤرخين أن القبائل النوباوية التي بدأت غاراتها على مملكة مروي منذ ذلك الوقت قد أتت من منطقتي كردفان و دارفور.

وفي القرن الثاني الميلادي وضع بطلميوس[3] الليبيون/المصريون في نفس موضعهم عند بليني ولم يورد معلومات عن باقي سكان الصحراء.(أنظر بيتس ويبدو أن الأوضاع قد بدأت في التغير في الصحراء الكبرى منذ القرن الثاني الميلاي الذي شهد دخول الجمل في الصحراء. وأدى ذلك إلى تحولات وتحركات كبرى في الصحراء أدت إلى إعادة توزيع القبائل في المنطقة. وقد حاول أوريك بيتس من خلال المصادر المتوفره له

[1] Mac Michael, *A history of the Arabs in the Sudan* Vol. 1, p 33.
[2] Cited by Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 49.

[3] أشار صلاح الدين عثمان هاشم في ترجمته للكتاب القيم آسيا الوسطى إلى الخطأ الشائع في نطق هذا الاسم "بطليموس" إذ الصحيح بطلميوس لأن أصل الاسم Ptolemy باللام قبل الميم. وبهذه المناسبة فإن الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم يحتاج منا إلى وأعماله

قبيل الفتح العربي لمصر - أي في العصر البيزنطي - رسم خريطة للقبائل ما بين مصر وليبيا الحالية فوضع الليبيون/المصريون في نفس موضعهم في الواحات المصرية .[1]

ولكن ظهرت قبيلة أو جماعات جديدة تحت اسم الأمازيغ Mazices في المنطقة الواقعة بين جنوب برقة إلى الواحات المصرية حلت محل الليبيين/المصريين. ووضع بيتس قبيلة Leuathae - لواتة في المصادر العربية اللاحقة - على خليج سرت، والجرمانت في نفس موضعهم.[2]

وهكذا يمكن تصور خريطة السكان الذين استقروا وتجولوا في منطقة الصحراء الغربية ما بين الواحات المصرية وجنوب ليبيا شمالاً حتى كردفان و بحيرة تشاد جنوباً من خلال المصادر الكلاسيكية في آخر العصر الروماني أو قبيل الفتح العربي لمصر كالآتي: الجرمانت والفزانيين والأمازيغ والليبيين/المصريين والتُرجلُدايت الاثيوبيين.

وينبغي علينا التوقف قليلاً مع مجموعتي الليبيين/المصريين والأمازيغ لألقاء القليل من الضوء عنهما سعياً وراء محاولة التعرف على الوضع السكاني في ذلك الوقت.

القبائل الليبية/ المصرية والأمازيغ:

أطلقت المصادر القديمة على سكان الواحات المصرية والمناطق الواقعة جنوبيها إسم التمحو، وورد اسمهم في الآثار المصرية مقترناً بقبائل اليام والإرتت وجعل بعض الباحثين امتداد مناطق استقرارهم إلى ما بين الشلالين الأول والثاني.[3] وقد رأينا فيما سبق أن بعض الباحثين جعل مناطق انتشار التمحو جنوباً حتى غربي النيل الأبيض ودارفور.

كما ارتبط التمحو بمؤسسي ثقافة المجموعة الثالثة C group وربما لازالت بقاياهم متواجدة في مناطق الجنوب ممثلة في التبو والتاما. غير أن اسم التمحو اختفى في

[1] Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 61 – 67.
[2] Ibid. p 76.
[3] Mac Michael, *A history of the Arabs in the Sudan* Vol. 1, p 16.

المصادر الكلاسيكية وحل محله منذ القرن الثالث قبل الميلاد أسماء قبائل أخرى مثل النوبا والنوباد والليبين/المصريين.

وقد رأينا في الفصل الرابع كيف أن المصادر الكلاسيكية منذ القرن الثالث قبل الميلاد قد أطلقت اسم النوبا على القبائل المنتشرة في الصحراء بين الواحات شمالاً ودرافور جنوبا وأنهم كانوا خارجين عن طاعة مروي منذ ذلك الوقت، وفي القرن الثاني الميلادي قبائل النوبا كانت في صراع مع مملكة مروي حول مناطق غربي النيل الأبيض .

وذكر المؤرخ بروكوبيوس الذي كتب في القرن السادس الميلادي أن الامبراطور دقلديانوس Diocletian استقدم جزءاً من أولئك النوبا من موطنهم في الواحات - أو من شمال كردفان و دارفور على رأي آخر - في نهاية القرن الثالث الميلادي كي تستقر جنوبي أسوان وهم المجموعة التي عرفت بالنوبادي Nobatae والتي أسست مملكة نوباديا المسيحية في منتصف القرن السادس الميلادي.

وإلى جانب النوبا والنوباديين ظهر في المصادر الكلاسيكية في آخر العصر الروماني اسمي الليبيين/المصريين والأمازيغ. ومن الواضح أن الليبيين/المصريين عند بلايني في القرن الأول الميلادي و بطلميوس في القرن الثاني الميلادي يسكنون مناطق الواحات وهي المنطقة التي ذكر المؤرخ بروكوبيس أن النوباديين أتوا منها في نهاية القرن الثالث الميلادي. وبناءً على ذلك فإن النوباديين هم الليبيون/المصريون أو فرع منهم. ويقول ماكمايكل إن قبائل النوبادي تمكنت في العصر الروماني من تكوين حلف قوي من قبائل الصحراء في العصر الروماني.[1]

والاسم الجديد الذي ظهرمنذ نهاية القرن الرابع الميلادي في المنطقة الواقعة ما بين جنوب خليج سرت في ليبيا وحتى الواحات غرباً هو الأمازيغ. ويبدو من مجال انتشارهم الواسع وتحركاتهم أنهم كانوا يستخدمون الجمال. فقد أغاروا في نهاية القرن الرابع على مدن ساحل خليج سرت ، وفي مطلع القرن الخامس الميلادي وصل امتدادهم حتى المنطقة الواقعة بين الواحات و النيل ،[2] وكانوا على طريق انسحاب البليميين بعد

---

[1] Ibid. Vol. 1 p 25.

[2] Oric Bates, *The Eastern Libyans* p ٢٣٧ ;

غارتهم على الواحة الخارجة وأسرهم للراهب نسطورس، فقد أطلق البليميون سراحه بعد تدخل الأمازيغ.[1]

وفي عام ٤٣٦ م أغار الأمازيغ على الواحة الخارجة. وذكر بيتس نقلاً عن المصادر القبطية أن البليميين والأمازيغ أغاروا بين عامي ٥١٨ و ٥٢٧ م على الواحة الخارجة .[2] ويدل كل ذلك أن قبيلة الأمازيغ أو تجمع قبائل الأمازيغ كان قوياً ومنتشراً على طول المنطقة الواقعة ما بين جنوب ليبيا و شمال السودان ، وأنهم كانوا على علاقات طيبة مع البليميين.

وبناءً علي ذلك فإن سكان الصحراء الغربية حتى القرن السابع الميلادي الذي شهد نهاية الحكم البيزنطي في شمال إفريقيا وبداية دخول العرب وانتشار الإسلام هم: ١. الأمازيغ ٢. النوبا ٣. الجرمانت ٤. الفزانيين. انتشر الفزانيون و الجرمانت في الجزء الغربي من الصحراء وهو الجزء الواقع من فزان الحالية نحو الجنوب وشاركهم الأمازيغ في تلك المنطقة، كما انتشر الأمازيغ مع النوبا في الجزء الشرقي من الصحرء القريب من نهر النيل.

---

[1] مصطفى محمد مسعد، الاسلام والموبة ص٣٥.

[2] Oric Bates, *The Eastern Libyans* p 238.

السكان قبل دخول العرب شمال إفريقيا

المصادر التي ينبغي التعويل عليها بعد القرن السابع الميلادي عن سكان هذه المنطقة هي المصادر الأثرية والكتابات العربية المبكرة إلى جانب التراث الشفاهي. فالرحالة الأوربيون بدأوا ارتياد هذه المناطق في أوقات لاحقة ترجع كلها إلى ما بعد القرن الخامس عشر الميلادي أي بعد نحو ثمانية قرون من الفترة التي نحاول التعرف على سكانها. ومن المعروف أن أعمال التنقيب الآثارية فقيرة جداً في هذه المناطق وإلى أن يتم تنشيط هذا المصدر الهام فأمامنا المصادر العربية المبكرة والروايات الشفاهية فقط.

ورغم أن الكتابات العربية تمثل المصدر الأساس عن سكان المنطقة الواقعة بين فزان و شمال السودان في العصور المبكرة لدخول العرب شمال إفريقيا إلا أن هنالك بعض الصعوبات التي تواجه البحث، فالمادة الواردة في تلك المصار المبكرة قليلة جداً ومختصرة لدرجة لا تساعد على رسم صورة واضحة لسكان المنطقة.

ومن جانب آخر فإن الأسماء القديمة للقبائل التي ظهرت في المصادر اليونانية والرومانية والتي كتب بعضها قبل قرن واحد من دخول العرب شمال إفريقيا قد اختفت – ما عدا القليل منها – في المصادر العربية وظهرت أسماء جديدة لم ترد المصادر القديمة، ولذلك فليس من السهل الربط بين أسماء القبائل التي وردت في المصادر العربية وبين أسماء القبائل القديمة.

هذا إلى جانب أن ما ذكر في المصادر العربية المبكرة عن تلك القبائل يعود أغلبه إلى ما بعد القرن الرابع الهجري (١٠ م) أي بعد نحو ثلاثة قرون من دخول العرب في شمال إفريقيا. ولذلك قد لا تعكس تلك الكتابات المبكرة الوضع الذي كان عليه السكان في القرن الأول والثاني الهجريين - السابع و الثامن الميلاديين - لاحتمال حدوث بعض التحركات إبان حروب المسلمين واستقرارهم في المنطقة. ولذلك سنحاول بقدر الإمكان البحث عن النصوص التي توضح أوضاع سكان المنطقة في المراحل المبكرة من دخول العرب.

وقد يساعدنا على ذلك أن أوضاع المسلمين كانت أكثر استقراراً في هذه المنطقة منذ عصر عمرو بن العاص بالمقارنة إلى باقي أنحاء المغرب الأخرى غربي طرابلس حيث

كانت الحروب دائره فيه حتى الربع الثالث من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي). والمعلومات المبكرة في المصادر العربية جاءت عن المقرة في شمال السودان و زويلة في جنوبي ليبيا وعن منطقة كوار شمال تشاد وعن فزان و جَرَمة.

وسنحاول تتبع ما ورد في المصادر العربية عن سكان هذه المناطق. وقد ذكر مارتن[1] أن بعض السلالات الخليطة مثل التبو والزغاوة والكانوري كانت موجودة كمجموعات سياسية متماسكة في مستهل القرن الثامن الميلادي. ويقودنا هذا إلى البحث أيضاً عن معلومات مبكرة عن هذه المجموعات في المصدادر العربية باعتبار أنها كانت موجودة بأسمائها في ذلك الوقت.

ولعل أول المعلومات عن المنطقة أتت في أخبار الفتوح، فعن مملكة المقرة في شمالي السودان تناولت كتب الفتوح الحروب المبكرة التي استمرت نحو عشر سنوات في المنطقة المجاورة لأسوان والتي انتهت بتوقيع صلح بين الطرفين عام ٣١هـ وهو ما عرف عند المؤرخين في أوقات لاحقة بمعاهدة البقط.

أنهى ذلك الصلح الحرب بين الطرفين، وظلت العلاقة تتردد ما بين الحرب والسلام في القرون اللاحقة، لكنّ ما ورد في المصادر العربية عن تلك العلاقات لم يتطرق لسكان المناطق الغربية لمملكة المقرة. وبالتالى فالمعلومات عن تلك الصحارى غربي النيل تكاد تكون معدومة إلا القليل من المعلومات التي جاءت في المصادر الجغرافية.

وجاءت معلومات مبكرة عن زويلة و كوار و فزان و جرمة في النصف الأول من القرن السابع الميلادي. فبعد فتح مصر كانت خطة المسلمين التوسع غرباً ليس على الساحل فقط كما فعل الرومان من قبل بل والتوسع في الداخل أيضا نحو المناطق الصحراوية. ولذلك عندما فتح عمرو بن العاص برقة توغل القائد عقبة بن نافع جنوبي ليبيا حتي بلغ مدينة زويلة شرقي جرمة عاصمة الجرمانت، وأخضع تلك المنطق الداخلية، فأصبح ما بين زويلة و برقة تابعا لحدود المسلمين في مصر وأصبحت زويلة مقر الولاة قبل أن تؤسس القيروان بعد نحو عقدين من الزمان، ثم صارت زويلة قاعدة لبلاد فزان.[2]

[1] B. G. Martin, “ Kanemm Bornu and Fezzan, notes on the political History of a Trade Route” *Journalof African History* Vol. X, No. 1, 1969, p10.

[2] أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر مصر ١٣٢٥ ج١ ص١٨٧.

وقد شغلت الحروب الداخلية والمشاكل التي تعرضت لها الدولة الإسلامية في آخر عصر الراشدين المسلمين عن الاهتمام بالمنطقة، حتى عاد عقبة مرة أخرى إليها عام ٤٦ هـ/ ٦٦٦ م - كما ذكر ابن عبدالحكم[1] المتوفى عام ٢٥٧ هـ - فأعاد إخضاع فزان ثم دخل جرمة وتخطاها جنوباً في الصحراء مسيرة خمس عشرة ليلة حتى بلغ إقليم كوار واستولى على عاصمته خاوَر وبعض المراكز الأخرى في الإقليم. ويقول ياقت أن عقبة افتتح اقليم كوار عن آخره.[2]

ورغم أن مدينة زويلة لم يرد ذكرها في المصادر السابقة للإسلام إلا أنها كانت مدينة مشهورة عندما دخل المسلمون شمال إفريقيا. ويرى الباحثون أن زويلة قد تأسست كمركز تجاري في مملكة الجرمانت منذ القرن الرابع الميلادي. وقد بدأت بعد دخول الإسلام تحل محل العاصمة القديمة جرمة حيث أصبحت - كما ذكرت المصادر - أول مركزاً اداريأً وتجارياً في الصحراء.[3]

سكان منطقة كَوار:

وإلى جانب زويلة و جرمة جاء ذكر إقليم كَوار أو كاوَر وعاصمته خاور. وقد حدد ياقوت الحموي موقع كوار بأنها من بلاد السودان جنوبي فزان واقليم الواحات.[4] ويبدو مما ذكره الادريسي و ابن سعيد [5] أن إقليم كوار يمتد جنوباً حتي مناطق الكانم شمإلى بحيرة تشاد، و يطلق الآن اسم كوار على واحة بلما شرقى تشاد.

ولم تورد المصادر المبكرة ألى أي مدى امتدت حدود إقليم كوار غير أنها ذكرت أن عقبة افتتح إقليم كوار عن آخره. والمصادر التي كتبت بعد ابن عبد الحكم ذكرت أن عاصمة مملكة كوار هي مدينة كوار التي وردت عند ابن الحكم خاور،

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر طبعة لجنة البيان ١٩٦١ ص ٢٦٣- ٢٦٤.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٤ ص ١. موقع الوراق.

[3] محمد سليمان أيوب، "جرمة في عصر ازدهارها" بحث قدم للمؤتمر التاريخي بجامعة ليبيا نشر في كتاب: ليبيا في التاريخ، طرابلس: ١٩٦٨ ص ١٨٥.

[4] ياقوت، معجم البلدان ج ١ ص ٣٤ وج ٤ ص ١.

[5] الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج ١ ص ٣٤ موقع الوراق و ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ج ١ ص ١٠ موقع الوراق.

وهو قريب جداً من نطق كاور. وقد اشتهرت كثير من ممالك الصحراء وجنوبيها بأسماء عواصمها مثل مملكة جرمة وعاصمتها جرمة و مملكة غانة وعاصمتها غانة . والإشارة إلى العاصمة كاو أو خاور التي دخلها عقبة بن نافع توضح وجود مملكة أخرى إلى جانب مملكة جرمة قبل دخول العرب.

فالمنطقة الوقعة بين فزان شمالاً وبحيرة تشاد جنوباً كانت تعيش تحت نظامين سياسيين – مملكة جرمة ومملكة كوار - ساهما في النشاط التجاري عبر الصحراء قبل دخول العرب إلى تلك المناطق. فكان لمملكتي جرمة وكوار نشاط تجاري كبير، ويرجح محمد سليمان أيوب أن الطريق الذي سلكه عقبة إلى منطقة كوار هو نفس طريق قوافل الجرمانتيين الذي سلكته الحملة الرومانية عبر الصحراء في القرن الأول الميلادي.[1] وقد عرفت هذه المنطقه في العصور الإسلامية بأرض كوار .

ورغم أن بعض الجغرافيين المشهورين زار مصر وشمال إفريقيا مثل اليعقوبي في آخر القرن الثالث الهجري (٩ م) و المسعودي و ابن حوقل في منتصف القرن الرابع الهجري (١٠ م) إلى جانب البكري الجغرافي الأندلسي الذي ألف كتابه نحو منتصف القرن الخامس الهجري (١١ م) والذي استفاد من صلاته بتجار غرب افرقيا ، إلا أن معلوماتهم عن المنطقة الواقعة بين جنوب فزان و كوار و بحيرة تشاد وامتدادها شرقا حتى نهر النيل جاءت مقتضبة ولاتساعد كثيراً على التعرف على سكانها.

والمعلومات الأكثر تفصيلاً ودقة جاءت في القرن السادس الهجري (١٢ م). عن طريق الجغرافى المشهور الإدريسي المتوفى عام ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م). ألف الادريسي كتابه نزهة المشتاق في صقلية تحت ضيافة ملكها روجرز بعد نهاية حكم المسلمين للجزيرة. ورغم أن الإدريسي لم يزر غرب إفريقيا إلا أنه جمع معلوماته من التجار الذين تجولوا في المنطقة[2]. والمؤلف الآخر هو الجغرافي والمؤرخ الأندلسي المشور ابن سعيد المتوفى في الربع الأخير من القرن السابع الهجري (١٣ م).

---

[1] محمد سليمان أيوب، ليبيا في التاريخ بنغازي: كلية الآداب ، جامعة ليبيا ١٩٦٨، ص ١٨٤.

[2] ألف الادريسي كتابا آخر في غاية الأهمية وهو "أنس المهج وروض الفرج" ألفه بطلب من الملك روجرز الذي كان يتحدث العربية. وهو عبارة عن مختصر للمسالك والممالك مع خرائط توضيحية لكل أجزاء الأقاليم. وقد

ورغم أن ابن سعيد عاش في القرن السابع ولم يزر منطقة غرب إفريقيا إلا أنه اعتمد في معلوماته على جغرافي سابق لوقته يسمى ابن فاطمة ، ويرجح الباحثون أن ابن فاطمة كتب في القرن السادس الهجري (١٢ م)، ومعلوماته تمثل أغزر وأصدق ما وصل إلينا عن المنطقة موضوع الدراسة.

فقد تجول ابن فاطمة في غرب إفريقيا ويبدو أنه وصل حتى بحيرة تشاد لأنه ذكر أثناء وصفه لها "ولم أر من رأى جانبها ليقصد جانبها الجنوبي! وإنما وصفها الكانميون وجيرانهم ممن لقيناه بالجانب الشمالي"[1] ولذلك يمثل القرن السادس الفترة التي زودتنا بها الجغرافيا العربية بمعلومات أكثر تفصيلاً عن تلك المنطقة.

هل يمكن استخدام المعومات التي ذكرت في القرن السادس الميلادي لتعطينا تصوراً عن سكان المنطقة إبان دخول الإسلام؟ أعتقد أنه من الممكن استخدام تلك المعلومات. أولاً: لأننا لا نملك غيرها، وثانياً: لأنه - فيما يبدو من تتبع تلك المادة- لم تحدث تحركات سكانية كبيرة في هذه المنطقة حتى ذلك الوقت، ولأن التحركات السكانية في المنطقة حدثت بصورة أساسية بعد دخول القبائل العربية. ويمكن تتبع دخول وتحركات القبائل في شمال إفريقيا من خلال اربع مراحل.

المرحلة الأولى مرحلة الفتوحات في القرن السابع الميلادي، ولم تشهد هذه المنطقة ضغوط قبائل عربية في تلك الفترة كما حدث في مناطق تونس و الجزائر و المغرب . فهذه المناطق الأخيرة شهدت حروباً متكررة بين المسلمين وقبائل البربر وما تلاها من هجرات عربية إلى الأندلس منذ نهاية القرن الأول الهجري. أما منطقة فزان و زيلة فقد حدث فيها استقرار مبكر للمسلين كتجار، وقد ذكرت مصادر القرن الثالث الهجري نشاط كل من زويلة و كوار التجاري واستقرار التجار من خرسان و البصرة والكوفة في المنطقة.[2]

=رسم الادريسي أيضا كرة أرضية كان لها كبير الأثر في الكشوفات الجغرافية التى قام بها الأوربيون فيما وراء البحار.

[1] ابن سعيد كتاب الجغرافيا ج ١ ص ١٠.

[2] اليعقوبي، كتاب البلدان ج ١ ص ٤٤.

والتحرك الثاني للقبائل العربية حدث في مصر عهد الخليفة العباسي المعتصم عندما أوقف دفع العطاء في القرن الثالث الهجري، فقد اضطرت الكثير من القبائل العربية للنزوح إلى الأرياف، وقد تأثرت مصر وشرقي ليبيا فقط بذلك. ولم يرد في المصادر تحرك قبائل عربية إلى مناطق الصحراء غربي النيل .

والتحرك الثالث والكبير هو ما عرف بهجرة القبائل العربية إلى الغرب (بنو هلال و بنو سليم) في القرن الخامس الهجري (١١م) في العصر الفاطمي، وقد تأثرت كل المنطقة الواقعة غربي مصر بتلك التحركات.

ورغم التزحزح السكاني الذي نتج عن كل تلك الهجرات سواء تحركات القبائل المحلية جنوباً أو دخول بعض القبائل العربية مناطق الصحراء إلاّ أنه من خلال وصف المصادر العربية المبكرة للسكان في منطقتي فزان و كوار فيبدو أن هذه المناطق – كما سيتضح لنا - لم تتأثر بتلك التحركات.

والتحرك الرابع للقبائل العربية حدث بعد قيام دولة المماليك في مصر في منتصف القرن السابع الهجري (١٣م) وما أعقب ذلك من تحرك القبائل العربية من مصر غرباً وجنوباً. وقد تأثرت سكان المناطق الواقعة إلى الغرب من النيل بتلك التحركات، لكنها تأتي بعد الفترة التي نحن بصدد الاستشهاد بها وهي ما قبل القرن السادس الهجري (١٢م).

ولذلك فاعتقد أن المعلومات التي وصلتنا عن طريق مؤلفي القرن السادس الهجري يمكن أن تساعدنا على التعرف على سكان المناطق الواقعة غربي النيل في القرون السابقة، لأن هذه المنطقة لم تشهد تحركات سكانية كبيرة حتى القرن السادس الهجري.

وسوف يقتصر حديثنا عن السكان هنا على سرد وصفي محاولين ربط ما وجد من أجزاء المادة التي وردت عند الادريسي و ابن سعيد فيما يتعلق بتصنيف السكان لمحاولة التعرف على الخريطة السكانية للمنطقة في تلك الفترة. ويلاحظ أن سكان المنطقتين الواقعتين على طرفي الصحراء الكبرى الشمإلى والجنوبي كانو مستقرين في مراكز العمران كما في زويلة و جرمة و مدينة كوار في الشمال وفي جيمي و منان وجاجة من مدن الكانم في الجنوب.

أما في داخل الصحراء فالسكان بصورة عامة بدو متجولون، إلى جانب بعض مناطق الاستقرار على الواحات وبعض المدن التي قامت على الأودية كالوادي الذي يشق بلاد كوار. وقد وصف الإدريسي[1] المدن الخمس التي تقع عليه وسكان تلك المدن بادئاً من الشمال إلى الجنوب فقال:

"بلاد كوار يحويها وادٍ يأتي من جهة الجنوب ماراً إلى الشمال لا ماء به، إلا أن الماء إذا حفر عليه وجد به معيناً بهيراً. وعلى هذا الوادي من البلاد مدينة صغيرة تسمى مدينة القصبة وهي مدينة حسنة البناء ويحيط بها من جميع جوانبها نخل وأنواع من الشجر البري وأهلها متحضرون يلبسون الفوط والأزر والقناديل المتخذة من الصوف وأهلها مياسير وتجوالهم وسفرهم إلى سائر البلاد."

"ومن هذه المدينة إلى مدينة أخرى تليها في جهة الجنوب يومان واسمها قصر أم عيسى وليست بالمدينة الكبيرة لكن أهلها مياسير ولهم إبل يسافرون بها شرقاً وغرباً وأكبر بضاعتهم الشب وهو رأس أموالهم. ومنها إلى مدينة انكلاس أربعون ميلاً في بطن الوادي وهي مدينة من أكبر بلاد كوار قطراً وأكثرها تجارةً وعندهم معادن الشب الخالص المتناهي في الطيب ويوجد في أجبلها كثيراً لكنه يتفاضل في الجودة والطيب. وأهل هذه المدينة يتجولون حتى ينتهوا في جهة المشرق بلاد مصر ويتصرفون في جهة المغرب فيصلون بلاد وارقلان وسائر أرض المغرب الأقصى. وأهلها يلبسون المقندرات من الصوف ويربطون على رؤوسهم كرازي الصوف ويتلثمون بفواضلها ويسترون أفواههم وهي عادة من عوائدهم توارثها الأبناء عن الأباء لم ينتقلوا عنها ولا تحولوا منها."

"ومن مدينة انكلاس إلى مدينة صغيرة تسمى ابزر مسافة يومين و ابزر هذه على تل تراب وحولها نخيل ومياهها عذبة وبالقرب من هذه المدينة معدن شب فائق الجودة لكنه يتجرف كثير الرخاوة ولباس أهل هذه المدينة الفوط ومآزر الصوف وهم يتجرون بالشب. ومن ابزر إلى مدينة تلملة يوم وهي أيضاً مدينة صغيرة ومياهها قليلة ونخلها أيضاً قليل وتمرها طيب جليل وبها معدن شب قليل الفائدة لأن معدنه يخالطه عروق

[1] الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج ١ ص ٣٥.

تراب كثيرة وإنما يخلط بغيره ويباع من التجار." وفي مكانٍ آخر قال الإدريسي إن مدينة تلملة " جامعة فيها بشر كثير ولا سورلها ... يسافرون إلى جميع الجهات"[1]

ذكر الادريسي بلاد كوار من ضمن بلاد السودن، أي بلاد السكان سود البشرة. يقول ابن سعيد عن سكان مدينة قصر أم عيسى "قد تخلقوا بأخلاق البيض في لبس الصوف والقطن والبرد."[2] وأورد ياقوت دون الإشارة لمصدره أن "كاوَار: ناحية واسعة في جنوبي فزَّان خلف الواح بها مدن كثيرة منها قصر أم عيسى ، و أبو البلماء ، و البلاس ، وأكبر مدنه أبو البلماء ، وألوان أهلها صفر يلبسون ثياب الصوف، وفي بلادهم أسواق، ومياه جارية، ونخل كثير، ولهم سلطان في طاعة ملك الزغاوة."[3]

فمدينة البلاس عند ياقوت ربما كانت هي أنكلاس ، أما أبو البلما فهي إما مدينة أخرى أو اسم آخر لأحدى مدن الادريسي. وما قد وصف ابن سعيد ألوان سكان كوار بأنها "صفر"، وهذه إشارة واضحة بأن السكان الذين تحدثت عنهم المصادر العربية تحت اسم السودان - أي السود – يوجد منهم ذوي اللون الأسمر أو الأصفر كما عبر ابن سعيد .

فإشارة ابن سعيد هنا غير مقصود بها البربر بل قصد بها السكان "السودان" ذوي الألوان الصفر. لأنه ورد صراحة في المصادر أن أهل كوار "سودان". قال ابن سعيد عنهم على سبيل المثال: "وهم سودان ... وكثيراً ما تقع الفتن بين سكان كوار وبرابر الصحراء"[4]

الزغاوة:

وإلى الجنوب والشرق من كوار تقع مجالات الكانم، فديارهم تمتد من بحيرة تشاد جنوباً متوغلة في الصحراء، وقد تراوحت حدود كانم الشمالية على حسب قوتها

---

[1] نفس المصدر ج ١ ص ٥.

[2] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ٢١.

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٢.

[4] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ٢١.

وقوة الدول التي قامت في شمال إفريقيا. لكن حدودها كانت بصورة شبه دائمة في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها ممتدةً حتى النهايات الشمالية للصحراء الكبرى.

وقد ذكر ابن سعيد عند الحديث عن غدامس – على الحدود الليبية التونسية الجزائرية- وودان إلى الشرق من غدامس وبلاد فزان أن "الجميع الآن في طاعة ملك الكانم"[1] فسكان بلاد الكانم كانوا سودان وبربر. وقد وصفهم فيما بعد القلقشندي بأنهم "مسلمون الغالب على ألوانهم السواد ... وأتباعهم من البرابرة الذين أسلموا ... عسكرهم يتلثمون."[2]

وإلى الشرق من بلاد كانم وهي المنطقة الواقعة الآن على الحدود السودانية التشادية أي دارفور ومايجاورها مجالات الزغاوة والتاجويين. وصنفت المصادر الإسلامية المبكرة الزغاوة بأنهم من السودان مثل النوبة و البجة و الكانم أبناء كوش بن كنان بن حام بن نوح.[3]

وقد ورد عند كل من الإدريسي و ابن خلدون رواية يفهم منها أن مواطن الزغاوة كانت في أقصى الجزء الغربي من الصحراء الكبرى في أرض قمنورية على المحيط الأطلسى والتي كان يسكنها قوم يقول ذكر الإدريسي أن "التجار يدعون أنهم يهود وفي معتقدهم تشويش"[4] ويضيف الإدريسي على نفس الصفحة أنه:

"وكانت في القديم من الزمان السالف لأهل قمنورية مدينتان عامرتان ... لكن أهل زغاوة وأهل لمتونة الصحراء الساكنون من جهتي هذه الأرض طلبوا هذه الأرض أعني أرض قمنورية حتى أفنوا أكثر أهلها وقطعوا دابرهم وبددوا شملهم على البلاد ... فأفنتهم الأيام وتوالت عليهم الفتن والغارات من جميع الجهات فقلوا في تلك الأرض وفروا عنها واعتصموا في الجبال وتفرقوا في الصحارى ودخلوا في ذمة من جاورهم وتستروا في أكنافهم".

---

[1] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ٢٨.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى ج ١ص١٠ وج٢ ص ٣١٥ وج٣ ص٢٦٨ موقع الوراق.

[3] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨.

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٣٢.

ويورد ابن خلدون أثناء حديثه عن بلاد السودان أن " أرض قنورية وبعدها في جهة الشرق أعإلى أرض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان"[1] ويتضح من النصين أن مواطن الزغاوة كانت بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي ولكن يفهم من نص الادريسي أن ذلك كان كما عبر " في القديم من الزمان السالف"

وبالطبع فإنه يصعب تحديد ذلك الزمان السالف، ولكن ما نقلته المصادر العربية يوضح أن مواطن الزغاوة منذ بداية العصور الإسلامية كانت المنطقة الواقعة إلى الشرق من كانم. فابن خلدون نفسه ذكر أن "الزغاوة مجاورون للنوبة"[2] وأعتقد أنه لم يشعر بأي تضارب بين روايتيه لأن الرواية الأولى ترجع إلى عصور سالفة.

وذكر المسعودي أن "مملكة الزغاوة واسعة كبيرة، منها على النيل مما يحاذي النوبة، ويحاربون النوبة."[3] ونقل ياقوت الحموي عن المهلبي[4] (ت٣٨٠هـ) نصاً طويلا عن الزغاوة يعتبر من أقدم وأوفى ما كتب عنهم ورأيت أن اثبت النص بكامله. يقول ياقوت :

وقال المهلبي: ولزغاوة مدينتان: يقال لإحداهما مانان وللأخرى ترازكي وهما في الإقليم الأول وعرضهما إحدى وعشرون درجة. قال ومملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حد المشرق منها مملكة النوبة الذين بأعلى صعيد مصر بينهم مسيرة عشرة أيام. وهم أمم كثيرة وطول بلادهم خمس عشرة مرحلة في مثلها في عمارة متصلة. وبيوتهم جصوص كلها وكذلك قصر ملكهم وهم يعظمونه ويعبدونه من دون الله تعالى ويتوهمون أنه لا يأكل الطعام، ولطعامه قَوَمَة عليه سراً يدخلونه إلى بيوته لا يعلم من أين يجيئونه به فإن اتفق لاحد من الرعية أن يلقى الابل التي عليها زاوُر قتل لوقته في موضعه. وهو يشرب الشراب بحضرة خاصة أصحابه، وشرابه يعمل من الذُرَة

[1] ابن خلدون، العبرج ١ ص ٥٧.

[2] نفس المصدر ج ٦ ص ١٩٩.

[3] المسعودي، أخبار الزمان ج ١ ص ٨٩

[4] الحسن بن أحمد المهلبي عاش بمصر حيث ألف كتابه "المسالك والممالك" وأهداه للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، ولكن الكتاب الآن مفقود.

مقوى بالعسل. وزيه لبس سراويلات من صوف رقيق والتشلاح عليها بالثياب الرفيعة من الصوف الإسماط والخز السوسي والديباج الرفيع. ويده مطلقة في رعاياه ويسترق من شاء منهم. أمواله المواشي من الغنم والبقر والجمال والخيل وزروع بلدهم أكثرها الذُرَة واللوبياءُ ثم القمح. وأكثر رعاياه عراة مؤتزرون بالجلود ومعايشهم من الزروع واقتناء المواشي، وديانتهم عبادة ملوكهم يعتقدون أنهم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون. وهي من مدائن البلماء وقصبة بلاد كاوار على سمت الشرق منحرفاً إلى الجنوب."[1]

و مدينة مانان وفقاً لرواية ياقوت عن المهلبي من مدن الزغاوة بينما هي عند كل من الادريسي[2] و ابن سعيد[3] من مدن الكانم، وتبدو روايتيهما أوثق من رواية المهلبى خاصة وأن ابن فاطمة الذي نقل عنه ابن سعيد معرفته بالمنطقة واسعة وكما سبق أن ذكرنا أنه ربما زار تلك المناطق.

ومن الممكن أيضاً تفسير ما قاله المهلبي من أن مدينة مانان من مدن الزغاوة باعتبار أن الزغاوة كانوا من بين مؤسسي مملكة كانم، وربما كانت الغلبة إلى جانبهم في المراحل المبكرة من تاريخ مملكة كانم فاعتبر المهلبي منان من مدنهم. أما مدينة ترازكي – بهذا الرسم - لم ترد في المصادر الجغراقية الأخرى.

فمملكة الزغاوة بناءً على وصف المهلبي في القرن الرابع الهجري (١٠ م) من ممالك السودان الواسعة المأهولة بالسكان إذ قدر مساحتها " خمس عشرة مرحلة في مثلها في عمارة متصلة" ويمارس سكانها حرفتي الزراعة والرعي. وذكر ابن سعيد أن الزغاوة والتاجويين "جنس واحد، ولكن الملك وحسن الصورة والأخلاق في التاجويين. وهم كفار عصاة على الكانمي يألفون الصحارى والجبال" وقد جعل ابن سعيد تاجوة وليست مدينة زغاوة عاصمة أو قاعدة للزغاوة ربما لأنه ذكر أن الملك كان بيد التاجويين، وأضاف أن مجالاتهم "[4] ممتدة في المسافة التي بين قوس النيل من الجنوب

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٢ ص ٣٩٦.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٦.

[3] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ١٠.

[4] نفس المصدر ج ١ ص ١١.

إلى الشمال" وامتداد قوس النيل يقصد به منطقة انحناءة النيل نحو الجنوب الغربي عند منطقة أبو حمد ثم التوجه نحو الشمال.

ولم تكن حدود قوس النيل واضحة لدى الجغرافيين المبكرين. فامتداد مملكة الزغاوة كان أكبر من المسافة الممتدة على قوس النيل، وقد يوضح هذا الوصف تحديد موقع مملكة الزغاوة بأنها شرقي النوبة – كما ذكر المهلبي - أكثر توضيح امتداد مساحتها. وذكر ابن سعيد أن مدينة تاجوة هي قاعدة الزغاوة، وقد حدد موقعها بخط طول ٥٥ وعرض ١٤ درجة.[١] وذكر بأن أهلها مسلمون في طاعة الكانمي، وأن جنوبيها مدينة زغاوة حيث الطول ٥٤ والعرض 1½ ١١درجة.[٢]

وأضاف ابن سعيد – محدداً مصدر المعلومة بابن فاطمة – أن مواطن تاجوة كانت على النيل "وإنما هربوا بقواعدهم من النيل بسبب البعوض، فإنه يكثر من مجاورة النيل فيشتد أذاه على الآدميين والخيل. ولهم عيون في الرمال ومياه مشربة من النيل أيام الزيادة."[٣]

ويفهم من هذا أن مواطن التاجويين كانت قريبة من النيل ربما على واد يصب في النيل، وتقع مدينتهم تاجوة إلى الشمال الشرقي من مدينة زغاوة. ووفقاً لهذا التحديد فإنها تقع غربي دنقلا وعلى نفس خط عرضها.

أما الادريسي فقد تناول الزغاوة باعتبارهم فرعين هما: الزغاوة والتاجويين وضع الزغاوة في المناطق الغربية من الصحراء الكبرى إلى الغرب من فزان، رغم إنه قال إن ذلك كان "في القديم من الزمان السالف." وذكر من مدن الزغاوة شامة وسغوة ونبرنتة. وأشار إلى أن أكثر أهلها قد انتقلوا غرباً إلى مدينة كوكو، ربما بسبب الجفاف أو لحروبها مع النوبة التي سنتعرض اليها فيما يلي. و مدينة سغوة يسكنها فرع من

---

[١] استخدم الجغرافيون المسلمون خطوط الطول والعرض وهي تختلف قليلا من تحديد الخطوط الحالية، فخط الاستواء لايختلف كثيرا من موقعه الحالي ولكن خط الطول في الجغرافيا الاسلامية يبدأ من الجزائر الواقعة بالقرب من ساحل المغرب المطل على المحيط الأطلسي ومنها يتجه شرقاً.

[٢] نفس المكان.

[٣] ورد في نص ابن سعيد أن دنقلا تقع على خط عرض أربعة، ولكن يفهم من سياق ما ورد عن مواقع المدن عند ابن سعيد وكما هو مثبت في المصادر الجغرافية الأخرى أن هنالك خطأ ربما في النقل أو الطباعة في تحديد موقع دنقلا فجاء على خط عرض أربعة بدلاً من أربعة عشر.

الزغاوة عرفت المدينة باسمهم وهم قبيلة سغوة. أما مدينة نبرنتة فهي خراب بسبب الجفاف. وفيما يلي نص ما ذكرة الادريسي:

"وفي بلاد زغاوة من المدن والقواعد سغوة ... ومن مدن زغاوة مدينة شامة وهي مدينة صغيرة شبيهة بالقرية الجامعة وأهلها في هذا الوقت قليلون، وقد انتقل أكثر أهلها إلى مدينة كوكو وبينهما ست عشرة مرحلة. وأهل شامة يشربون الألبان ومياههم زعاق وعيشهم من اللحوم الطرية والمقددة والأحناش يتصيدونها كثيراً ويطبخونها بعد سلخها وقطع رؤوسها وأذنابها وحينئذ يأكلونها. والجرب لا يفارق أعناق هؤلاء القوم بل هو فيهم موجود وهم به مشهورون وبه يعرف الزغاويون في جميع الأرض وقبائل السودان، ولولا أنهم يأكلون الأحناش لتقطعوا جذاماً. وهم عراة يسترون عوراتهم فقط بالجلود المدبوغة من الإبل والبقر ولهم في هذه الجلود التي يستترون بها ضروب من القطع وأنواع من التشريف يحكمونها."

"ولهم في أعلى أرضهم جبل يسمى جبل لونيا وهو عإلى الارتقاء صعب لكنه ترب وترابه أبيض رخو، وفي أعلاه كهف لا يقربه أحد إلا هلك ويقال إنه فيه ثعبان كبير يلتقم من اعترض مكانه على غيرعلم منه بذلك. وأهل تلك الناحية يتحامون ذلك الكهف. وفي أصل هذا الجبل مياه نابعة تجري غير بعيد ثم تتقطع. وعليه أمة تسمى سغوة من قبائل زغارة وهم قوم ظواعن رحالة والإبل عندهم كثيرة اللقاح حسنة النتاج. وهم ينسجون المسوح من أوبارها والبيوت التي يعمرونها ويأوون إليها، ويتصرفون في ألبانها وأسمانها ويتعيشون من لحومها. والبقول عندهم قليلة وهم يزوعونها وينتجونها، وأكثر ما يزرعه أهل زغاوة الذرة وربما جلبت الحنطة إليهم من بلاد وارقلان وغيرها. نزهة."

"وفي جهة الشمال وعلى ثمان مراحل من موضع قبيلة سغوة مدينة خراب تسمى مدينة نبرنته وكانت فيما سلف من المدن المشهورة لكن فيما يذكر أن الرمل تغلب على مساكنها حتى خربت وعلى مياهها حتى نشفت وقل ساكنها فليس بها في هذا الزمان إلا بقايا قوم تشبثوا بمقامهم في بقايا خرابها حناناً للموطن. وبهذه المدينة في جهة شمالها جبل يسمى غرغة حكى صاحب كتاب العجائب أن فيه نملاً على قدر العصافير وهي أرزاق لحيات طوال غلاظ تكون في هذا الجبل ويحكى أن هذه الحيات

قليلة الضرر والسودان يقصدون إلى هذا الجبل فيصيدون به هذه الحيات ويأكلونها كما قدمنا ذكره قبل هذا."[1]

ووصف الادريسي التاجويين "بأنهم مجوس، وحدد موقع ديارهم بأنها متصلة بأرض النوبة. وذكر أن من بين مدنهم مدينة سمنة وهي مدينة صغيرة، ونقل رواية عن أحد التجار المسافرين إلى أرض كوار "أن صاحب بلاق توجه إلى سمنة وهو أمير من قبل ملك النوبة فحرقها وهدمها وبدد شملهم على الآفاق وهي الآن خراب ومن مدينة تاجوة إليها ست مراحل"[2]

و بلاق بكسر الباء موقعين: أحدهما – كما ذكر المسعودي عند مدينة أسوان وهو آخر حد الصعيد.[3] والموضع الآخر وهو القصود هنا حدد الادريسي موقعه بين ذراعين من النيل ... وأرضها تسقى بالنيل وماء النهر الذي يأتي من بلاد الحبشة وهو واد كبير جداً يمد النيل وموقعه بمقربة من مدينة بلاق وفي الذراع المحيط بها وعليه مزارع أهل الحبشة كثير من مدنها"[4] ويبدو الموقع بوضوح على ملتقى نهر عطبرة بنهر النيل. أما مدينة سمنة فلم يحدد الادريسي موقعها ولم أجدها في المصادر الجغرافية الأخرى الأمر الذي جعل تحديد موقعها صعباً.

وقد رجح مسعد أن يكون موقعها "في تلال سيميات على بعد عشرين ميلا شرقي مدينة الفاشر الحالية حيث تعيش جماعة تعرف بهذا الاسم، ثم انتقلت جماعات سيميات إلى حدود واداي وهناك عرفوا باسم سيميار، ويزعم هؤلاء الانتساب إلى الداجو القدماء."[5] وهذا الموقع يجعلها بعيدة جداً من النيل إذا افترضنا انها تقع على واد يصب فى النيل مثل وادي المقدم أو وادي الملك وهي مناطق يمكن أن نتصور خروج حملة إليها من منطقة عطبرة، وقد يبدو بعيداً خروج حملة من منطقة عطبرة إلى الفاشر ولكن ذلك لا يمنع إمكانية حدوثها.

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٣٣ – ٣٤.

[2] نفس المرجع ج ١ ص ٦.

[3] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ١٧٦.

[4] الإدريسي، نزهة المشاتق ج ١ ص ٩.

[5] مصطفى مسعد، المكتبة السودانية ص ٢٥ حاشية رقم ٤.

فالزغاوة التاجويون كانوا يعيشون على طول المنطقة الصحراوية ما بين كانم والنيل. ويرى الباحثون أن الزغاوة كونوا طبقة حاكمة سيطرت على مناطق واسعة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين (٧- ٨ م) امتدت من دارفور شرقاً حتى كوار غرباً. واختلط الزغاوة بالهجرات المغربية التي تدفقت على المنطقة في القرن الثاني الهجري، ونتج عن هذا الخليط شعب الكانمبو الذي أسس دولة كانم في نهاية القرن الثاني الهجري.[1]

ويرى بالمر أن هذه الجماعات بمختلف عناصرها كانت تتحكم في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى الواقع بين منطقة كوار شرقاً ونهر النيل غرباً، وأن واحة العوينات كانت تعرف عند عناصر الكانوري والتدا كمنطقة سكنية متوسطة بين بلاد كابيلا أو جابيلا وهو الاسم الذي يمكن إطلاقه على كل عواصم البرنو.[2]

ولم يوضح الادريسي سبب الحرب بين النوبة والتاجويين، وربما كان السبب هو الصراع الطبيعي بين سكان مناطق مصادر المياه الغنية والمناطق الجافة. وربما كانت أعين التاجويين لا تزال تنظر إلى بعض مناطق النيل بمنظار الارث القديم عندما كان أسلافهم مستقرين على النيل واضطرهم البعوض – كما ذكر ابن فاطمة – لترك النيل إلى الصحراء.

وقبل قرنين من زمن الإدريسي أشار المسعودي في القرن الرابع الهجري (١٠ م) لذلك الصراع بين النوبة والزغاوة حيث ذكر أن " مملكة الزغاوة واسعة كبيرة، منها على النيل مما يحاذي النوبة، ويحاربون النوبة."[3]

وقبل ذلك بأربعة قرون أشار سترابو في نهاية القرن الأول قبل الميلاد إلى نفس الصراع عندما تحدث عن الجزيرة المأهولة السكان جنوب مروي حيث يسكن الليبيون شواطئها الغربية بينما يسكن المرويين مناطق الضفة الشرقية ويتصارعون على

---

[1] أحمد الياس حسين، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب. رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الآداب جامعة القاهرة الأم ١٩٧٧ ص ٤٢.

[2] R. Palmer, *the Bornu Sahara and Sudan* London: 1936, p 3.

[3] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ٨٩.

ملكية الجزيرة وشواطئ النيل.[1] وقد ذكرنا فيما سبق أن الليبيين في المصادر الكلاسيكية تقصد بهم سكان المناطق الصحراوية غربي النيل.

وقد أطلقت تلك المصادر على أولئك السكان أيضاً اسم النوبا، فمن هم ياترى أولئك النوبا (بالألف في آخر الكلمة) الذين كانوا ينافسون المرويين على مناطق النيل منذ القرن الأخير قبل الميلاد قبل وصول هجرة النوبة (بالتاء في آخر الكلمة) الأخيرة بثلاث قرون ؟ هل هم أسلاف التاجويين؟ تبدو الإجابة بنعم معقولة.

ويصف الإدريسي التاجوين بأنهم سودان "وأنهم بشر كثير وجمع غزير ولهم إبل كثيرة وفي بلادهم مراع كثيرة وهم رحالة لا يقيمون في مكان واحد من جاورهم يغزوهم ويغير عليهم ويتحيل على أخذهم وليس لهم مدن إلا مدينتان وهما تاجوة و سمية ... هذه الأرض تتصل بها أرض الواحات الخارجة وهي الآن تعرف بأرض سنترية."[2]

لواتة و سدراتة:

يقودنا الحديث عن لواتة إلى الواحة الخارجة التي تتصل بالجزء الشمالى من أرض التاجويين[3]، وعن إقليم الواحات في مصر الذي قال عنه ياقوت:

"الوَاحاتُ: ثلاثٌ كور في غربي مصر ثم غربي الصعيد ... الواح الأول أوله مقابل الفيوم ممتدٌ إلى أسوان ... وهي أكبر الواحات وبعدها جبل آخر ممتد كامتداد الذي قبله وراءه كورة أخرى يقال لها واح الثانية وهي دون تلك العمارة وخلفها جبل ممتد كامتداد الذى قبله وراءه كورة أخرى يقال لها واح الثالثة وهي دون الأوليين في العمارة ومدينة الواح الثالثة يقال لها سَنتَرِية"[4]

والواحة التي تهمنا هنا هي الواحة الأخير المعروفة بالواحة الخارجة والتي ذكر الادريسي أنها تتصل بأرض التاجويين. وقد وصفها اليعقوبي الذي زار شمال إفريقيا في

---

[1] Quoted by Oric Bates, *the Eastern Libyans* London: 1970, p49.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٣٦.

[3] نفس المصدر ج ١ ص ٣٦.

[4] ياقوت الحموي، ج٤ ص ٣٧٣.

القرن الثالث الهجري (٩ م) بأنها "بلاد فيها حصون، ومزارع، وعيون مطردة، ومياه جارية، ونخل وأصناف الشجر، والكروم، ومزدع أرز وغير ذلك."[١]

وفي القرن الرابع الهجري (١٠ م) نقل المسعودي بعض أخبارها عن أحد مواطنيها قابله في مصر. وتبدو الواحة مأهولة بقبيلة لواتة البربرية، إذ يقول المسعودي :

"وصاحب الواحات في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - عبد الملك بن مروان، وهو رجل من لَوَاتة، إلا أنه مرواني المذهب، ويركب في ألوف من الناس خيلاً ورجلاً ونجباً."[٢]

دخلت الواحة الخارجة في مرحلة جفاف شديد قبل القرن السادس الهجري، لأن الادريسي ذكر أن:

"بلاد الواحات الخارجة الآن صحراء لا أنيس بها بلقع لا عامر لها والمياه بها موجودة وكانت على القدم معمورة متصلة الثمار والعمارات ... وبين الواحات وحد النوبة مسير ثلاثة أيام في مفاوز غير عامرة."[٣]

و قد ظلت قبيلة لواتة فيما يبدو مسيطرة على الواح الخارجة حتى ضربها الجفاف، لأن ياقوت الحموي قال عن سكانها: "وأهلها كلهم بربر لا عرب فيهم."

ويبدو أن بربر لواتة لم ينزحوا إلى أماكن بعيدة بل استقروا مع الزغاوة، يقول ابن سعيد "وفي شرقي كوار مع ميل إلى الشمال مجالات سندراته ، وهم برابرة مسلمون ملثمون ولكنهم يورثون ابن الأخت جرياً على عادة كانت لهم قبل الإسلام."[٤]

و يوضح الادريسي:

"وفي بلاد زغاوة من المدن والقواعد سغوة و شامة وبها قوم رحالة يسمون صدراتة يقال إنهم برابر وقد تشبهوا بالزغاويين في جميع حالاتهم وصاروا جنساً من أجناسهم

---

[١] اليعقوبي، كتاب البلدان ج ١ ص ٤٠،

[٢] المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ١٧٩.

[٣] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٣٧.

[٤] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ٢١.

وإليهم يلجئون فيما عن لهم من حوائجهم وبيعهم وشرائهم ومن مدن زغاوة شامة وهي مدينة صغيرة"[1]

وصدراتة هنا المقصود بهم سدراتة، وهم كما ذكر ابن خلدون من سلالة قبيلة لواتة.[2]

وقد يكون هنالك خطأ في نسخ نص الادريسي، وأعتقد أن سدراتة استقروا في سغوة وليس شامة. لأن موقع شامة يبدو إلى الجنوب كثيراً من أطراف الصحراء الكبرى الشمالية حيث مواطن قبيلة سدراتة كما ذكر ابن سعيد، وسياق النص أعلاه يستشف منه بعض الخلل فيبدو أن اسم سغوة سقط في أول النص، ويمكن أن يقرأ هكذا:

"وفي بلاد زغاوة من المدن والقواعد سغوة وشامة، وسغوة بها قوم رحالة يسمون صدراتة يقال إنهم برابر وقد تشبهوا بالزغاويين في جميع حالاتهم وصاروا جنساً من أجناسهم وإليهم يلجؤون فيما عن لهم من حوائجهم وبيعهم وشرائهم ومن مدن زغاوة شامة وهي مدينة صغيرة".

آزقار و بركامي:

وإلى جانب بربر سدراتة في المنطقة يوجد أيضاً قوم من البربر شرقي منطقة فزان اسمهم آزقار، قال الادريسي عنهم:

"أرض فزان وبها من البلاد مدينة جرمة و مدينة تساوة ... ومن مدينة تساوة إلى قبيل من البربر في جهة المشرق نحو من اثني عشر يوماً ويسمون آزقار وهم قوم رحالة وإبلهم كثيرة وألبانهم غزيرة وهم أهل نجة وقوة وبأس ومنعة لاكنهم يسالمون من سالمهم ويميلون على من حاولهم وهم يصيفون ويربعون حول جبل يسمى طنطنه وفي محيطه من أسفله ينابيع وعيون مياه جارية ومناقع كثيرة تجتمع بها المياه وينبت عليها الحشيش كثيراً وإبلهم ترعى هناك وينتقلون منه إلى أمكنة عن عاداتهم المقام بها."[3]

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٣٣.

[2] ابن خلدون، العبرح ٦ ص ٣١.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٣٤.

ووصف الإدريسي أهل أزقار قائلاً:

"وأهل آزقار فيما يذكره أهل المغرب الأقصى أعلم الناس بعلم الخط الذي ينسب إلى دنيال النبي عليه السلام وليس يدرى بجميع بلاد البربر على كثرة قبائلها قبيلة أعلم بهذا الخط من أهل آزقار وذلك أن الرجل منهم صغيراً كان أو كبيراً إذا تلفت له ضالة أو عدم شيئاً من أموره خط لها في الرمل خطاً فيعلم بذلك موضع ضالته فيسير حتى يجد متاعه كما أبصره في خطه وربما سرق الرجل منهم متاع صاحبه ويدفنه في الأرض بعيداً أو قريباً فيخط الرجل الذي فقد متاعه ويقصد موضع الخبية ويخط بإزائها خطاً ثانياً ويقصد بعلمه إلى موضع الخبية فيستخرج منها متاعه وما ضاع له ويعلم مما خطه الرجل الذي تعدى على أخذ متاعه، ويجمع أشياخ القبيلة فيخطون له خطاً فيعلمون من ذلك البرئ من الفاعل وهذا عند أهل المغرب مشهور مذكور. ولقد أخبر بعض المخبرين أنه رأى رجلاً من هذه القبيلة في مدينة سجلماسة وقد خبيت له خبية بحيث لا يعرف فخط لها خطاً وقصد موضعها فاستخرجها وأعيد عليه العمل بذلك ثلاث مرات فاستخرجها في الثانية والثالثة مثل ما فعل في المرة الأولى وهذا شيء عجيب من قوتهم على هذا العلم على كثرة جهلهم وغلظ طبعهم وفيما جئنا به في ذلك كفاية والحمد لله على ذلك."[1]

وقد أضاف الحميري بعد أن نقل ما أورده الادريسي عن ازقار فقال: "ولقد أخبر بعضهم أنه رأى رجلاً من هذه القبيلة في سجلماسة وقد خبئت له خبيئة فخط لها خطاً وقصد موضعها فاستخرجها وأعيد عليه العمل بذلك ثلاث مرار فاستخرجها في كلها، وهذا شيء عجيب من قوتهم على هذا العلم على كثرة جهلهم وغلظ طباعهم."[2]

وهنالك جماعة أخرى من السودان بين النوبة و الزغاوة و الكانم أُطلق عليهم بركامي ، وحددت بلادهم بأنها شمال جبل لونيا الممتد من الشرق إلى الغرب في بلاد كوار وزغاوة، وذكر أنهم:

---

[1] نفس المكان.

[2] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ج ١ ص ٢٨. موقع الوراق.

"سودان أهل عافية ولهم أودية بين جبال وفيها نخل ومياه وخضر. والذين يوالون منهم بلاد الكانم مسلمون. والذين يوالون بلاد النوبة نصارى. والذين يوالون زغاوه أهل أوثان."[1]

وفي واقع الأمر فإن المنطقة الواقعة بين النيل شرقاً ومناطق كانم والزغاوة جنوباً وغرباً ذكرت فيها بعض الجماعات والمناطق غير المعروفة حالياً والتي تحتاج إلى البحث والتقصي خاصة وأنها قريبة زمنياً ليست موغلة في القدم، أي أنها تعود لنحو سبعة قرون فقط الأمر الذي يرجح ارتباطها القوي بواقعنا المعاصر. فمن هم البركامي ومتى اعتنقوا المسيحية والإسلام؟ وأين موقعهم على خريطتنا السكانية الحالية؟ وماذا حدث لها؟.

أهل بنتة وزنج النوبة:

والقضية ليست متعلقة بالبركاميين فقط بل هنالك الكثير من الجماعات والمناطق الواردة في المصادر الجغرافية غير المعروفة لدينا، ولما كان غرضنا هنا هو تتبع سكان منطقة الصحراء الواقعة غربي النيل فقط فسنشير إلى بعض تلك المناطق مثل " بلاد بنته" وإلى مدينة "نوابة وأهلها".

ذكر ابن سعيد أن بلاد بنتة تقع إلى الشرق من بحيرة كوري ، وقد أورد ابن سعيد بعض التفاصيل عن البحيرة نقلاً عن ابن فاطمة الذي رجحنا أن يكون زار البحيرة في القرن السادس الهجري (١١ م) ويبدو مما ذكره عن البحيرة أنها بحيرة تشاد الحالية.[2] وإلى جانب ابن سعيد أشار كل من المقريزي[3] و السيوطي[4] إلى بحيرة كري نقلاً عن كتاب الإدريسي نزهة المشتاق، غير أن النص الذي نقلاه عن نزهة المشتاق غير موجود في النسخة المطبوعة التي رجعت إليها.

---

[1] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ٢١.

[2] نفس المصدر، ج ١ ص ١١.

[3] المقريزي، كتاب الخطط ج ١ ص ٦٧.

[4] السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ٣٣٤.

وقد وصف ابن سعيد أهل بنته وحدد موقع بلادهم حيث قال: "وهم سود كفار يفصلون بين الكانم والنوبة" ولم يضف المقريزي و السيوطي فيما نقلاه عن الادريسي ما يلقي مزيداً من الضوء على أهل بنتة إذ ذكرا أثناء حديثهما عن بحيرة:

"فإذا خرج النيل منها يشق بلاد كوري ، و بلاد ينه . وهم طائفة من السودان بين كانم والنوبة فإذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها" وذكر المقريزي أن اسم هذه الجماعة "ينة" بينما ذكـــره السيوطي "تنة" ومـــن الواضح أنهم كلهم يشيرون إلى نفس السكان.

ويبدو من خلال ما ورد عن مكانهم أنهم كانوا يستوطنون المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الزغاوة بين الكانم والنوبة. ولكن من هم أهل بنتة إذا كان هذا هو الاسم الصحيح؟ وأين كانت مواطنهم بالتحديد؟ ومن هم سلالاتهم على الخريطة السكانية الحالية؟ تبقى هذه الأسئلة مثل سابقاتها في انتظار الإجابة.

ومن المدن الصحراوية التي وردت في الجغرافية العربية مدينة نوابة فقد ذكرها الادريسي و ابن سعيد ، بينما وردت عند ابن الوردي و الحميري "نوابية". ذكر ابن سعيد في جنوبي مدينة دنقلة "من مدن النوبة، نوابه التي سموا بها. وهي من حيث الطول ثمان وخمسون درجة وثلاثون دقيقة والعرض تسع درجات."[1] وهي بذلك تقع على نفس خط طول مدينة دنقلا كما حدده ابن سعيد. وحدد كل من الإدريسي[2] وابن الوردي[3] بأنها تبعد عن النيل أربعة أيام [4]. وأورد الإدريسي ما يلي عن وصف المدينة وسكانها:

---

[1] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ١١.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٦.

[3] ابن الوردي، خريدة العجائب ج ١ ص ٢٨. موقع الوراق.

[4] كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب في تقويم البلدان والتاريخ الطبيعى، والكتاب مشهور تحت اسم "خريدة العجائب" جمع ابن الوردي مادته من المصادر السابقه له بداءاً من المسعودي وحتى مؤلفي القرن الثامن الهجري. توفى ابن الوردي عام ٨٦١هـ/١٤٥٦ م

" ومن مدينة تاجوة إلى مدينة نوابة ثمان عشرة مرحلة، وإليها تنسب النوبة وبها عرفوا. وهي مدينة صغيرة وأهلها مياسير، ولباسهم الجلود المدبوغة وأزر الصوف. ومنها إلى النيل أربعة أيام وشرب أهلها من الآبار وطعامهم الذرة والشعير ويجلب إليهم التمر والألبان عندهم كثيرة. وفي نسائهم جمال فائق وهن مختتات ولهن أعراق طيبة ليست من أعراق السودان في شيء. وجميع بلاد أرض النوبة في نسائهم الجمال وكمال المحاسن وشفاههم رقاق وأفواههم صغار ومباسمهم بيض وشعورهم سبطة وليس في جميع أرض السودان من المقازرة ولا من الغانيين ولا من الكانميين ولا من البجاة ولا من الحبشة والزنج قبيل شعور نسائهم سبطة مرسلة إلا من كان منهن من نساء النوبة ولا أحسن أيضاً للجماع منهن وإن الجارية منهن ليبلغ ثمنها ثلاث مائة دينار وأقل من ذلك. ولهذه الخلال التي فيهن يرغب ملوك أرض مصر فيهن ويتنافسون في أثمانهن ويتخذونهن أمهات أولاد لطيب متعتهن ونفاسة حسنهن. وذكر بعض الرواة أنه كان بالأندلس جارية من هؤلاء الجواري المتقدم ذكرهن عند الوزير أبي الحسن المعروف بالمصحفي فما أبصرت عيناه قط بأكمل منها قداً ولا أصبح خداً ولا أحسن مبسماً ولا أملح أجفاناً ولا أتم محاسن. وكان هذا الوزير المذكور مولعاً بها بخيلاً بمفارقتها ويذكر أن شراءها عليه مائتان وخمسون ديناراً من الدنانير المرابطية. وكانت هذه الجارية المذكورة مع تمام محاسنها وبديع جمالها إذا تكلمت أسحرت سامعها لعذوبة ألفاظها وحلاوة منطقها لأنها ربيت بمصر فكانت بذلك تامة الصفات ومن مدينة نوابة إلى مدينة كوشة نحو من ثماني مراحل خفاف."

أما الحميري فذكر أنها تبعد عن النيل قليلاً، وأضاف وإليها ينسب النوبة وبها عرفوا. ثم نقل بعض ما ذكره الادريسي.[1] أما ابن الوردي فقد أورد بعض التفاصيل كما يلي:

"ومن مدن النوبة المشهورة نوابية ويقال لها نوبة. وهي مدينة وسط وبينها وبين النيل أربعة أيام، وشرب أهلها من الآبار. وفي نساء هذه المدينة الجمال الفائق والحسن الكامل. ولهم حسن النطق وحلاوة اللفظ وطيب النعمة وليس في سائر السودان من

[1] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ج ١ ص ٥٠٣.

شعورهم مسبلة غيرهم وبعض الهنود وبعض الحبوش لا غير. وقيمة الجارية الحسناء منهن ثلثمائة دينار وما فوقها." ويواصل ابن الوردي:

"وحكي أنه كان عند الوزير أبي الحسن المعروف بالمصحفي جارية منهن لم ير أكمل منها قدراً ولا أحسن خلقاً ولا أملح شكلاً ولا أنعم جسماً ولا أحلى منطقاً ولا أتم محاسن، وكانت إذا تكلمت سحرت الألباب بمنطقها وحلاوة ألفاظها فاشتراها الصاحب بن عباد منه بأربعمائة دينار وأحبها حباً عظيماً ومدحها في بعض أشعاره. وقيل عنه إنه قبل مشتراها كانت همته قد ذهبت وشهوته انقطعت فلما اشتراها وضاجعها انبعثت شهوته ونهضت همته وتراجعت قوته، لطيب ما وجد عندها."[1]

فنوابة أو نوابية من مدن الصحراء التي لا نعرف عنها شيئاً، وبناءً على ما ورد عند الادريسي و ابن سعيد و الحميري – كما في النصوص أعلاه - فإن اسم النوبة الذي عرفه المؤلفون العرب بعد القرن السابع الميلادي يعود إلى هذه المدينة، وهذا ما يزيد من أهمية هذه المدينة. فالمؤلفين العرب لم تكن لديهم معرفة باسم النوبا القديم في المصادر اليونانية والرومانية.

واسم النوبة – كما جرت عادة العرب على تخريج الأسماء – تارة يرجع إلى والدهم نوبا فهم "بنو نوبة" كما ذكر المسعودي القلقشندي[2] وأحياناً يرجعونه إلى أصل عربي كما وضح ياقوت الحموي: "نوبه: بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة، والنوب جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها فشبه ذلك بنوبة الناس والرجوع مرة بعد مرة، وقيل النوب جمع نائب من النحل والقطعة من النحل تسمى نوبة شبهوها بالنوبة من السودان وهو في عدة مواضع: النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر."[3]

ولكن يبدو معقولاً ارتباط اسم النوبة في المصادر العربية باسم مدينتهم كما جرت عليه عادة المؤلفات العربية في إطلاق اسم المدينة على السكان أو العكس "فنوابة أو نوابية أو نوبة" كما ذكر ابن الوردي: "ومن مدن النوبة المشهورة نوابية ويقال لها نوبة" فأصبحت "نوبا" اسم المدينة والسكان كما يقولون أهل غانة عاصمتهم مدينة

---

[1] ابن الوردي، خريدة العجائب ج ١ ص ٢٨.

[2] المسعودي، أخبار الزمان ج ١ ص ٨٩ و القلقشندي، صبح الأعشى ج ١ ص ١٥٣.

[3] معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٦.

غانا وكوكو عاصمتهم مدينة كوكو، ورغم أن عاصمة مالي تذكر أحياناً باسمها " نياني "إلا أنه يطلق عليها مدينة مالى . فهل كانت مدينة النوبا " نوابة أو نوابية أو نوبا " في وقت ما المدينة الأولى في المنطقة ولذلك عرف السكان بها؟ ومتى كان ذلك؟ وأين موقع تلك المينة؟ مزيداً من الأسئلة!

إذا حاولنا بناءً على ما ورد من معلومات محاولة التعرف على موقع مدينة نوابة أو نوابية فالمعلومات كالآتي:

تقع المدينة جنوب دنقلا، على خط طولها، تبعد من النيل أربعة أيام. وقد حدد ابن سعيد موقعها على خط طول ٥٨ وخط عرض ٩ درجات، ووفقاً لهذا فهي تقع إلى الجنوب بعيدا من مدينة دنقلا التي تقع على نفس خط طول نوابة وعلى خط عرض أربعة عشر درجة وخمس عشرة دقيقة.

وقد ورد في كتاب ابن سعيد أن مدينة دنقلة تقع على خط عرض أربع درجات وخمس عشرة دقيقة.[1] وفي ذلك خطأ واضح إما في النقل أو الطباعة. فقد تواتر في الجغرافيا العربية أن موقع مدينة دنقلة إلى الشمال من ذلك كثيراً من خط عرض أربعة درجاتً. وقد صحح هذا الخطأ ما ورد عند القلقشندي عن موقع المدينة نقلاً عن ابن سعيد فذكر: "قال ابن سعيد : حيث الطول ثمانٌ وخمسون درجة وعشر دقائق، والعرض أربعة عشر درجة وخمس عشرة دقيقةً."[2]

وخط عرض ٩ درجات يجعل مدينة نوابية كما جاء عند ابن سعيد إلى الجنوب من مدينة تاجوة التي تقع على خط عرض ١٤ درجة، وإلى الجنوب إيضاً من مدينة مانان في كانم التي تقع على خط عرض ١٣ درجة. وبالطبع فإن تحديد الموقع بهذه الخطوط في الجغرافيا العربية المبكرة ليس بالضرورة أن يكن دقيقاً مثل التحديد الحالى للمواقع، فهو بخاصة للمدن النائية تقديري في أغلب الأحيان، إلا أنه يعطى التصور العام للموقع.

وقد وضع ابن سعيد مدينة نوابة على نفس خط عرض مدينة جيمي (٩درجات) قاعدة الكانم وقريبة من مدينة كوكو التي تقع على خط عرض ١٠درجات. وذكر

[1] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا ج ١ ص ١١.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى ج ٢ ص ٣١٣.

الادريسي أن بين مدينة نوابة ومدينة تاجوة ثمانية مراحل، وبينها وبين كوشة ثمانية مراحل ضعاف وفي موضع آخر ذكر بينها وبين كوشة ستة أيام.[1]

ومن المعلوم أن اسم كوش أطلق على المنطقة والسكان منذ عصر حضارة كرمة، وظل يطلق في عصر نبتا ومروي وما بعد مروي كما في لوحة عيزانا التي سجل فيها انتصاراته على مملكة مروي ونهايتها على يده في القرن الرابع الميلادي. ولم تستخدم المصادر العربية اسم كوش كثيراً بل استخدمت اسم النوبة للدلالة على سكان مملكتي المقرة وعلوة المسيحيتين، وورد اسم سوبة منذ القرن الثالث الهجري إذ ذكر اليعقوبي أن مدينة علوة العظمى تسمى سوبة .[2]

وأحيانا يرد اسم مدينة كوش في المصادر العربية فقد ذكر الادريسي "في بلاد النوبة من البلاد المشهورة والقواعد المذكورة كوشة و علوة ودنقلة وسوبة." وقال عن كوشة:

"تبعد عن النيل يسيراً، وموقعها فوق خط الاستواء وأهلها قليلون وتجاراتها قليلة وأرضها حارة جافة كثيرة الجفوف جداً وشرب أهلها من عيون تمد النيل هناك وهي في طاعة ملك النوبة، وملك دنقلة يسمى كاسل وهو اسم يتوارثه ملوك النوبة، وقراراته ودار ملكه في مدينة دنقلة."[3]

وجعل ابن سعيد موقع مدينة كوشة جنوب غرب نوابة ووسمها بأنها قاعدة زنج النوبة. ومن خلال ما ذكر عن موقعها يتضح أنها لم تكن على النيل، وأغلب الظن أنها تقع إلى الغرب من النيل لأنه لم يذكر بينا وبين نواب التي تقع في الصحراء غربي النيل نهر أو نيل، وتقع كل المدن التي ورد ذكر كوشة مرتبط بها غربي النيل مثل دنقلة وتاجوة ونوابة. وقد جعلها الادريسي من تابعة لملك دنقلة الذي تمتد ممتلكاته الجنوبية غربي النيل.

ويبدو أنها تقع إلى الجنوب من نوابة، إذ وصفها الادريسي "بكوشة الواغلة ... وتقع فوق خط الاستواء" بينما جعلها ابن سعيد جنوب خط الاستواء، مما يشير إلى

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٦ و ٩.

[2] اليعقوبي، كتاب البلدان ج ١ ص ٤١.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق ج ١ ص ٩.

موقعها في أقصى الجنوب بالمقارنة إلى نوابة أو دنقلة. ويظل السؤال عن موقعها عالقاً وكذلك السؤال عن زنج النوبة هل هم بركامي الذين ذكر ابن سعيد – كما أشرنا أعلاه – أم أنهم سودان بين النوبة والكانم والزغاوة أم من هم؟.

وفي نهاية تتبعنا لسكان الصحرء الغربية للنيل - أو قُل سكان كردفان ودارفور - أود التنويه هنا أن ما سعت إليه الدراسه هو التعرف فقط على سكان تلك المنطقة في القرون المبكرة التي صاحبت انتشار الإسلام في شمال إفريقيا، أما عن علاقة أولئك السكان بالقبائل الموجودة حالياً في تلك المناطق فسيتم تناول ذلك في جزء لاحق.

وفي ختام هذا العرض الذي تناول سكان المنطقة في المصادر العربية حتى القرن السادس الهجري (١٢ م) علنا لاحظنا أنه لم ترد الإشارة في كل المصادر التي رجعنا إليها إلى وجود العرب في كل المنطقة الواقعة بين الواحات الخارجة وكوار شمالاً وحتى جنوب دارفور وبحيرة تشاد جنوباً مما يوضح بصورة قاطعة أنه حتى القرن السادس الهجري (١٢ م) لم تصل قبائل عربية لتلك المناطق. وتاريخ القبائل العربية في تلك المناطق وغيرها من مناطق السودان الأخرى سيكون موضوع جزء لاحق.

DAWAYA
SUDANESE BOOKS

الملحق رقم ١

نقش كلابشة١

تألف نقش كلابشة من ٣٤ سطر. تم العثور عليه فى الجزء الأسفل من العمود الرابع الأقصى شمالاً الذى يعلم واجهة معبد كلابشة[1].

نقش كلابشة يدور حول الملك خارامادويه . يشير وضع نقش كلابشة إلى أنه كتب قبل أن تغطي الأنقاض جزء كبير من المعبد...

يعتقد ميليت بأن خارامادويه كان حاكماً نوبادياً. أما مونير دي فيلارد فيعتقد بأن المسلة كانت تخليداً لذكرى ملك بليمي .

يتقبل معظم الباحثين حقيقة أن خارامادويه يحتمل أن يكون بليمياً ، لكون الاسم مشابه للأسماء البليمية فى وثيقة الجبلين Krall، ١٩٩٨. توجد فى وثيقة الجبلين أسماء العديد من البليميين بما فيهم خاراخن، وولديه خاراهايت و خاراباثكور ، وترجع الوثيقة للقرن السادس.

فك جريفيث رموز الخط المرَّوي منذ قبل أكثر من سبعين سنة مضت. حتى وقت قريب كان من الممكن كتابة النقوش بحروف لغة أخرى (تشفيرها)، لكننا كنا عاجزين عن قراءة السجلات المرَّوية فى كاملها لأننا لم نعرف اللغة المرَّوية . فى عام ١٩٨٤ تمكن ونترز (وهو كاتب هذا البحث الذى بين يديكم - أركامانى) من الكشف عن أصل مشترك للمرَّوية : كوشانا. نتيجة هذا الاكتشاف يمكننا أن نقرأ أي نص مروي.

كتب نقش كلابشة باللغة المرَّوية المتأخرة. القواعد النحوية للغة المرَّوية المتأخرة تم توضيحها فى مكان آخر.

أدناه كتابة نص كلابشة بحروف التشفير (نحتفظ هنا بالتشفير بالأحرف اللاتينية- أركامانى). فى هذا التشفير للكتابة المرَّوية، فإن ما يسمى بعلامة

[1] في كلكايدي ونترز، بينة مروية عن الإمبراطورية المروية. أثبتنا قبل بداية النص بعضاً من تعليق ونترز عليه.

الفصل المرّوية (:) أعطيت لها القيمة ne- . وتعني هذه القيمة "خير" وتستخدم لتحويل الأفعال إلى أسماء.

1. hrmdoye ne qor ene ariteñ lne mdes ne mni-t (1) kene

2. mk lebne ye re qe-ne q yi-t (2) hl-ne y es bo he-ne q r lebne tro.

3. s-ne ariteñ net er ek li s-ne d-b li lh ne q r kene qor ene mnpte.

4. s-ne lw-ne qor e yi-ne-t (3) h-ne-m (4) no tene s-ne lw-ne t h-ñ (5) yi-ne qr-ne ariteñ li s-ne.

5. lw-ne qr-ñ yi-ne so-b (6) neh-l b (7) -ine li . s-ne lw-ne so-b-ñ yi-ne th ne-m ote sl w-ne.

6. th-ñ yi-ne arette (8) ne wos sl w-ne h i ret-te ñ yi-ne hr ph ene mk e do.

7. ke li sl w-ne hr ph e ñ yi-ne. te ri s nem npte ne p d ho s-ne tl-o (9).

8. li s ne k i d kete tene yimeniye ne qor e-l h-ene yi ti IIII yo to-ne.

9. ptpotekye ne ab-l ene y wi tone s wi d-e-a (10) q to ye-ne. Tep kene ye d ne mk lne te.

10. pk ene y ey k-ne w ye d ne-te pk ene p y k-ne h i w r nea d o-ne w sne phrs ne t o.

11. m ñ-ne-a s y ne ke d eb h ek y-ne qor-e ti k-ne d i k-ne pilqe y-te ne-b q ok.

12. lk s-ne sq y-e s-ne nsdoke s-ne tmeyye s-ne nhr e s-ne-b qo b h.

13. simlo k-ne d ik ne pilqe y tene b qo lne pr one dol ene pl w-ne penn-ne t.

14. lte-ne br-ne ph i ñl-ne bh em ine ye de tene-b. ye ke lh d ik ne kdi mlo ye-ne.

15. sq kdi-ne pt p ot...yismeniye ne y sb e t ne-b er so wi-ne mte ne w s-ne.

16. a y e ken l-ne yt p-ote ne y-e (11) d ne y-kl ene arohetye ne nl ene do lk.

17. mte l-ne pi ke d el wi-ne y-e d ne ptpotekye ne w kdi wi ke tene mte ws.

18. qorh-ne th-ñ y-ene tk lwi-ne y sh e t ne-b er ek-n wi-ne h.

19. r ph ene de te lh l-ne w e ñ-ne y-e d ne w-o p ik ene ti-l (12) ye y ki ne.

20. br lebne ke d e-b h ne. kdi lebne-m ro r lebne s s lebne kb b.

21. tne p d ho s-ne-l (13) h lebne ye h o y (14) -kene y-te tene-m ro r b ene qe.

22. s w-ne-a d er ek ene-m tr-ne w s-ne h r w-ne pilqe kene mt r-ne w s-ne.

23. qor e IIIIIII hr e s-ne wt e b ne ah ine d e ... kl ene d e .

24. tene we d ine d h ene mte ne kdi ne aqtoyes II wb qo b.

25. tenen wi d o ne hr e s ye qo ne hresye qo ne wid yishteteye qo ne b qo.

26. b h ne s ml ene w si ne tk b tene ste ne we s-ne b qo b tene.

27. simlo k-ne d ik ne sl el ey tene-m ho ne temey ne nsdoke.

28. kdi a br ne nhbr e s ne kb h ne-m ho li-ne temey li-ne d k-ne.

29. p ro-ne d ol pl w-ne penn tl tene br-ne ph ol e ne b h em ine.

30. ye d e tene hr w-ne-a d o ni li kete-ne yir e q w nea.

31. r w-ne tere kete-ne hr w-ne sl el e kene-m tr-ne ws yi r-e.

32. q w nea d lo kene-m tr-ne w s-ne ws-ne. qor ene pt si de ne tm ot-ne .

33. m...es ne...pl-ñ pt mk . i d ene tm-o t ne ari tel ene w o.

34. pl e .

قام ميليت بعمل رائع بمناقشة النقاط الأساسية لنقش كلابشة، قريبة من من معرفتنا بالمرّوية فى ستينيات القرن العشرين Millet. أدناه ترجمتنا لنقش كلابشة طالما أصبحنا قادرين الآن على قراءة الكلمات المرّوية فى النص.

[١] خارامادويه العاهل وزعيم الليفينا أريتن. الابن المعظم والنصير لأماني، أنت (الذى) تمنح الحياة مجدداً (للرجل). [٢] رحلة المولى للاستكشاف بالتأكيد تعطي خلق الخير. أفعل (الآن أماني) هو يسافر ليدعم الخير. أجعل الرفاهية تتفخ (من أجل) قرابين الزعيم، (هو) يرغب بالطبع اصلاح السمو. [٣] نصير الخير أريتن ينحني فى وقار

(أمام أمانى) ليستدعي رفعة التغذية (لـ) النصراء ليخلفوا تراثاً عظيماً عالياً يبقى خيراً. (يا أماني أمنح حياة مجددة حقاً (لـ) العاهل (و) قائد نبتة العظيم. [٤] أرفع (عالياً) الخير (و) مجد العاهل. (أمانى) أنت تهب باستمرار عظمة كبيرة الآن (و) إعادة مولد أمجاد النصراء. ثبت مبتغاه الأبدي العظيم (لفعل) الخير، (يا) أريتن المجيد. [٥] ممجداً يبتغي الحياة الأبدية الوفيرة فى هذه اللحظة (كما) هو الطريق السديد. أمنح (له) حياة مجيدة أبدية ووفيرة وثبت الكثير من الخير والاعجاز (لـ) الملك والقائد. [٦] انه يثبت تقاليد هارندوتس الخيرة (حورس المنتقم لوالده) (أيا) ايزيس. الملك والقائد يذ(هب) ليقدم البركات ويجمع هنا الخير للأبد. الجلال الكامل (لـ) القائد. تكرم الإله بقبول هبات (خارامادويه). [٧] جدد حياة الملك المبجل والقائد ليرتقي إلى موهبة الجلال (و) ليمنح الخير الأبدي. هنا المدينة (كلابشة) ترفع عالياً اسم نبتة الخيرة. ابتهل لبقاء ميراث روح النصير القوي (خارامادويه). [٨] الابن الخير الممجد، كما هو واجب، يذهب ليخلف ميراثاً (لـ) لمولد حياة مجددة لك (خارامادويه). يمينيه (ملك جديد) يمنح من فضله مقدم العطاء للفقراء العظيم (لخارامادويه) فى رحلته لتنوير (البشرية) عن بعد. يذهب مقدم العطاء للفقراء لينظم ٤ (مرات) للانحناء لعودة مولد (خارامادويه). [٩] باتابوتكايه الأب الخير (لـ) القائد خلَّف شرفاً حياً (لخارامادويه). فليقف عالياً (الخير الذى) سيترك ميراثاً (الذى) سيعمل ليحفز (ـو) يعطي شكلاً للخير. يعلن بصوت نبيل بداية الرحلة (لـ) الخير الموروث. (أيها) الإله الحي، أفلا يستمر قدماً! [١٠] فلتجعل هدف القائد بمثابة استحسان وجود (لـ) موضوع التضرع. فلتتبع استحسان الوجود لتخلف ميراثاً لنعمتك. أجعل هدفك (فى هذه الغاية) أيها القائد. صلى لتجديد حياة العطاء، تابع بلا تهاون ميراث الأسلاف، لتوجيه ودعم خير فرس. سيبدأ الوصية (الآن). [١١] الكثير من الخير سيكون فى وجود الملك. أعمل لتخلف غطاءً عظيماً وتغذية لفعل الخير. الملك يذ(هب) لتنظيم تجديد حياة الخير. أذهب لتخلف ميراثاً خيراً (فى) مكان اقامتنا (فى) فيلة. لقد فعلت الكثير من الأعمال الخيرة (لتعد احيائها الآن). [١٢] تمت هزيمة الاك الآن، والشاقا (تم) اجتياحهم وهزيمتهم. الناسادوكا هزموا (و) والتاميا (تم) اجتياحهم وهزيمتهم. الناخبار تمت هزيمتهم كلياً تماماً (وبالتالي) تمت استعادة الكثير من العظمة (للبليميين). [١٣] شيمالو المجددة حياته يخلف ميراثاً فى المكان

الطيب حيث (هو) يقيم مؤقتاً فى فيلة الطيبة. شكلت أنت خيراً كثيراً وأعدت الحياة، تضرع دائماً لتعاظم الهبات العظيمة للقائد المستقيم ليقود الخير فى كل مكان لارضاء (الناس). [١٤] هجرة (خارامادويه) لجلب الخير مع نية مباشرة (عطاء الطعام للفقراء). البا والخا تعلمانا ما هو الطريق (و) تعطيان شكل عودة مولد الهبات. اعطاء شكل لتجديد الحياة العظيمة (الذى) يترك ميراثاً فى هذا المكان الطيب (هو) واجب لب الموروث. [١٥] نساء الشاقا الطيبات يحمدن ويتوسلن التقدير.... يسامينه هو يثمن ويمنح من فضله تنظيم الخير الكثير ليصنع حياة (لهذا) الشخص المبجل (خارامادويه). لا تغلق الخير وأرشده (إلى) النصر. [١٦] هو يطلب الإذن (لـ) الهجرة ليصبح كفوءاً للهيبة والخير. حياته تُخلف ميراثاً للخير، الموهوب من القائد. أروخيتايه الخير يتراجع عن ما يقدمه القائد (و) [١٧] ويفك الهجرة. أذهب صلي وأطلب الإذن لتعطي هدية الخير هذه، وجوده يخلف ميراثاً للخير. باتابوتكايه (عليه) واجب التزام الشرف وطلب الإذن (لـ) إعادة مولد (خارامادايه) ليفتح ويكس(يها). [١٨] الشخصية المثالية للعاهل التى تثبتها المباشرة. بادئاً أمجاده هو يكرس ويمنح الكثير من الخير ليعطي التغذية. شرف عظيم (لـ) الخا. [١٩] قطعاً بنية عطائك وهباتك السخية الموجودة للارشاد للخير والعطاء، يخلف وجوده ميراثاً للخير يوجه الحياة إلى المكان الذى يقيم فيه مؤقتاً القائد. أذهب نظم (الآن) الرحلة (و) أجعلها (فى) حالة جيدة التنظيم. [٢٠] عزز عملية الاصلاح، وأعد احياء هبات البا والخا، واجب اصلاحاته سيفتح حتماً اصلاح الملك. اصلاح الملك تحتاج للكثير. [٢١] إعادة المولد تتطلب ترك تراث روح النصير (أريتن) اصلاح عظيم، رحلة الخا (هى) لفتح تجديد الحياة. أنت (أريتن) قادرون على إعادة مولده لفتح با القائد. (أيها) الخالق. [٢٢] سيعقب الملك الأعلى تراثاً يعطي سمو نعمته الموجه إلى نصير (أريتن) هيبة أعظم (لـ) تجديد حياة فيلة. أطلق باب الخير الفعلي مفتوحاً (و) أرشده إلى النصير. [٢٣] العاهل يمتلك ٨ (مرات) السمعة الطيبة (لأي رجل آخر). أمنح النصير من فضلك (و) وأمنح بركة عظيمة للبا الخيرة، لتعلم (البشر كما هو) التقليد. أمنح بالطبع... القدرة على الاحتمال لموروث القائد.

ملحق رقم (٢)

خريطة رقم (١) الاستعمار المصرى في الدولة الجديدة

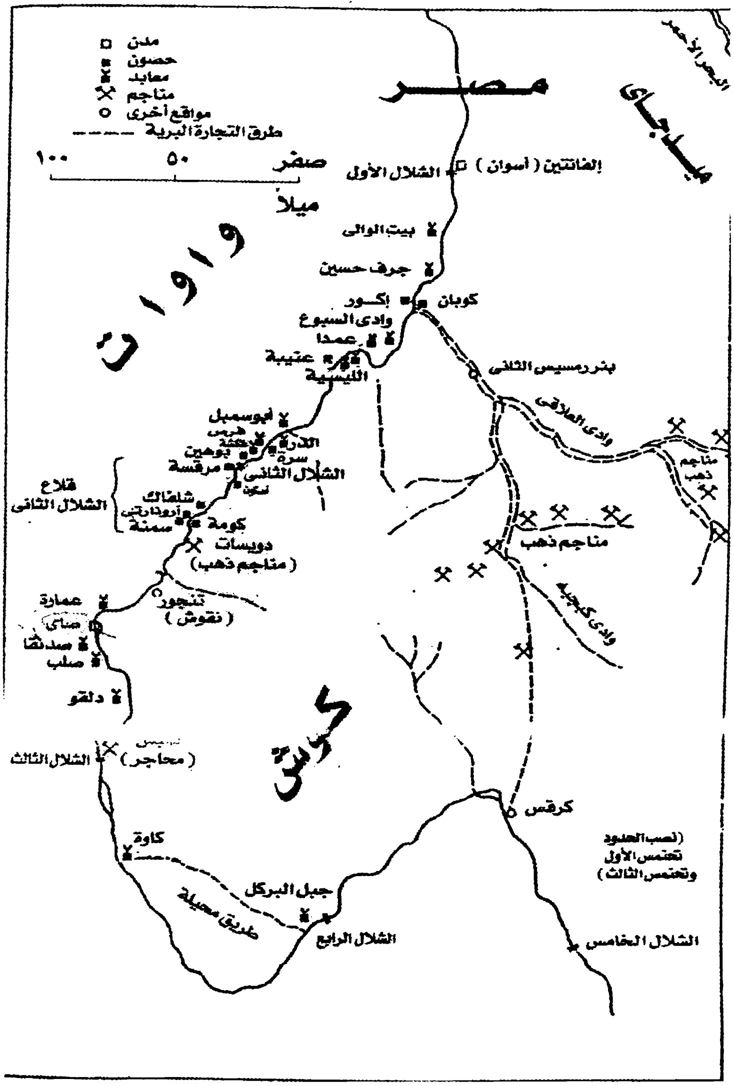

خريطة رقم (٢) توزيع مواقع معروفة لثقافة المجموعة الاولى (الافق أ)

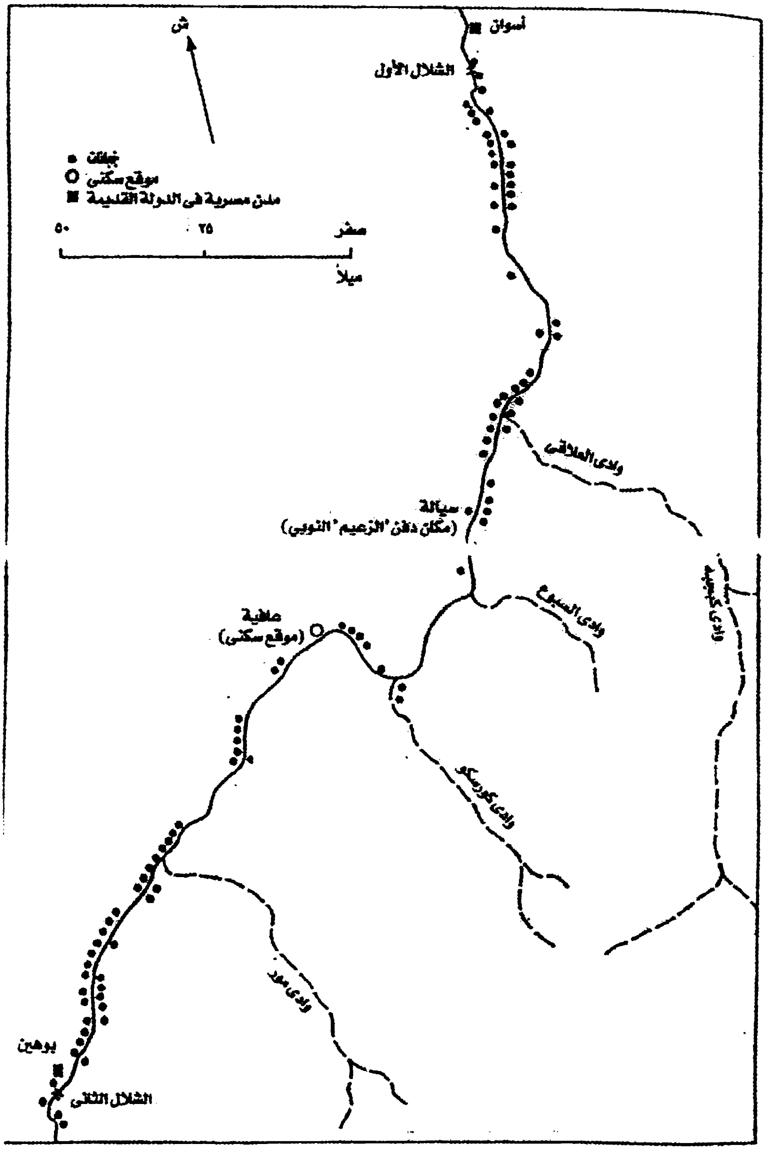

خريطة رقم (٣) توزيع المواقع المعروفة في ثقافة المجموعة الثالثة (الافق ج)

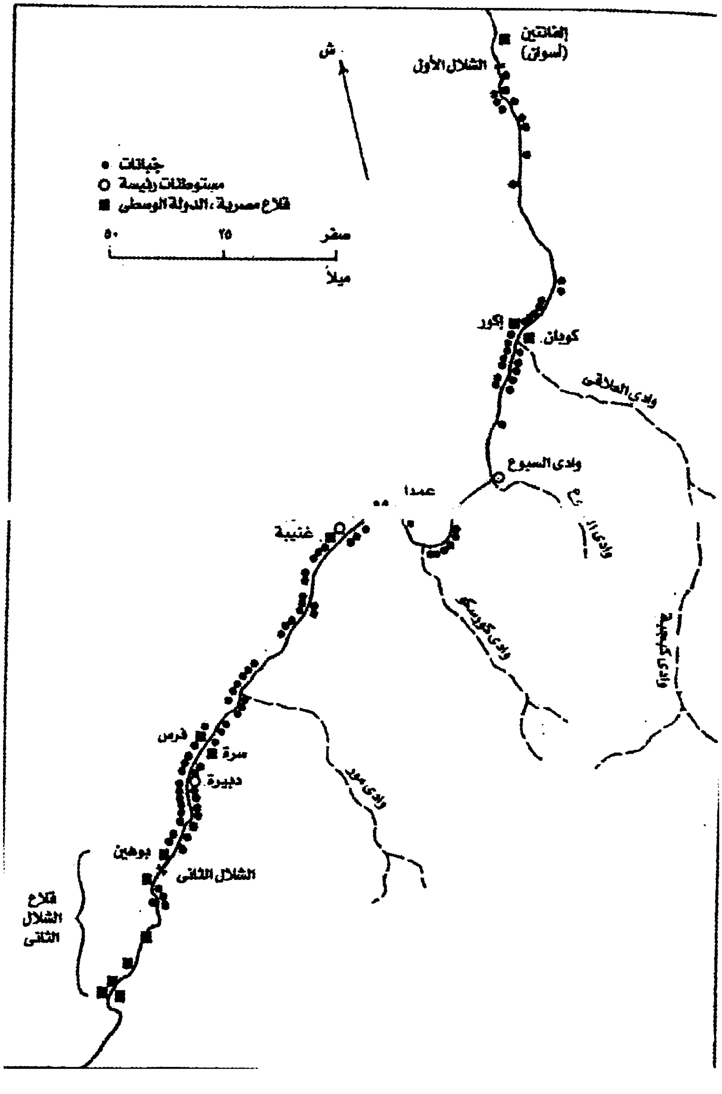

خريطة رقم (٤) النوبة العليا في الازمان التبتية

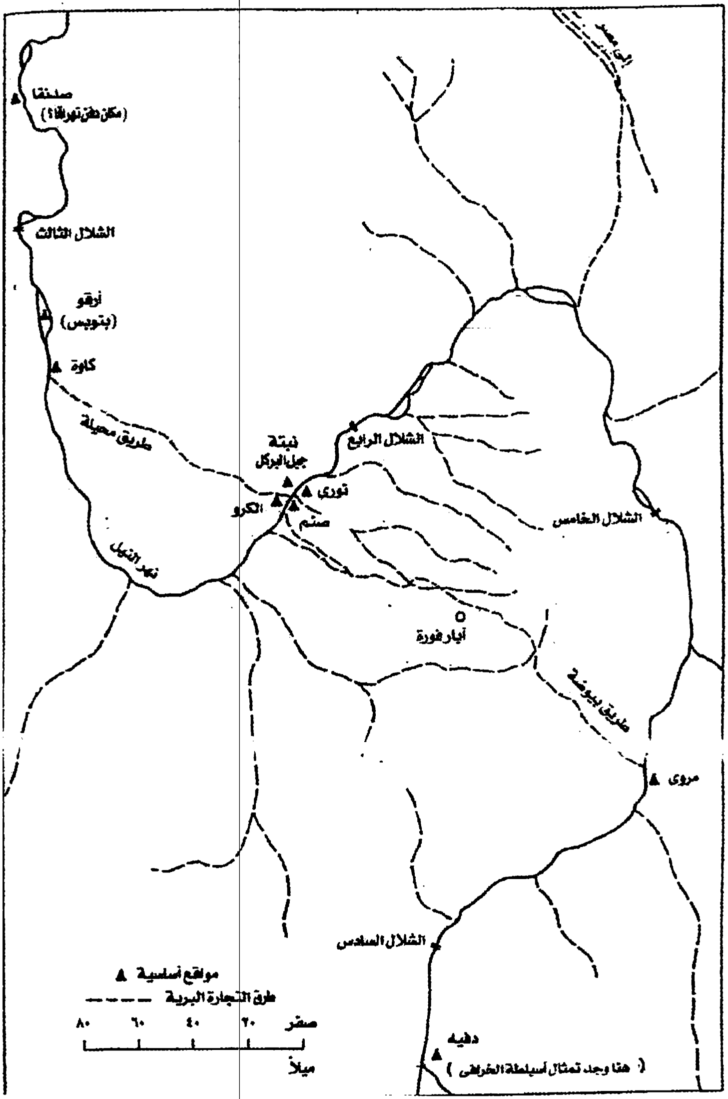

خريطة رقم (٥) مواقع مروية رئيسة في اراضي السهل

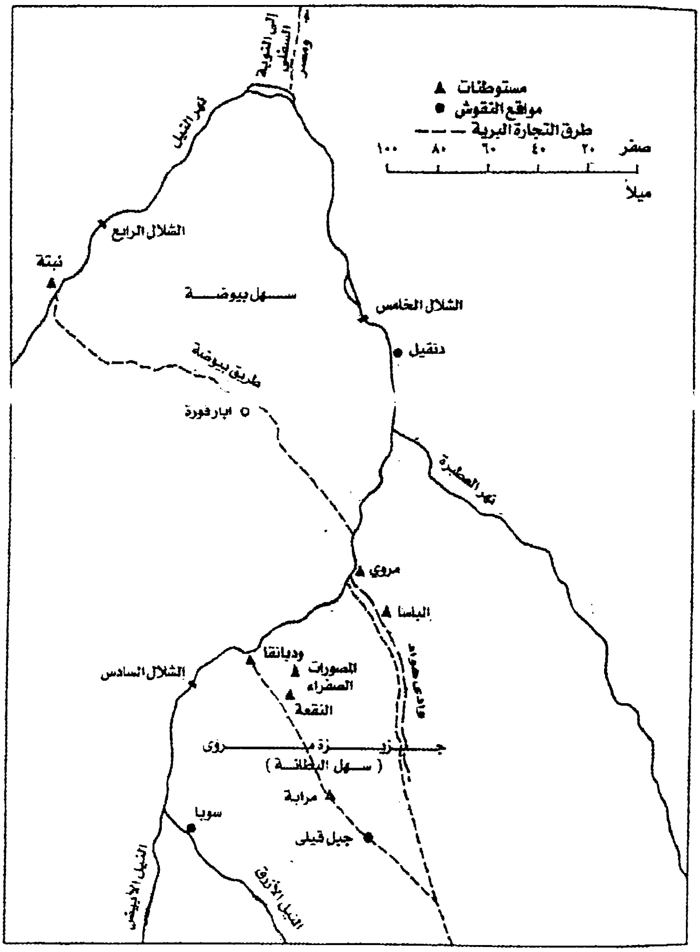

خريطة رقم (٦) النوبة السفلى في ازمان بلانة

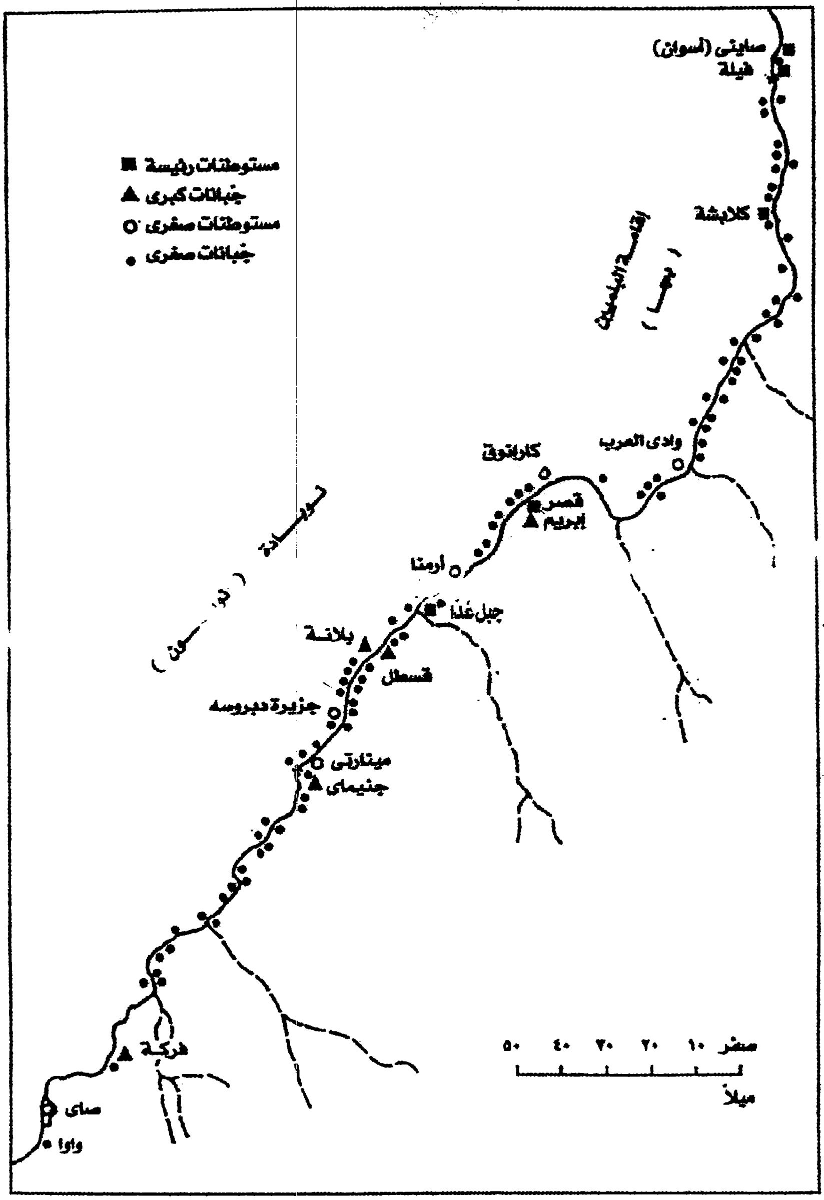

المصادر:

- ابن أبي الفضائل، كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد في مسعد، المكتبة السودانية.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ في مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية، الخرطوم: جامعة القاهرة
  - بالخرطوم ، ١٩٧٢، فيما يلي نشير إليه: مسعد، المكتبة السودانية. وكذلك نسخة موقع الوراق

  - warraq.com كل ما أخذته من موقع الوراق راجع إلى عام ٢٠٠٥.

- أحمد الياس حسين، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب. رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الآداب جامعة القاهرة الأم ١٩٧٧.
- أحمد الحفناوي، سودان وادي النيل في ظل الإسلام القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢
- أحمد بن علي، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦١.
- توروك، لازلو "تاريخ ما بعد مروي وآركيولوجيته" ترجمة أسامة عبد الرحمن لنور. أركاماني العدد السادس ٢٠٠٥
- الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٦٤
- الجبرتي، عجائب الآثار موقع الوراق
- جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام ص ١٢
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. العراق: جامعة بغداد ١٩٩٣.
- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب موقع الوراق.
- الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي، وصف إفريقيا تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر ط ٢ دار الغرب الإسلامي ١٩٨٣ (كتب مذكراته في روما ١٥٢٦)
- حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية. موقع الوراق.
- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ج ١ ص ٢٨. موقع الوراق.
- ابن حوقل، صورة الأرض بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٧٩

- خريدة العجائب في مسعد، المكتبة السودانية
- ابن خلدون، كتاب العبر، في مسعد، المكتبة السودانية، وكذلك موقع الوراق
- رودلف كوبر، "في أثر الرعاة المبكرين" مجلة الآثار السودانية، العدد الثالث، أغسطس ٢٠٠٢.
- سيدة اسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام: من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية. بيروت: درا الرائد العربي ط ٣، ١٩٨٦
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام
- السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب
- شوقي عطا الله الجمل، تاريخ سودان وادي النيل. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٩
- الصحاري، كتاب الأنساب موقع الوراق
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك موقع الوراق
- عباس العزاوي، عشائر العراق. موقع الوراق
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر طبعة لجنة البيان ١٩٦١
- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٠
- عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاث الأولي للهجرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢
- عبد المجيد عابدين، في تحقيقيه لكتاب: المقريزي، *البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب*: مع دراسة في تاريخ العروبة في وادي النيل. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩
- أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر مصر: ١٣٢٥.
- ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك في مسعد الإسلام والنوبة
- القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص ٢٧. موقع الوراق.
- كلايدي ونتر، "بينة مروية عن الامبراطورية البليمية في الدوديكاسخيونس" ترجمة اسامة عبد الرحمن النور. مجلة الآثار السودانية، العدد ٥ مارس ٢٠٠٤ (online)
- ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبرى. موقع الوراق
- الكندي، كتاب الولاة والقضاة، تحقيق رُفِن جُوست. طبعة بيروت ١٩٠٨. أعادت نشره دار الكتاب الإسلامى
- محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١.
- محمد سليمان أيوب، "جرمة في عصر ازدهارها" بحث قدم للمؤتمر التاريخي بجامعة ليبيا نشر في كتاب: ليبيا في التاريخ، طرابلس: ١٩٦٨

- ـــــــ ، ليبيا في التاريخ بنغازي: كلية الآداب ، جامعة ليبيا ١٩٦٨.
- محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان: ممالك البجة قبائلها وتاريخها. القاهرة دار الاتحاد العربي للطباعة ١٩٦٢
- محمد عزة دروزة، عروبة مصر
- ـــــــ، العرب قبل الإسلام
- محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات تحقيق يوسف فضل جامعة الخرطوم: دار التأليف والترجمة والنشر ط ٣، ١٩٨٥
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محي الدين القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٨.
- ـــــ، أخبار الزمان بيروت: دار الأندلس ب. ت.
- ـــــ ، التنبيه والاشراف بيروت: دار ومكتبة الهلال ١٩٨١.
- مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢
- ـــــ ، المكتبة السودانية العربية: مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى الخرطوم: جامعة القاهرة ١٩٧٢.
- المغيري، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب. موقع الوراق http://www.alwarraq.com
- المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ٢٣٣. موقع الوراق.
- ـــــ، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مع دراسة في تاريخ العروبة في وادي النيل تحقيق عبد
  - المجيد عابدين، اسكندرية: دار المعرفة الجامعية
- ـــــ، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الابريزي. دراسة وتحقيق د عبد المجيد دياب. دبي: دار الفضيلة تاريخ
  - الايداع بدار الكتب
- ـــــ، كتاب المقفى في مسعد، المكتبة السودانية
- المهلبي، المسالك والممالك عاش بمصر حيث ألف كتابه وأهداه للخليفة الفاطمي العز لدين الله، ولكن الكتاب الآن مفقود ونقل عنه المؤرخون اللاحقون.
- الهمذاني، صفة جزيرة العرب، موقع الوراق
- هنري برستد تاريخ مصر أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة كمال حسن

- وليام آدمز، "إختراع النوبة" ترجمة أسامة عبد الرحمن النور. مجلة الاثار السودانية ، عدد رقم ٢ (٢٠٠٠)
- ـــــ النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود القاهرة: ٢٠٠٤.
- ونتر، كلايدي، "بينة مروية عن الامبراطورية البليمية في الدوديكاسخيونس" ترجمة اسامة عبد الرحمن النور. مجلة الآثار السودانية، العدد ٥ مارس ٢٠٠٤.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان موقع الوراق
- اليعقوبي، كتاب البلدان في مسعد، المكتبة السودانية

- Arkell, A. J. (1955), *A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821*. London: University of London.
- Bates, Oric (1970), *The Eastern Libyans.* First edition 1914, new impression London: Frank Cass & Co. Ltd.
- Bernard, Hans *Sire, il n'y a pas de Blemmyes: A re-evaluation of Historical and Archaeological Data.*
- Bernard Heine and Derek Nurse eds. (2000), *African Languages.* Cambridge: University Press.
- Brass, Mikey (2001), 'Tracing the Development of Cattle Cult with Regards to Pre-Dynastic and Early Dynastic Egypt.'www.antiquityofman.com Cited on July 2005.
- Breasted, James Henry, *A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest.* New York: Charles Scriber's Sons.
- Bury, J. B. (1958), *History of the Late Roman Empire.* NEW York: Dover Publication.
- Butler, Alfred J. (1978), "The Treaty of Misr in Tabari" in his book *The Arab Conquest of Egypt.* Oxford: University Press, 2nd ed.
- Clark, J. Desmond (1992), "Human Populations and Cultural Adaptations in the Sahara and Nile" in Kendall, T., *The Earliest People in Nubia.*

- Crawford, O. G. S. (1955) (ed.), *Ethiopian Itineraries Circa 1400 – 1524.* Cambridge: Cambridge University Press.
- Daniels, Charles (2002), "Africa" in Wacher, John ed., *The Roman World.* London and New York: Routledge.
- Desanges, M. (1981), "The Proto-Berbers" in Ki-Zerbo, ed. *General History of Africa, Methodology and African Pre-history Vol. 1.* Paris: UNESCO.
-

iop, Cheikh Anta (1974), *The African Origin of Civilization: Myth or Reality.* Chicago: Review Press.
- ----------- (1981) "Origin of Ancient Egyptians" in Mokhtar ed. *General History of Africa II: Ancient Civilization of Africa.* UNESCO.
- Eide et al, (2000) (eds), *Fontes Historiae Nubiorum,* 4 volumes. University of Bergen 1994-2000.
- Herodotus, (1990). *The History of Herodotus.* Robert P. Gwinn Publishers 2nd ed.
- Hoffman,Michael A. (1991), *Egypt before the Pharaohs, the Prehistoric Foundation of Egyptian Civilization.* Austin: University of Texas Press.
- Hugot, H. J. (1981) "The Prehistory of the Sahara" in Ki-Zerbo, J., ed. (1981), *General History of Africa I: Methodology and African Pre-history.* Paris: UNESCO.
- Hussein, Ahmed Elyas, *Africa the Mother Continent: An Introduction to its Ancient History.* Unpublished.
- Hussein, Ahmed Elyas, (2003). "The Missing Links: Relations between Early Cultures of the Sudan and the Western Frontiers of the Nile before the End of the 4th Millennium BCE." A paper presented to

the Sudanese Studies Association at George Washington University in August 2003, Washington.
- Illiffe, John (1996). *Africans: the History of a Continent.* Cambridge: Cambridge University Press
- Kendall, Timothy. *The Earliest People in Nubia.*
- Kerwan, L. P. (1937). "A Survey on Nubian Origin", *S.N.R.* xx
- Ki-Zerbo, J. ed. (1992). *General History of Africa I: Methodology and African Prehistory.* Oxford: Heinemann International Literature and Textbooks.
- Leaky, L. Richard and Levin, (1977). *Origins Reconstructed in Search of What Makes us Humans.* New York: Doubleday.
- MacMichael, H. (1967). *A History of the Arabs in the Sudan.* London: Frank Cass & Co. Ltd. 2nd ed.
- Martin, A. J. William and Hugues, Faure eds. (1980). *The Sahara and the Nile: Quaternary Environment and prehistoric occupation in North Africa.* Rotterdam: A. A. Balkima.
- Martin, B. G. (1969) "Kanemm Bornu and Fezzan, notes on the political History of a Trade Route" in *Journal of African History* Vol. X, No.1.
- Milne, J G. *A History of Egypt under the Roman Rule.*
- Mori, Fabrizio (1998). *The Great Civilizations of the Ancient Sahara: Neolithisation and the Earliest Evidence of Anthropomorphic Religions.* Rome: L'Erma.
- Olderogge, D (1936). "Migrations and Ethnic and Linguistic Differentiations" in Ki-Zerbo, J. ed. (1992). *General History of Africa I: Methodology and African Prehistory.* Oxford: Heinemann International Literature and Textbooks.
- Palmer, R. (1936). *The Bornu Sahara and Sudan.* London.

- Petrie, Flinders (1939). *The Making of Egypt.* London: Sheldon Press.
- Pliny the elder, *The Natural History.* Book xi, Chapters 33, 34. Online.
- Said, R. (1981). "Chronological Framework: African Pluvial and Glacial Epoch" in Ki-Zerbo, J ed. (1992). *General History of Africa I: Methodology and African Prehistory.* Oxford: Heinemann International Literature and Textbooks.
- Samkange, Stamlake (1971), *African Saga: A Brief Introduction to the African History.* Nashville: Abingdon.
- Strabo, *Geography.* Book xvii (online)
- Trimingham, J. S. (1983). *Islam in the Sudan.* London: Frank Cass & Co.
- Wendorf, Fred and Hassan, Fekri A. (1980). "Holocene Ecology and the Prehistory of the Egyptian Sahara" in Martin, A. J. Williams and Hugues, Faure Eds. (1980). *The Sahara and the Nile: Quaternary Environment and Prehistoric Occupation in North Africa.* Rotterdam: A. A. Balkema.
- Wendorf, Fred et al (1998). "Megalithic and Neolithic in Southern Egypt" in *Nature.*
- Wendorf, Fred and Rouald, Schild (1994). "Are the Early Holecene Cattle in the Western Sahara Domestic or Wild" in *Journal of Anthropological Archeology,* 3 No. 4. Online.
- Wacher, John ed. (2002). *The Roman World.* London: Rutledge, Vol. 1.
- Vercoutter, Jean (1992). "Discovery and Diffusion of Metals and Development of Social Systems up to the Fifth Century before Our Era" in Ki-Zerbo, J. ed. *General History of Africa I: Methodology and African Prehistory.* Oxford: Heinemann International Literature and Textbooks.

- Encyclopedia Encarta 2000 online.
- JewishEncyclopdi.com
- Wikipedia the free encyclopedia

A

Adiabari، ٢٠٦
Agathemerus، ١٩٣

ؤ

ؤAgaua، ١٧٩

A

Alele، ٢٦١
Amida، ١٧٧
Armi، ١٧٣
Aujilae، ٢٦٠

B

Barakhia، ٢٣٨، ٢٤٠
Basilkos، ٢٠٠
Bulahau، ٢١٦
Bury، ٢٤٥، ٢٤٨، ٣٠٢

C

Coptos، ٢٢٦، ٢٣٩

D

Daro، ١٧٧
De Villard، ١٩٣
Dembian، ١٧٩
Derry، ١٧٢، ١٧٣
Diocletian، ٢٢٦، ٢٦٤
Dodekaschios، ٢٢٢

E

Egypt، ١٨٥، ٣٠٢
Eide، ٢١١، ٢١٦، ٢٣١، ٢٣٥، ٣٠٢
Ella، ١٧٧
Ergamenes، ٢٣٩
Ethiopians، ٤٩، ١٧٠

F

Fertoti، ١٧٧
Firth، ٢٤١

G

Gellaba، ٢٦١
Grassy valley، ١٨١

H

Harsiotef، ٢١٧
Hintze، ٢١٨

I

Irm، ١٧٣

K

Kasu، ١٧٧
Keane، ٢٥٩
Kemalke، ١٧٧
Khababash، ٢١٨
Khambes-wten، ٢١٨
kharahiet، ٢٣٧، ٢٤٠
Kharakhen، ٢٣٧، ٢٤٠
kharapatkhur، ٢٣٧، ٢٤٠

M

Mangurto، ١٧٧
Marcianus، ١٩٩
Meded، ٢١٢، ٢١٧
Meluhha، ٢٠٨

N

Nabta Playa، ١٨٣
Nastasen، ٢١٨
Navile، ٨١
Nebed، ١٩٤
Nebu، ١٩٤
Necho II، ٢١٠

Nimiu، ١٧٣
Noba، ١٧٧، ١٩٥، ١٩٦
Nobatae، ١٩٦، ٢٦٤
Norden، ١٥٧
Noûβoι، ١٩٤
Nubae، ٩٦، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٦
Nubei، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦
Nyima، ١٧٣

O

Olympiodorus، ١٩٨
Bates Oric، ٥٠، ٩٥، ٩٦، ١٥٠، ١٥١، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٨٤

P

Pococke، ١٥٧
Ptolemais، ٢٢٦
Ptolemy، ٢٣٩، ٢٦٢

R

Rehrehs، ٢١٧
Reisner، ٢٤٠

S

Saha، ١٧٧
Sahara، ١٨٥
Salhen، ١٧٧
Seda، ١٧٧
Seligman، ١٧٢
Seyamo، ١٧٧
Shbataka، ٢٤٠
Sudan، ١٧١، ١٨٢، ٣٠١

T

Tabito، ١٧٧
Telelmis، ٢٤٦
Teqeridamani، ٢٢٥
Teriakontaschchoinos، ٢٢٢

أ

أبا مالك، ٧٦

أبجد، ٢٠

ا

ابراهيم باشا، ١٥٨

ابرهة، ٢٥، ٣٨، ٦١

ابريم، ١٩٩، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٦

ابزر، ٢٧٤

ابن إسحاق، ٢٦

ابن الأثير، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٢٩٨

ابن الجهم، ١٢٤، ١٣٩

ابن الحكم، ٢٦٩

ابن الكلبي، ٢٤، ٣٦، ٦٢، ١٣٣، ٣٠٠

ابن الورد، ٢٩٢

ابن الوردي، ١٤٥، ٢٩١، ٢٩٣

ابن بطوطة، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤١، ١٦٤

ابن تغري، ١٣٨، ١٦٠

ابن حزم، ٢٥، ٣٨، ٤٠، ٦١، ٢٩٩

ابن حوقل، ٣٣، ٣٤، ١٢٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٧٩، ٢٩٩

ابن خلدون، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٧٢، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٣، ١١٧، ١٢٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٦، ٢٧٧، ٢٨٧، ٢٩٩

ابن سعيد، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦

ابن سلام الجمحي، ٣٩

ابن سليم، ٣٤، ٧٧

ابن سليم الأسواني، ٧٧

ابن عباس، ٣٠، ٣٦

ابن عبد الحكم، ١١٢، ١١٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٩٩

ابن عبدالحكم، ٢٦٨

ابن فاطمة، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٩٠

ابن فضل الله العمري، ١٦٢، ١٦٤

أ

أبو البلماء، ٢٧٥
أبو البلماءِ، ٢٧٥
أبو العباس السفاح، ٦٢
أبو المكارم هبة الله، ١٤٣
أبو حديد، ١٨٠
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الغرياني التونسي المالكي، ٢٠
أبو عبد الله محمد بن علي، ١٤٣
أبو كنعان، ٣٤
أبو مهنا العمرابي، ١٦٢
أبي البار، ٢٥١
أبي الحسن، ٢٩٢، ٢٩٣
أبي الفضائل، ١٤٧، ٢٩٨
أبي بكر الصديق، ١٦٦
أبي ركوة الأموي، ١٤٣
أبي سلمة بن عبد الرحمن، ١٢١
أبي صالح، ٣٦
أبي كرب، ٢٦
أبي مروان بشر بن اسحاق، ١٤٣
أترك، ٣٠

أ

اثيوبيا، ١١، ٥١، ٥٤، ٦٩

أ

أجاثِمِرس، ١٩٢، ١٩٤
أجاثِمِرُس، ١٩٢
أحمد ابن طولون، ١١٠
أحمد الحفناوي، ٥٤، ٧٠، ٧١، ٢٩٨
أحمد بن طولون، ١٠٩
أخميم، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٩، ١٥٧

إ

إدفو، ١٣١، ١٣٢

آ

آدم، ١٦، ٣٠، ٥٨، ٢٥١
آدمز، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٣٠١

أ

أديَاري، ٢٠٦
أذربيجان، ٢٤

إ

إراتوستين، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١٢

ا

اراتوسطين، ٢٢٠

أ

أربين، ١٨١، ١٨٤

ا

ارتت، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٥٦
ارتريا، ١١، ٥١، ٩٨

أ

أرتريا، ٦٨
أرجين، ١٨٤
أرض البطانة، ١٧١
أرض قنورية، ٢٧٧
أركاماني، ٧٧، ١٧٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٩، ٢٩٨

آ

آركل، ١٧٦، ١٩١، ١٩٢، ٢١٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٧

أ

أرم، ٣١
أرمينيا، ١٤

آ

آزقار، ٣، ٢٥٢، ٢٨٨، ٢٨٩

ا

اسامة عبدالرحمن النور، ٧٧، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٩، ٢٣٢، ٢٩٧
اسحاق، ١٤٣

أ

أسد الدين، ١٢٣

ا

اسرائيل، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٦٤، ٨٥

أ

أسعد أبو كرب، ٦١
أسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام، ١٦

إ

إسماعيل بن جعفر الصادق، ١٦٠

أ

أسنا، ١٣٩

ا

اسوان، ١٣٩

أ

أسوان، ٣٤، ٧٢، ٧٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٦، ١١٨، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٦، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧١، ١٧٩، ١٨١، ١٩١، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٢، ٢٨٥
أسيا، ٢، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ٤٥، ٤٧، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٠٠، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١٢٢، ٢١٤، ٢٤٤، ٢٦٢

آ

آسيا، ٤٦

ا

اسيوط، ١٢٩

أ

أسيوط، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨
أشمون، ٣١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣١، ١٥٥
أعالي النيل، ٢٠٩
أعالي نهر سيدا، ١٧٧
أفاريس، ١٧٤
أفريقش، ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٣٩، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٧٦
أفريقش بن قيس بن صيفي، ٢٤، ٦٠، ٦١

ا

إفريقيا، ٢، ٤، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٩، ٢٧، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٦٠، ٦٨، ٧٠، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨، ١١١، ١٢١، ١٢٢، ١٥٠، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩٩، ٣٠١
إفريقيا الوسطى، ١١
افغانستان، ٢٠

أ

أفغانستان، ١٢١

إ

إقليم التاكا، ١٩٣

أ

أقليم السدود، ١٨١، ١٩٤

إ

إقليم الصعيد، ١٥٦
إقليم طيبة، ١٤٥، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٥٠
إقليم فزاني، ٢٦١
إقليم كوش، ١٧٣

أ

أكسوم، ١٧٠، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٩

آ

آكسوم، ١٩٩

ا

الابيض، ٤٥، ٤٦، ٧٩، ٨٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٣
الأحقاف، ٣١
الأخشيدي، ١١٠
الادريسي، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦
الأدفوي، ١٤٧
الأراميون، ١٠
الأردن، ١٦، ٨٥، ٢٦٠
الاستبس، ١٨٣
الاسكندر، ٢٧، ٢٨، ١١٠، ٢١٧، ٢١٨

الاسكندرية، ٥٧، ١٠٣، ١٥٤، ١٩٠، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٩٩

الأشوريون، ١٦

الاصطخري، ٣٣

الأفروآسيوية، ١٠، ١١، ١٢، ١٣

الأقصر، ١٣٣، ١٤٥، ١٧٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩

الأكديون، ١٠

الامام مالك، ١٦١

الامبراطور تاوداسيوس، ٢٢٨

الامبراطور ثيودوسيوس، ٢٣٩

الامبراطور قنسطنطين الأكبر، ٢٢٩

الامبراطورة ثيودورا، ٢٤٥

الامبراطورية البيزنطية، ٢٥، ٢٢٦

الامبراطورية الرومانية الشرقية، ٢٥، ٢٢٦

الأمهرة، ١٠

الأمين، ١٠٧، ١٤٨

الأمين بن هارون الرشيد، ١٠٧

الأندلس، ١٠٤، ١١٧، ٢٢٦، ٢٧١، ٣٠٠

الأندلسي، ١١٩، ٢٧٠

الأوجيلي، ٢٦٠

الأوس، ٢٦، ١٢١، ١٢٦، ١٣٣

البابليون، ١٠، ١٦، ٨٧

الباري، ١٧٧

البجا، ٣٤، ٢١٢، ٢١٦، ٢٣٤

البجاوية، ٩٠، ٩٨

البجة، ١١، ٣٣، ٥١، ٦٠، ٦٤، ٦٧، ٧٦، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٥، ١٦٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٩، ٣٠٠

البحر الأبيض، ١٠، ١٤، ٥٠، ٧٤، ١٤٩، ٢٥٤

البحر الأبيض المتوسط، ١٠، ١٤، ٥٠، ١٤٩

البحر الأحمر، ٢، ٣، ١٧، ٣٣، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٦، ٨٠، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٦١، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٤

البحر المتوسط، ٤٦، ٤٧، ١٠٨، ١١٩، ٢٥٩

البحرين، ٢٦، ٣٠

البرقد، ١٩٢

البصرة، ٢٧٢

البطانة، ١٧٢، ١٧٨

البكري، ١٥٢، ١٥٣، ٢٧٠

البلاس، ٢٧٥

البلخي، ٢٣

البلد العلوي، ٢٤٦

التاميا، ٢٣٢

الترُجلُدايت، ٣، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٥٨

الترك، ٢٤، ٢٦

الجاحظ، ٧٧، ٢٩٨

الجبرتي، ١٥٧، ٢٩٨

الجرجاني، ٢٤، ٢٥، ٦٢

الجرف الكبير، ١٨٢

الجرمانت، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩

الجزائر، ٤٧، ٥٠، ٢٨٠

الجزيرة، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ٢٠، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٩، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٩، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٥، ١٥٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٨٤

الجزيرة Psebo، ٢٦٢

الجزيرة العربية، ١٣، ١٥، ٥٤، ٥٧، ٦٦، ٦٩، ٧١، ٧٥، ٩٥، ٩٨، ٢٠٥

الحارث، ٢٨

الحافظ، ٢٠، ٣٠

الحبشة، ٥٧، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٩، ١٩٩، ٢٢٩، ٢٨٢، ٢٩٢

الحجاز، ٢٠، ٣١، ٩٠، ٩٥، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٢

الحرازة، ١٨٠

الحرث، ٢٥، ٦١، ٦٤

الحرث الرائش، ٦١

الحسن الوزان، ٢٥٩

الحمدان، ١٣٠

الحمداني، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩

الحميري، ٦٣، ٧٦، ٨٠، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٩

الحيرة، ٢٦

الخاسا، ١٧٧

الخرطوم، ٤٧، ٧٢، ١٠٦، ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٤، ٢٤١، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٩٨، ٣٠٠

الخزرج، ٢٦

الخليج العربي، ٥٥، ٨٩

الدبة، ١٩١

الدلتا، ٨١، ٨٣، ٨٤، ١٠٦، ١٢٣، ١٧٤، ٢١٨

الدلتا الشرقية، ٨١، ٨٣

الرايش، ٢٨، ٦٤

الرائش، ٢٥، ٦١، ٦٤

الربيع، ٣٠، ١١٥

الروم، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٦٣، ٩٣، ١٠٣، ١٤٤، ١٤٥

الرومان، ١٧، ٤٨، ٧٦، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٨

الزبير بن العوام، ١٠٣

الساحل الافريقي، ٦٥

الساحل اليمني، ٦٥

السد العالي، ٧٨

السنغال، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١

السهيلى، ٢٥، ٣٩

السهيلي، ٢٥

السودان، ١، ٤، ٥، ٦، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٧، ٣٨، ٤٥، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٦٠، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٨، ١١٠، ١١٥، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٥، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٠٠

السيوطي، ١١٦، ١٢٢، ١٣٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٩

الشاسو، ٨٤، ٨٥، ٩٠

الشافعي، ١١٥، ١٦١

الشاق، ٢٣٢

الشام، ٩، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٣٥، ٣٩، ٥٩، ٦٤، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ١٢٦، ١٤٧

الشرق الأوسط، ٤٣

الشريف، ١٣٢، ١٦٧

الشريف زيد بن أبي نمي، ١٣٢

الشلال الأول، ٢٤٧، ٢٥٦

الشلال الثالث، ١٧٤

الشلال الثاني، ٢٢٢، ٢٤٧، ٢٥٦

الشهناب، ١٧١، ١٨٢، ١٨٩

الشيخ إدريس ود الأرباب، ١٨٠

الصاحب بن عباد، ٢٩٣

الصحاري، ٣٦، ٣٧، ٥٨، ٥٩، ٢٩٩

الصحراء الشرقية، ٥٨، ٧٥، ٨٩، ١٣٠، ١٣٩، ١٦١، ١٨٧، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٦

الصحراء العربية، ٨، ٢٥٤

الصحراء الغربية، ٥، ٩٦، ٩٧، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥

الصحراء الكبرى، ٢، ٨، ٩، ١٠، ١١، ٢٣، ٣٤، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٧٢، ٩٦، ١٠٣، ١٥٠، ١٨٧، ١٩٥، ٢١٥، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٨

الصحراء الكبري، ٤٩، ٩٦، ١٠٨، ٢١٥، ٢٨٧

الصحراء الليبية، ٢٥٣

الصغد، ٢٤

الصومال، ١١، ٥١، ٧٣، ٧٤، ٨٠

الصين، ٢٤، ٢٧، ٦٢، ٦٣

الضرب العدواني، ٩٩

الطبري، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٦٢، ١٤٠، ٢٩٩

الطفيل، ٩٩

الظاهر أبي سعيد برقوق، ١٥٣

الظاهر بيبرس، ١٣٢

العبرانيون، ١٠، ٨٥

العتباي، ٢٠٦

العجيل بن الذئب، ١٥٩

العراق، ٩، ١٠، ٢٠، ٢٦، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٧٠، ١٣٣، ١٣٩، ٢٩٨، ٢٩٩

العقبة الكبيرة، ١٥٤

الفاشر، ١٧٤، ٢٨٣

الفرات، ٢٦، ٨٤، ١٣٢، ١٣٤، ١٤٧، ١٦٦، ٣٠٠

الفرافرة، ١٨١

الفسطاط، ١٠٣، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٤٨

الفنتين، ٢٢٢، ٢٢٦

الفونج، ١٧٩، ١٨٠

إ

إلفي، ٤٤

ا

الفينيقيون، ١٠، ٨٧
الفيوم، ١٤٩، ١٥٢، ٢٨٥
القاش، ٦٨، ١٧٨
القاهرة، ١٠، ٥٤، ٦٠، ٦٦، ٧٢، ١٠٥، ١٠٦، ١١٤، ١٢٤، ١٣٨، ١٥٤، ١٦١، ١٨٩، ١٩٣، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٨٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١
القس لونجينوس، ٢٥١
القسطنطينية، ٢٥، ٢٢٦
القلقشندن، ٩٢
القلقشندي، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٩٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ٢٧٦، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٠
القمي، ١٤٠
القوقاز، ٢٠٩
القيروان، ٢٦٨
الكاجار، ١٩٢
الكانم، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥
الكدرو، ١٧٧
الكرنك، ١٧٤
الكلدانيون، ١٠
الكمرون، ١١
الكندي، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ٣٠٠
الكنز، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨
الكنعانيون، ١٠، ٣٥، ٨٦
الكوفة، ٢٧٢
اللاك، ٢٣٢
اللوتوفاجي، ٢٥٨
الليث بن سعد، ١١٣
المأمون، ١٠٦، ١١٥، ١٤٨

أ

ألمبيودورس، ١٩٨

ا

المتوكل، ١٤٠

المحدثة، ١٤٣

المحرقة، ٢٢٢

المحيط الأطلسى، ٢٧٦

المحيط الأطلسي، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ١٩٠، ٢٥٣، ٢٧٧، ٢٨٠

المحيط الهندي، ٥٥، ٦٧، ٦٩، ٧١

المستنصر، ١١٠، ١٤٥

المسعودي، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٩، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٧٧، ٩٥، ١٢٤، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٧٩، ١٨٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠٠

المعتصم، ١٠٧، ١٢٤، ١٤٨، ٢٧٢

المعدن، ١١١، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣

المعز لدين الله، ١١٠، ٢٧٧

المغرب، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٧٦، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٣٩، ١٥٤، ١٦١، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٨٠

المغرب الأقصى، ٢٧٤، ٢٨٨

المغيري، ٥٨، ٣٠٠

المقدسي، ٢٣

المقدم، ١٧٥، ١٩١

المقرة، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٩٩، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٩٦

المقريزي، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٥٧، ١٠٤، ١٠٥، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٦، ١٦٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٩، ٣٠١

الملك، ١٧، ٢٥، ٣١، ٣٧، ٦٣، ٦٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ١٣٧، ١٤٧، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٧٠

الملك باراخي، ٢٤٨

الملك باراخيا، ٢٣١، ٢٣٨

الملك خاراخن، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٨

الملك خارمادوية، ٢٣٢، ٢٣٥

الملك كاشتا، ٢٤٠

الملك نَستاسن، ٢١٨
الملكة حتشبوت، ١٧٤
الملكة كليوباترة السابعة، ٢١١
المملكة العربية السعودية، ١٦، ١٣٣، ٢٩٩
المنيا، ١٢٤
المهلبي، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٠١
الموصل، ٢٠، ٢٤
الميماء، ١٧٣
الناخبار، ٢٣٢
النسادوكا، ٢٣٢
النسل، ٢٢٥
النعمان، ٣٩
النوبة، ٣٣، ٣٤، ٥١، ٦٧، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٢، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١
النوميدي، ٧٥
النويري، ١٢٢، ١٣١، ١٣٤، ١٤٢، ١٦٦
النيجر، ١١، ١٢، ٤٨، ٥٠
النيل، ٣، ٤، ٦، ١٠، ١٧، ٣٩، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٥٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٤، ٨٩، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦
النيل الأبيض، ١٧١، ١٧٣، ١٧٩، ١٨١، ١٨٩، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤
النيل الأزرق، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٧
النيل الأصفر، ١٨٣، ١٨٦
الهكسوس، ١٨، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٧٤
الهلال الخصيب، ١٠، ١٣، ٢٥٣
الهمداني، ٨٩
الهند، ٩، ٨٤، ١١٦، ١١٧، ١١٩
الواحات، ٤٨، ٩٥، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٧

الواحات الخارجة، ٢٨٥
الواحات المصرية، ٢٦١، ٢٦٢
الواحة الخارجة، ٩٧، ١٨٢، ١٩١، ١٩٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٨٦
اليعقوبي، ١٠٦، ١٢٧، ١٤٠، ١٦٥، ١٧٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠١
اليمامة، ١٤٠
اليمن، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٩، ٧٥، ٧٦، ٨٩، ٩٥، ٩٨، ١٥١، ٢٢٢، ٢٣٨
الينبع، ٩٢، ١٣٥
اليوت سمث، ٨١

إ

إليوت سميث، ٢٤٣

ا

اليونان، ١٧، ٢٨، ٩٣

أ

أم درقة، ١٨٠

ا

امبرطورية الروم، ٢٢٦

أ

أمدرمان، ٢٦٠

إ

إمري، ٢٣٦، ٢٣٨
إمري، ٢٣٦

أ

أمير عرك أبوبكر بن الأحدب، ١٦٦
أنكلاس، ٢٧٥

أنلاماني، ٢١٦

أثمار، ٣٠

أوبديجراف، ٢١٦

أوجيلي، ٢٥٨

أوربا، ٢٥، ٣٥، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٦٣، ٧٩، ٨٤، ٩٦، ١٠٨، ١١٢، ١٢٠، ١٢٢، ٢٢٦

أوريك بيتس، ٤٩، ٥٠، ٩٦

أوزبكستان، ١٢١

أوزوريس، ١٩٩

أولبميودورس، ٢٤٢

ا

اولمبيودورس، ٢٢٨

أ

أوني، ٢٠٦

ا

ايام، ٩٣، ١٣١، ١٥٢، ١٦٨، ٢٠٦، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤

ايران، ٢٠، ٥٦

إ

إيران، ١٢١

إيزيس، ١٩٩، ٢٢٩

ب

باب المندب، ١٤، ٦٩

بابل، ٣٥

باتابوتكاية، ٢٣٢، ٢٣٣

باتاكاية، ٢٣١

باخورس، ٢٤٥

بارتون، ١٤

باكتمن، ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٥٠

باكستان، ١٢١

بالمر، ٢٨٣

باو، ٢٣٧، ٢٤٩

بتلر، ٢٣٩

بُتلر، ٢٣٩

بحر القلزم، ٩١، ٩٢، ٩٥، ١٣٥

بحيرة تانا، ١٧٩

بحيرة تشاد، ٦، ٤٧، ٤٨، ٥١، ١٨١، ١٨٦، ١٨٨، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٩٠

بحيرة كري، ٢٩٠

بحيرة كوري، ٢٩٠

بدج، ١٩٦، ٢٤٥

بر بن قيس عيلان، ٣٨

برزخ السويس، ٨٩

برستد، ٨١، ١٠٠، ١٠١، ٣٠١

برسند، ١٠٠

برقة، ١١٠، ١٥٤، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٨

بَرناد، ٢٣٨

برنارد، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٨

بَرنارد، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٨

بروكوبيس، ٢٦٤

بروكوبيوس، ٩٧، ١٩٦، ١٩٩، ٢٣٠، ٢٦٤

بريابوس، ١٩٩

بريطانيا، ٧٨

بشر، ١٠٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥

بشر بن صفوان الكلبي، ١٠٥

بطلميوس، ٩٦، ١٥١، ١٩٢، ١٩٤، ٢٦٢، ٢٦٤

بطليموس، ١٩١، ١٩٣، ٢٦٢

بعانخي، ٢٤٠

بكر، ٩٥، ١٣٤، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٠، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٤٦، ٣٠٠

بلاد القفر، ١٥١

بلاد كوري، ٢٩١

بلاد كوكو، ١٥١

بلاد ينه، ٢٩١

بلار، ١٦٠

بِلاق، ٢٨٢

بلال الحبشي، ١٢١

بلانا، ٢٢٧، ٢٤٤

بلانة، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤

بلايني، ١٥٠، ٢١٠، ٢٤٢، ٢٦٠، ٢٦٤

بلايني الكبير، ٢٠٦

بلبينوس، ٩٣

بلقمة، ٢٨

بلقيس، ٢٨، ٢٩، ٣٢

بلكريف، ١٤

بلوتارخ، ٢١١، ٢١٢

بلي، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٥، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٨

بليمي، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٤٩

بليني، ٩٦، ٢٦١، ٢٦٢

بليني، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٧٤، ٧٥، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٢٠١، ٢١٠، ٢١١

بني سليم، ١٢٠، ١٥٩

بني ثعلب، ١٢٦، ١٦٠

بهنسا، ١٥٢

بوركهارت، ١٥٨

بوري، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠

بوكوك، ١٥٧

بيتس، ٤٩، ٥٠، ٩٦، ١٥١، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥

بير صحارى، ١٨١

بير طرفاوي، ١٨١

بئري طرفاوي، ١٨٤

ت

تاج الدين اسماعيل بن مازن الهواري، ١٦٠

تاجوة، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٥

تافة، ٢٤٦

تالمس، ٢٤٦

تامال، ٢٣٦

تبستي، ١٨٢، ١٨٨، ٢٥٧

تبع، ٢٨
تبعا، ٢٥، ٢٦
تحوتمس الأول، ١٩٤
تدمر، ٩٦، ٢٢٦
تركمنستان، ١٢١
ترمنجهام، ٩٨، ١٨٠، ٢٢٥
ترياكونتاس، ٢٢٢
تشاد، ١١، ١٥٣، ١٨٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٩٧
تقردماني، ٢٢٤
تنتكنا، ٢٣٧
تنزانيا، ٦٧
توروك، ١٧٦، ٢٩٨
تونس، ٤٧، ٧٥، ٢٠٩، ٢٧١
تيودورا، ١٩٩

ث

ثيودور، ٢٤٥

ج

جابيلا، ٢٨٤
جاجة، ٢٧٣
جالوت، ٣٩
جالوس، ٩٣
جامعة بيرقن، ٢١٦
جامعة كولون، ١٨٧
جبال النوبة، ١٧٣، ١٧٥
جبال انيدى، ١٨٦
جبل العوينات، ١٨١، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٧
جبل رحيب، ١٨٦
جبل عبد الهادي، ١٩٢
جبل عوينات، ١٨١
جبل لونيا، ٢٨١، ٢٨٩
جبل مرة، ١٨٨

جبل ميدوب، ١٩٢
جبل نفوسة، ٢٠٩
جدة، ٩٥، ١٣١، ١٣٢
جديدي، ١٦٠
جذام، ٣٨، ٣٩، ١٣٣، ١٤٨، ١٥٣
جرجا، ١٦٧
جرجي، ١٨، ٨٤، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٢٩٨
جرجي زيدان، ١٨، ٨٤، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٢٩٨
جرجير، ٦١
جَرَما، ٢٦٠
جرمة، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٨، ٣٠٠
جَرَمة، ٢٦٧
جزام، ١٢٣
جزيرة تناري، ١٤٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٠
جزيرة فيلة، ١٩٩
جزيرة مروي، ١٧٧، ١٧٨
جزيرة مروي الوسطى، ١٧٧
جستنيان، ٢٤٤، ٢٤٨
جسر سوهاج، ١٢٨، ١٢٩
جسر سوهاي، ١٢٩
جعد، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٨
جعفر، ١٢٣، ١٢٥
جنوب السودان، ١٢، ١٨١
جنوب كردفان، ١٢
جنوب ليبيا، ٦، ١٢، ٥١، ١٨١، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٥
جنوب مصر، ٢، ٥، ٧، ٨٠، ١٠٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٦، ٢٠٧
جنيد، ١٦٢
جهينة، ٩١، ٩٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٤، ١٦٨
جواد على، ٣٩، ٨٥
جواد علي، ٩، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٣٩، ٢٩٨
جوبا، ٧٢، ٧٤، ٧٥
جيرلند، ١٤

جيمس، ١٠٠

جيمي، ٢٧٣، ٢٩٥

ح

حام، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٦٤، ٢٧٦

حاما، ٣٤

حران، ٢٠

حرخوف، ٢٥٥

حسان بن ثابت، ١٢٦

حسن كمال، ١٠٠

حضر موت، ٣١

حطي، ٢٠

حلفا، ٥٦، ٧٢، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٤٣

حمير، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٧٦، ١٥٩

حنيفة، ١٢٣، ١٤٠

حوض الدانوب، ٢٠٩

حوض النيجر، ١٩٢

خ

خاراباتخور، ٢٣٧

خاراباتكور، ٢٣١

خاراخن، ٢٣٧

خاراخِن، ٢٣٧

خاراخِيت، ٢٣٧

خارامادوية، ٢٣١، ٢٣٢

خارامادويه، ٢٣١، ٢٣٢

خاراهايت، ٢٣١

خالد بن الوليد، ٥٨

خالد بن صفوان، ٦٣

خاوَر، ٢٦٨

خباباش، ٢١٨

خراباتخور، ٢١٩

خراخت، ٢١٩

خراخن، ٢١٩
خراسان، ٢٠
خرسان، ٢٧٢
خزيمة، ١٢٥
خليج سرت، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٥
خميس - وتن، ٢١٨
خور بركة، ٦٨
خورشيد، ١١٥

د

دارفور، ١٢، ٥٠، ٥١، ٩٧، ١٣٨، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩٧
دارو، ٢١٨
داليون، ١٩٠
داود، ٢٥، ٣٩
داؤد، ١٩٢
داؤد كُبارا بن يوسف، ١٩٢
دجلة، ٢٦، ٧٥
درب الأربعين، ١٩١
دروزة، ٧٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٧
دغيم، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥
دقلديانوس، ٩٧، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٦٤
دمشق، ١٨، ٩٦
دنقلا، ٣٤، ١٣٤، ١٨١، ١٨٦، ١٩٢، ٢١٢، ٢١٩، ٢٤٧، ٢٨٠، ٢٩١، ٢٩٤
دنقلة، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٧، ١٧٩، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٦
دنيال، ٢٨٨
دوديكاس، ٢٢٢
دولة مروي، ١٧٠، ١٧٦
دي فلارد، ٢٤٧
ديودورس، ٤٧، ٥٤، ٥٧

ذ

ذا الاذعار، ٢٤، ٦٠
ذو المنار، ٢٥، ٦١، ٧٦

ذو الهار، ٣٨
ذي الأذعار، ٢٦، ٢٨
ذي المنار، ٢٨، ٧٦
ذئب، ٣٠

ر

رأس دواير، ١٣١
رايزنر، ٢٤٠، ٢٤٣
ربيع، ٣٠، ١١٥
ربيعة، ٣٠، ١٠٦، ١١١، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٥
ربيعه، ٣٠
رفاعة، ١٣٣، ١٤٨
ركن الدين، ١٣٧، ١٤٧
رواحة بنت السكر، ٢٨
روجرز، ٢٧٠
ريدان، ١٧٧

ز

زامل الثاني، ١٦٢
زعازع، ١٥٥، ١٦٠
زُعازع، ١٥٥
زنوبيا، ٩٦، ٢٢٦
زويلة، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٣

س

ساش، ٥٨
سام، ١٨، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٥٨
سام بن نوح، ١٨، ٥٨
ساما، ٣٤
سانسانوس، ٢٣٧
ساويرس بن القفع، ١١٦
سبأ، ١٦، ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٧٦، ١٥٩
سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب، ٢٧

سترابو، ٥٧، ٦٠، ٧١، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٤٢، ٢٦٢، ٢٨٤
سترابوبليني، ١٧
سجلماسة، ٢٨٩
سد مأرب، ٧٠، ٩٨
سدراتة، ٣، ٢٥٢، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨
سراج، ١١٥
سرية، ١٨٠
سَطِيحٌ، ٣٠
سعد بن معاذ، ١٢٦
سعفص، ٢٠
سعيد بن بطريق، ١١٦
سغوة، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٧
سلكو، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١
سلمان الفارسي، ١٢١
سليم، ٣٤، ١١١، ١٤٠، ٢٧٢
سليمان (عليه السلام)، ٢٤، ٦١
سليمة، ١٨١
سمرة، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥
سمرة بن كامل العامري، ١٦٢، ١٦٤
سمرة بن مالك، ١٦٤
سمرقند، ٢٤
سمنة، ١٧٢
سمية، ٢٨٥
سنار، ٧٢، ١٧٢، ١٧٤
سنبس، ١١١، ١٢٣
سنترية، ١٥٢، ٢٨٥
سنوسرست الأول، ١٧٣
سواكن، ١٣١، ١٣٢، ١٤٢، ١٤٩، ١٦٥
سوبا، ٢٤٧
سوبة، ١٨٠، ٢٩٦
سوريا، ١٦، ٥٩، ٨٤، ١٢٧، ٢١٥، ٢٢٦
سيبويه، ١١٧
سيدة، ٧٩، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ٢٩٩

سيدة اسماعيل، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ٢٩٩

سيزستريس الثالث، ١٧٢

سيمونيد، ١٩٠

سينا، ١٤، ٥٨، ٦٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٩

ش

شادِ، ١٥٩

شادي، ١٥٩

شاراتكور، ٢٣٧

شاراشن، ٢٣٧، ٢٣٨

شاراهيت، ٢٣٧

شارب، ٩٣، ٩٤، ٩٥

شارلس دانيال، ٢٢٨

شارلس دانيالز، ٢٢٢

شبه الجزيرة العربية، ٩، ١٠، ١٤، ١٥، ١٨، ٥٦، ٥٩، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧٩، ١٠٩، ١٣٥، ١٥٠، ٢٠٥، ٢٦٠

شتر بن غنيم العامري، ٢٠

شداد، ٣١

شديد، ٥، ٣١، ٢٨٦

شراشن، ١٤٥، ٢٤٨

شرف الدين عيسى بن عمر الهواري، ١٦٠

شرق إفريقيا، ١٤، ٤٥

شرق السودان، ٩٨

شرقي البحر المتوسط، ١٧

شريف، ١٣٤، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧

شق، ٣٠

شكران، ٣٠

شكندة، ١٤٧

شمال إفريقيا، ٢، ٣، ٦، ١٤، ٣٧، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٦٠، ٨٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١١، ١٢١، ١٢٢، ١٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨٦، ٢٩٧

شمال السودان، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٠، ١٩٨، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٦

شمال أم درمان، ١٧١

شمال تشاد، ١٨٢

شمال دارفور، ١٨٩

شمال كردفان، ٥١، ١٨٠، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٦٤

شمال مروي، ١٧٧
شمإلى مالي، ٥٠
شمر، ٦٣
شوقي، ٦٦، ٦٧، ٧٣، ٧٤، ٩٥، ٢٠٦، ٢٩٩
شوقي الجمل، ٦٦، ٧٣، ٧٤، ٩٥
شيبان، ١٢٣، ١٣٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٦، ١٦٨
شيركوه، ١٢٣

ص

صالح، ١٠، ٥٥، ٦٠، ٨٤، ٩٠، ٩٨، ٢١٨، ٢٥٥، ٢٩٩
صحاري، ٣١
صحراء العتباي، ١٣٨
صحراء بيوضة، ١٨١، ١٨٩، ٢٥٩، ٢٦٠
صحراء سينا، ٢، ٥٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٨، ٨٩
صحراء سيناء، ١٤٢
صحراء شبه الجزيرة العربية، ٩، ١٠، ١٥٠
صحراء عيذاب، ١٣٠
صحراء ليبيا، ٢٥٣
صعصعة، ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩
صعيد مصر، ٧٧، ٩٥، ١٥٤، ١٨٢، ٢٠٧، ٢٣٨، ٢٥٠
صقلية، ٢٧٠
صلاح الدين الأيوبي، ١١٠، ١١١
صنهاجة، ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٣٩، ٦١، ٦٢
صهيب الرومي، ١٢١
صيفي، ٢٨، ٣٨

ض

ضرار، ٦٠، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ٩٩، ٣٠٠

ط

طاجكتان، ١٢١
طرابلس، ٢٠٩، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٩، ٣٠٠
طلحة، ١٢٣، ١٢٦، ١٦٧

طلحة بن الزبير، ١٢٦
طلحة بن عمر التيمي، ١٦٧
طور سيناء، ١٦
طيء، ١١١، ١٢٣
طيبة، ٩٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٤، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٩٢

ع

عا أوسر رع أبيي بن رع، ١٧٤
عابد بن قاسم، ١٦٢
عاد، ١٨، ٣١، ١٣٦، ٢٦٨
عامر، ٩٨، ٩٩، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩، ٢٦٨، ٢٩٩
عبد العزيز بن مروان، ١١٦
عبد العزيز سالم، ١٦، ٢٩٩
عبد العزيز صالح، ٢٥٥
عبد الله، ٢٠، ١١٤، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٦، ١٤٣، ٢٩٩
عبد الله برشمبو، ١٣٦
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكرالصديق، ١٢٦
عبد الله خورشيد، ١١٤، ١٢٤، ٢٩٩
عبد المجيد، ٨٩
عبد المجيد دياب، ١٠٥، ١١٦، ١٢٠، ٣٠١
عبد المجيد عابدين، ٥٨، ٦٥، ٨١، ٨٢، ٨٩، ٩٠، ١٠٤، ١٢٨، ٢٩٩
عبد الملك، ١٥٢، ٢٨٦
عبد الناصر، ٧٨
عبد شمس، ٢٧، ٣٠
عبد مناف، ٣٠
عثمان، ١٠٤، ١٢٥، ١٨٩، ٢٦٢
عدنان، ١٩
عدي، ٣٠
عذر، ١٢٣
عذرة، ١٢٣، ١٤٨، ١٤٩
عروة بن الزبير، ١٢٦
عساكر، ٣٠، ١١٠
عقبة، ٩١، ٩٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠

عقبة أيلا، ٩٢

عقبة بن نافع، ٢٦٨، ٢٦٩

عقبة قار الخراب، ١٢٩

عكرمة، ١٢٦

علوة، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٠، ١٩٩، ٢٥١، ٢٩٦

علوة المسيحية، ٢٥٠

عمان، ٣١

عمر، ٣٢، ١٠٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨

عمر بن الخطاب، ١٢٧، ١٦٧

عمر بن العاص، ١٢٧

عمر بن عبد العزيز، ١٦٠

عمرو بن العاص، ١٠٣، ١٤٤، ٢٦٧، ٢٦٨

عمليق، ٣٥

عنقر، ٣٠

عوص، ٣١

عيدان، ١٢٩

عيذاب، ٣٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٦٣، ١٦٤

عيزانا، ١٧٠، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٥، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٩٥

غ

غانة، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٩٤

غدامس، ٢٦١، ٢٧٦

غرغة، ٢٨٢

غريان، ٢٠٩

غسان، ٣٠

ف

فارس، ٢٤، ٢٦، ٣٨، ١١٠

فازوغلي، ١٧٤

فرث، ٢٤١

فرس، ٩٧، ١١٤، ١٥٧، ٢٠١، ٢٤٥

فزان، ٣٥، ١٥٢، ١٨١، ٢٠٩، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٨

فلسطين، ١٦، ١٨، ٢٠، ٦٤

فيلة، ٢٠٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٥

ق

قحطان، ١٨، ١٩، ٢٧، ٢٨، ٦٣، ١٢٤

قرشت، ٢٠

قرية العطواني، ١٣١

قريش، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٨، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٦، ١٦٧

قسطنطينية، ٢٥

قصر أم عيسى، ٢٧٤

قصي، ٣٠

قضاعة، ٨٩، ٩٠، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٥٩، ١٦٨

قلعة ألدو، ١٤٧

قمنورية، ٢٧٦

قمولة، ١٢٨، ١٢٩

قندافة، ٩٣، ٩٤

قيس، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٦٠، ٦١، ١٠٥، ١٢١

ك

كابيلا، ٢٨٤

كاجا، ١٨٠

كازاخستان، ١٢١

كافور الاخشيدى، ١٤٥

كامس، ١٧٤

كانم، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٥

كاهل، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٨، ١٦٥

كاو، ٢٦٩

كبوشية، ١٧٤

كتامة، ٢٤، ٢٥، ٣٨، ٦١، ١٥١

كراون، ٢٣٦

كردفان، ٥١، ٩٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٣

كرمة، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٩، ٢٠٨، ٢٥٧، ٢٩٥

كرنبس، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧

كريمة، ٢٢٢

كلابشة، ٣، ١٩٩، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٩٧

كلابدي، ٧٧، ١٨٩، ١٩٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠١

كلمن، ٢٠

كمال بن سوار، ١٦٢

كنان، ٢٧٦

كنانة، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٨، ١٤٩

كنداكة، ٩٥، ٩٧، ٢٣٠

كنز الدولة، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧

كنعان، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٦١

كنغو، ١٢، ١٣

كنو، ٩٨، ٩٩

كنول، ١٨٠

كوار، ٣، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٩

گوار، ٣، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٦٩

كوبر، ١٨٦، ١٨٧، ٢٩٩

كور، ١١٣، ١٢٤، ٢٨٥

كورتي، ١٩١، ٢١٢، ٢١٧

كوزموس، ١٩٩

كوش، ٣٥، ٧٩، ٨٧، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٩٢، ١٩٤، ٢٧٦، ٢٩٥، ٢٩٦

كوشة، ٢٩٥، ٢٩٦

كيرجستان، ١٢١

كيروان، ١٧٦، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٧

كيكاوس، ٢٦

كينيا، ٦٧

ل

لاوز، ٣٥

لثعلبة، ١١١

لخم، ٣٨، ١٢٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٨

لسترابو، ٢١٣

لقية، ١٨١

لمتونة، ٣٩، ٢٧٦

لمطة، ٣٩، ١٥١
لواتة، ٣، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧
لونجينوس، ٢٥١
ليبيا، ٤٤، ٥٠، ٥٩، ١٠٤، ١١٠، ١٩٠، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٠٠
ليشرح، ٢٨
ليو الافريقي، ٢٥٩

م

مازن، ٣٠
ماسبيرو، ٨٣
ماكسمينيوس، ٢٢٩
ماكمايكل، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٢، ٢٢٠، ٢٥٩، ٢٦٤
مالك، ٣٩، ٧٦، ١٢١، ١٦١، ١٦٤
مالك بن المرحل، ٣٩
مالي، ٢٩٤
مجاء ٢٠٦
محمد ابراهيم بك٧، ٢١٨
محمد ابراهيم بكر، ٢٤٥
محمد بن طفج، ١٥٢
محمد بن علي، ١٤٣
محمد بن وراق، ١٢٦
محمد سليمان أيوب، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٠٠
محمد صالح، ٦٠، ٨٤، ٩٠، ٣٠٠
محمد صالح ضرار، ٦٠، ٨٤
محمد عزة دروزة، ١٨، ٨٤، ٣٠٠
مخزوم، ١٢٣، ١٢٦
مدركة، ١٢٥
مدين، ٢٠، ٢١
مدينة القصبة، ٢٧٣
مدينة النوبا، ٢٩٤
مدينة انكلاس، ٢٧٤
مدينة بلاق، ٢٨٢
مدينة تاجوة، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٥

مدينة تساوة، ٢٨٨

مدينة تلملة، ٢٧٤

مدينة زويلة، ٢٦٨

مدينة سجلماسة، ٢٨٩

مدينة سغوة، ٢٨٠

مدينة سمنة، ٢٨٢، ٢٨٣

مدينة شامة، ٢٨١

مدينة غانا، ٢٩٤

مدينة كوار، ٢٦٩

مدينة كوشة، ٢٩٢، ٢٩٦

مدينة كوكو، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٤، ٢٩٥

مدينة مالى، ٢٩٤

مدينة مانان، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٥

مدينة نبرنتة، ٢٨١

مدينة نبرنته، ٢٨٢

مدينة نوابة، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥

مِرجا، ١٨١

مرنرع، ٢٠٦

مروان، ١٤٣، ١٥٢، ٢٨٦

مروي، ٧٤، ٧٥، ٨٧، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٥٧، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٤، ٢٩٥، ٢٩٨

مسعد، ٧٧، ١٠٦، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٦٦، ١٨٠، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٨٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١

مسعود، ٣٠

مصر، ٢، ٥، ٧، ١٠، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٣١، ٣٤، ٣٨، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١

مصرايم، ٣٥

مصطفى محمد مسد، ٢١٦
مصطفى مسعد، ١٢٧، ١٤٤، ١٧٩، ١٩٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٨٣
مصعب، ٣٠، ١٢٦
مطاطية، ١٢١
معاوية بن أبي سفيان، ١٠٧
معبد الكوة، ٢١٦
معبد الملكة حتشبسوت، ١٧٣
معبد قبلا، ٢٤٥
معبد كلابشة، ٢٠٠، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٤٥
معد بن عنان، ١٨
مقابر جبل موية، ١٧٥
مكة، ٣٠، ١٣٢
ملكال، ٧٢
ممفيس، ٧٥
مملكة البليميين، ١٩٥، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١
مملكة الزغاوة، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٤
مملكة المقرة، ١٣١، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٦٧
مملكة النوباديين، ٢٤٤، ٢٥٠
مملكة علوة، ١٧٦، ١٧٩، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١
مملكة علوى المسيحية، ٢٥٠
مملكة غانة، ٢٦٩
مملكة كوار، ٢٦٩
مملكة مروي، ١٧١، ١٧٦، ١٩٤، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٩٥
منان، ٢٧٣، ٢٧٩
مندولس، ٢٢١
مندوليس، ٧٧، ١٩٩، ٢٢٠
منطقة الإستبس، ١٧٣
منطقة البُلهاو، ٢١٦
منطقة البوركو، ٢٥٦
منطقة الدوديكاس، ٢٢٤
منطقة المحس، ١٥٨
منفلوط، ١٢٩
منقة أبو حمد، ٢٧٩

موريتانيا، ٤٦، ٤٧
موسى، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٦٠، ٦٤، ٧٦
موسى عليه السلام، ٢٠، ٢٤، ٦٠، ٦٤
ميناء أدولس، ٢١٩
ميناء عيذاب، ١٤٢

ن

ناصر الدين عمر بن فضل الله، ١٦٣
ناصرو، ٣٤
نبتا، ١٧٥، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٤، ٢٠٨، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٩٥
نبتا بلايا، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٤
نبط، ٥٨، ٥٩
نبيط، ٥٨
نترز، ٢١٥، ٢١٩، ٢٣١
نزار، ٣٠، ٦٣
نزار بن معد، ٦٣
نَستاسن، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠
نسطورس، ٢٢٨، ٢٦٥
نصر الدين، ١٦٠
نكاو، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢
نكاو الثاني، ٢١٠، ٢١١
نهر الفرات، ١٦
نهر القاش، ١٨٠
نهر النيل، ١٧، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ١٧١، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٧٠
نهر تكازى، ١٧٧
نهر سيدا، ١٧٧
نهر عطبرة، ٦٨، ١٤٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٧، ٢١٢، ٢٨٣
نهري النيجر، ٤٧
نوابة، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦
نوابية، ٢٥٢، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥
نوباديا، ٩٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٦٤
نوح، ١٨، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٢٧٦
نوردن، ١٥٧

نوري، ٢١٨
نياني، ٢٩٤
نيجريا، ١١، ٤٤، ٥٠

هـ

هاد، ٢٨
هانس بَرنارد، ٢١٥
هَرسيوتف، ٢١٧
هكارة، ١٥٢، ١٦٣
هلال، ١١١، ١١٢، ١٢٣، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٨، ٢٧٢
هنري، ١٠٠، ٣٠١
هوارة، ١٢٠، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧
هوجُت، ٤٧
هور، ١٧٥، ١٨٧
هوز، ٢٠
هيرودوت، ١٧، ٥٧، ١٨٨، ٢٠٩، ٢٥٨، ٢٦١

و

واحات دنقل، ١٨١
واحة الخارجة، ١٨٤
واحة العوينات، ٢٨٤
واحة بلما، ٢٦٩
وادي الرمل، ٢٤، ٦١
وادي العلاقي، ٦٧، ١٠٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢
وادي القرى، ٣١
وادي المقدم، ١٧١، ٢٨٣
وادي الملك، ٢٨٣
وادي المِلك، ١٧١
وادي النيل، ١٠، ١٥، ٢٣، ٤٧، ٤٨، ٥٧، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١
وادي حلفا، ١٧٢، ١٨٤، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٢
وادي هوار، ١٧٥، ١٨١، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٥٧
وارقلان، ٢٧٤، ٢٨١

واوات، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٥٦
ود ضيف الله، ١٨٠
وليمز، ٢٥١
ونترز، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٩٧
وندروف، ١٨٥
ويام، ٢٥٦

ي

ياسر، ٢٤، ٦١
يافث، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١
ياقوت، ٢٢، ٣٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٥٢، ١٥٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠١
ياقوت الحموي، ٢٢، ١٢٤، ١٥٢، ١٥٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠١
يثرب، ٢٦
يسامينه، ٢٣٢
يشجب، ٢٧، ٢٨
يعرب، ١٦، ٢٧، ٢٨
يعقوب، ٨٢
يلقمة بنت عمرو بن عمير الجنيّ، ٢٨
يوحنا الأفسوسي، ٢٥١
يوحنا الأفسي، ٢٤٥
يوسف عليه السلام، ٨٦
يوشع، ٦١
يونس، ١٤٢

١٩١٧ , ١٩٨٨, ١٩٣٨:٢٥, ١٩٨٨:٢٧١, ١٩٨٤، ١٩٨٨, ١٩٨٨

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٥٥٥م